الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر
للعلوم الإسلامية
قسنطينة

كلية أصول الدين والشريعة
والحضارة الإسلامية
قسم الكتاب والسنة
شعبة القراءات

الرقم التسلسلي:

رقم التسجيل: ٠٣/أ ش ح إ/ ق /٢٠٠٢

الإمام علي النوري الصفاقسي ومنهجه في كتابه غيث النفع في القراءات السبع

(مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في قسم الكتاب والسنة شعبة القراءات)

إعداد الطالب:
محمّد لقريز

إشراف الدكتور:
محمّد بوركاب

أمام اللجنة:

الرئيس:	د. رمضان يخلف	جامعة الأمير عبد القادر	قسنطينة
المقـــرر:	د. محمّد بوركاب	جامعة الأمير عبد القادر	قسنطينة.
العضـــو:	د. هلال خزاري	جامعة الأمير عبد القادر	قسنطينة
العضـــو:	د. أبو بكر كافي	جامعة الأمير عبد القادر	قسنطينة

نوقشت يوم: ١٣ جمادى الآخر ١٤٢٧

الموسم الجامعي: ١٤٢٦- ١٤٢٧/ ٢٠٠٥م - ٢٠٠٦م

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الإهداء

إلى من قال فيهما الرب جلّ وعزّ:

﴿وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾

وفاءً وشكرانًا لهما.

وقيامًا ببعض حقهما.

وأعلم موقنًا أنّ مثلي قاصرٌ وعاجزٌ عن مثل ذلك.

ولكن مالا... فلا...

إلى والديّ الكريمين حفظهما الله ورعاهما:

عَبْدُ الجَبَّارِ وَفَطِيمَةُ.

أهدي هذا العمل عسى أنْ تقرّ أعينهما به.

ولساني يواطئ قلبي مرتلًا: ﴿رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾

محمد

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

شكر وتقدير

اللهمّ خالصُ الشكر والحمد لك وحدك.

ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله.

أتوجّه بالشكر إلى كل من ساهم في إنجاز هذا البحث، ولو ببنت شفة أو دعوة بظهر الغيب.

وأخص بالذكر: والديّ الكريمين.

وإخوتي: العربي و رشيد و صدّيق.

وأخواتي: اربيحة وفاطنة وسعدية و سامية ومسعودة.

ولا أنسى رفيقي وأخي في الله أبا الوليد الهاشميّ على ما أسدى من خدمات، ولا إخوتي في الله: النوري و الحسين وبدري.

كما لا يفوتني شكر أستاذي المشرف على ما بذله من نصح ووقت في قراءة البحث ومراجعته.

ومن لم أسطر اسمه فالشكر مسطور له في صفحات الغيب فلا عتب عليّ ولا لوم، والله لا يضيع أجر المحسنين.

محمّد.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقدمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره؛ ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيّئات أعمالنا؛ من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له؛ وأشهد أنّ محمّدا عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾[آل عمران/١٠٢]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾[النساء/٠١]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾[الأحزاب/٧١،٧٠]

وبعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشرّ الأمور محدثاتها، وكلّ محدثة بدعة، وكلّ بدعة ضلالة، وكلّ ضلالة في النار.

ثم أما بعد:

فلقد منّ الله علينا بإرسال أكرم خلقه عليه، وأفضلهم لديه؛ حبيبه وخليله محمّد صلّى الله وسلّم عليه، فمحا به عبادة الأوثان، وبلّغ به رسالة الإيمان، فلم يغادر منها أصلا ولا فرعا إلاّ وبلّغه أكمل التبليغ، وبيّنه أتمّ البيان، فصلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه ما تعاقبت الأزمان.

ثمّ إنّ الله – جلّ في علاه– قد شرّف هذا النبيَّ و أمّته بما خصّهم به من كلامه العظيم، ووحيه الكريم، الّذي ﴿ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴾[فصلت/٤١]؛ كتابه الذي أنزله مهيمنا على الكتاب كلّه، وجعله لهم نورا مبينا، وحبلا متينا، و صراطا مستقيما، عصمهم

به من تشعّب الآراء والأهواء، صدَّقَ اللهُ منْ به نطق، وعدَّل من به حكم، وآجَر من بـه عمل، وهدى من إليه دعا، فكان لقلوبهم ربيعا، ولصدورهم نورا، ولأحـزانهم كشـفا وجلاء.

وهو فوق هذا وذاك، معجزة النبوّة، وآية الرسالة، " **مَا مِنْ نَبِيٍّ مِـنَ الْأَنْبِيَـاءِ، إِلاَّ أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ، مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ؛ وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُهُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّـهُ إِلَيَّ؛ فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ** "[البخاري].

وقد كان النبي ﷺ أحرص الناس عليه، تلاوة وعلما وعملا؛ حتّى تجسدت فيه كل معاني القرآن؛ فـ:"**كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنُ**" [البخاري].

ولعظيم فضله، كان النبي ﷺ يحضّ أصحابه على تلاوته وحفظه وتدبره، فيجعلـه ميزان الخيريّة "**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**"[البخاري]، و سببا للرّفعة "**إِنَّ اللَّـهَ يَرْفَـعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَاماً وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ**"[مسلم]، ويأمرهم "**اقْرَؤُوا الْقُرْآنَ، فَإِنَّهُ يَأْتِي يَـوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعاً لِأَصْحَابِهِ**"[مسلم]، "**تَعَاهَدُوا الْقُرْآنَ فَوَ الَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَهُوَ أَشَـدُّ تَفَلُّتاً مِنَ الْإِبِلِ فِي عُقُلِهَا**"[البخـاري]، ويرغبهم في الأجر"**مَنْ قَرَأَ حَرْفاً مِنَ كِتَابِ اللَّهِ، فَلَهُ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا؛ لاَ أَقُولُ "الم" حَرْفٌ؛ بَلْ أَلِفٌ حَـرْفٌ، وَلاَمٌ حَـرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ**"[الترمذي]؛ ويرفع هممهم ويشوّقهم ليوم فيه" **يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُـرْآنِ، اقْـرَأْ وَارْقَ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَـةٍ تَقْرَؤُهَـا**" [أبـو داود والترمذي]، ويُبشّرهم أنّ " **الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ مَاهِرٌ بِهِ، مَعَ السَّفَرَةِ الْكِـرَامِ الْبَـرَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ، وَهُوَ شَاقٌّ عَلَيْهِ لَهُ أَجْرَانِ**"[متفق عليه].

واستجاب الصحابة – رضوان الله عنهم– لنداءات النبي ﷺ فتسابقوا إلى تلقّيه من فيه ﷺ، غضّا طريّا كما أنزل، لم يغادروا منه حرفا، إلاّ وحفظوه في صدورهم، أو كتبوه في سطورهم، فكان بهم حفظه وبقاءه، صحيحا موثوقا، لا يتطرّق إليه شك، ولا يعـروه ريب؛ تحقيقا لوعد الله تعالى:﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[الحجر/٠٩].

وقد بلغ الصحابة في العناية بهذا الكتاب، مبلغا عظيما، في كلّ جوانبه، حتّى شملت حفظ لهجاته وكيفيّات أداءه، من المدّ والقصر، والفتح والإمالة وبين بين؛ وفي كلّ ذلك صعوبة بالغة، ومسلك وعر، لا يطيقه إلا ذو حظّ عظيم، وإنّما كان تغلّبهم على هذا بإيمانهم به، وشدّة اهتمامهم، وإجلالهم كلامَ الله أن يخالطه ريب أو اشتباه، أو يطرأ عليه زيادة أو نقصان؛ بل كما أنزل يجب أن يُقرَأ، وكما هو متلقًّى من في رسول الله ﷺ، يجب أن يحفظ ويصان.

فأدّى الصحابة بذلك هذه الأمانة إلى التابعين، وأدّاها التابعون إلى تابعيهم، هكذا من غير حيف ولا إخلال، ثمّ كان بعدهم أئمّة القراءة المتخصّصون، وكان تلامذتهم إلى يوم النّاس هذا، بل وإلى يوم يقوم الناس لرب العالمين.

واقتداء من العلماء بسلفهم من الصحابة وتابعيهم، قاموا بحفظه ومذاكرته، ودرسه وتلقينه بأنواع قراءاته، واختلاف وجوهه ورواياته، المسموعة من رسول الله ﷺ؛ فتنوقلت هذه الروايات، واشتهرت واستقرّ منها فيما استقرّ سبع طرق معينة، اختصّت بالانتساب إلى من اشتهر بروايتها وأقام على إقرائها؛ وهذه الطرق السبع هي ما عرف فيما بعد، بمصطلح القراءات السبع، وهي في جملة القراءات أقواها صحة، وأثبتها رواية، وأكثرها إجماعا من العلماء.

ولم يزل العلماء يتداولون هذه القراءات برواياتها، إلى أن كتبت العلوم ودوّنت فأخذت بدورها حظّا من التدوين، وصارت فنّا مخصوصا، وعلما مفردا، تناقله الناس جيلا بعد جيل.

وأوّل من فتح باب التصنيف فيها - أعني القراءات السبع- هو الإمام أبو بكر ابن مجاهد، وذلك في القرن الرابع في كتابه " السبعة "؛ ثم قام النّاس بعده فألّفوا فيها أنواع التآليف، حتّى ألقى هذا العلم عصا التسيار وحطّ رحاله عند الإمام أبي عمرو الداني، فبلغ الغاية فيه، ووقفت عليه معرفته، وانتهت إليه رياسته، وكثرت فيه روايته، وتعدّدت تآليفه، فعوّل النّاس عليها، واعتمدوا من بينها كتاب التيسير.

وهذا الأخير انتقاه مؤلّفه من جملة روايات كثيرة؛ فهذّبه ويسّره لطالبه، ممّا جعل الناس يتداولونه، قراءة وإقراء، وشرحا وتدريسا، حتّى جاد الزمان في قرنه السادس بأبي القاسم الشاطبيّ، فعمد إلى هذا الكتاب فاختصره ولخّصه، في قصيدته اللاّمية السائرة "حرز الأماني ووجه التهاني"؛ والتي أحرز بها فضلا عظيما، بما أحكم من ترتيبها واختصارها، فشغف الناس بها، وحرصوا على حفظها وتلقينها للمتعلمين.

ولصعوبة مسلكها، وإلغاز معانيها، عسر نيلها على المبتدئين، فشمّر العلماء عن سواعدهم لكشف غطائها، وإزالة الحجاب عن لبابها؛ فكثرت شروحها وتعدّدت المؤلّفات حولها، وصارت محورا للتأليف في هذا العلم طيلة قرون؛ وكان أوّل من شرحها تلميذه أبو الحسن السخاوي، وتلاه جماعات منهم: أبو شامة والجعبري، ابن القاصح، وغيرهم من المتقدمين؛ ومن المعاصرين الشيخان: عليّ الضباع، وعبد الفتاح القاضي.

وكما سبق القول، إنّ هذه القصيدة شكّلت محورا للتأليف، حيث راح العلماء يشرحون معانيها، أو يهذبون أبياتها، أو يعارضون مؤلّفها بقصائد مماثلة في الفن؛ أو يفردون ما ذُكِر من قراءاتها في تآليف خاصة، أو ينثرون ما احتواه نظمها في القراءات السبع جميعها؛ ومن أجلّ من سلك هذا المسلك الأخير، فجمع القراءات السبع من طريقها؛ الإمام أبو الحسن عليّ النّوري الصفاقسي، في كتابه "غيث النفع في القراءات السبع"، وهو كتاب عظيم النفع كاسمه، ضمّنه مؤلّفه تحقيقات لمسائل من هذا العلم دقيقة، و تسهيلات لمشكلات منه عويصة، ونقولا عن أئمته عزيزة؛ في طريقة مبتكرة ومنهج متميّز.

وهو كتاب حقيق بالعناية ممّن لهم بعلم القراءات ومعرفة رجاله وكتبه شغف واهتمام؛ وانطلاقا من هذا أردت أن يكون موضوع بحثي في هذا المجال، أعني التعريف بالشيخ علي النوري الصفاقسي وكتابه، تعريفا يميط عنه اللثام، ويعرّفه لطلبة العلم، من خلال عرض لحياته وأعماله ومؤلفاته، وتمييز لمنهجه في كتابه وخصائصه، وأثره في علم القراءات.

وقد سلكت هذا الدرب، متأسّيا بما رأيته من توجه، وإقبال نحو هذا النوع من البحوث، وهو موضوع مهمّ في عمومه، وهو في خصوص هذا العلم، وهذا الكتاب لا يقل أهمية؛ فمن أهميته:

– معرفة سير وتراجم المؤلفين وحياتهم العلميّة، وشيء من مؤلّفاتهم وأعمالهم.

– معرفة مناهج الكتب، ومقاصد مؤلّفيها، بطريقة علميّة موضوعيّة، يصنّف من خلالها الكتاب، ويوضع في مكانه اللائق به، دون إفراط وغلوّ فيه، ودون إجحاف في حقّه.

– معرفة تاريخ بعض العلوم، ومراحل تطوّرها، ومحطّاتها التاريخيّة، وما اعتراها من ضعف، أو قوّة ونماء.

فهذه الأغراض تشترك فيها جميع البحوث في هذا المجال، وهي من الأهميّة بالمكان الذي لا يُنكر؛ يضاف إلى هذا العموم أهميّة هذه البحوث في علوم القراءات بصفة خاصّة وتبرز فيما يلي:

– كثرة هذه الكتب وتنوّع طرائقها وأساليبها.

– قلة الدراسات من هذا النوع لكتب القراءات، بل إنّي لم أطلع على دراسة مستقلة لكتاب من هذه الكتب، اللهمّ إلا ما يقدّم به بعض المحققين لهذه الكتب.

– إن كتب هذا العلم قد أصيبت في العصور المتأخرة بالرّكود، كنتيجة حتمية لما أصيبت به العلوم في شتى فروعها، وبالتّالي يقتضي الحال العمل على التعريف بها في مختلف مناحيها؛ سواء منها ما تعلّق بالمؤلّفين، أو بنوعية تلك الكتب، ومناهجها وطرق الإفادة منها، وتمييز مراتبها من التّحقيق و الاعتماد.

– ويلحق بذلك أيضا، الجهل بكثير من علماء هذا الفنّ وأقطابه، وخاصّة في العصور المتأخّرة، إذ لم تخصص فيها كتب لتراجم القرّاء، وإنّما قصارى الأمر أن تجدهم ضمن التواريخ العامّة، وهذه البحوث تعطي دفعا قويا لمعرفة أولئك الأعلام، والاطلاع على سيرهم وأعمالهم.

- إن معاناة الكثير من كتب القراءات من بقائها حبيسة خزائن المخطوطات، يقتضي العمل على بعثها ونشرها بين الناس، وهذه البحوث تساهم في التنبيه على الكتب المهمّة في هذا، وتصنيف أهميّتها، حتى لا تضيع جهود المحققين في إخراج عمل لا فائدة منه.

- في هذه البحوث إعانة لمن يقوم بتحقيق بعض هذه الكتب فهي تساهم في تقليل جهد ووقت القائم على التحقيق.

هذا؛ ولمّا منّ الله علي بالانتساب إلى شعبة القراءات، بجامعتنا - حفظها الله- رغبت في المشاركة في تحقيق بعض هذه الأغراض.

وإنّما اخترت هذا المجال، لأني لما اطّلعت على كثير من عناوين كتب القراءات في الفهارس وغيرها، فوجئت بكثرة الكتب في هذا العلم، وإتيانها على كل جزئياته؛ فما منها أمر إلا وقد وضع فيه تصنيف خاص من علماء الفن من أسلافنا الماضين ينتظر النشر والتحقيق؛ فتيقّنت من نفسي عدم القدرة على العثور على موضوع في القراءات لم يطرق بعد؛ فقرّرت أن أتوجّه إلى بعض ما خلّفه أولئك العلماء - رحمهم الله تعالى- فأقوم بخدمته وتحقيقه، على وفق الأساليب العلميّة المتّبعة؛ ولمّا كان كتاب "غيث النفع" كثيرا ما يطرق سمعي، ومنذ فترة التدرّج، حيث تردّد ذلك على قلم الشيخ المارغني في كتابه "النجوم الطوالع"؛ وكذا ما رأيته من أساتذتنا من العناية بهذا الكتاب، وكثرة الرجوع إليه، قرّرت العمل على دراسته وتحقيق جزء منه، في مذكرة التخرّج؛ وبعد أن حالت دون ما هممت به بعض العوائق؛ ألغَيْت فكرة التّحقيق، واقتصرت على جزء من المشروع الأوّل، وهو قسم الدراسة بشقّيه: التعريف بالمؤلف، والتعريف بالكتاب.

وممّا دفعني للإقدام على هذا:

- إنّ هذا الإمام من أئمّة القراءة، الّذين لهم الباع الطويل، في تحقيق المسائل وشرحها، وهذا ممّا يجعل الحاجة ماسّة للكشف عن حياته وشخصيّته.

- إنّ هذا الكتاب وصفه الكثير من العلماء، بالدقّة والتحقيق، وأنّه عمدة لمن جاء بعده.

- إنّي لمّا تصفّحت هذا الكتاب، رأيته جاء بطريقة جديدة، خالفت من تقدّمه من المصنفين، فأردت بيانها وما لها من المزايا على غيرها من الطرائق.

- إنّ هذا الكتاب رغم أهميته لم يلق العناية، فلم يحقّق تحقيقا علميّا، فأردتّ لفت الأنظار إليه بهذه الدراسة؛ وأرجو أن تكون مقدّمة لتحقيق أمنية في نفسي، وهي إخـــراج هـــذا الكتاب في صورة علميّة دقيقة.

وانطلاقا من هذه الأسباب، وليكون العمل على صورة حسنة، حاولت البحث عن دراسات مماثلة، أو مشابهة؛ للإفادة منها في هذا العمل، ولكن لم أعثر على دراسة ســـابقة لهذا الموضوع بهذا الشكل؛ إلاّ فيما يخصّ حياة المؤلّف، فقد وجدت أنّ الشـــيخ محمـــد الشاذلي النيفر، ترجم للمؤلّف في مقدّمة تحقيقه لأحد كتب الشيخ وقد أفدت منه؛ أمّـــا فيما يخصّ دراسة الكتاب فلم أجد إلاّ بعض الإشارات من بعض المحققين لكتب القراءات، أذكر منهم:

د عبد الفتاح بحيري إبراهيم، في مقدّمة تحقيقه لكتاب أبي الطيـــب ابـــن غلبـــون "الاستكمال في الفتح والإمالة"؛ وكذا د.عبد العزيز بن ناصر السبر، في تحقيقه لكتـــاب "الاختيار في القراءات العشر " لسبط الخياط.

كما أنّ هناك دراسات عمدت إلى إمام من أئمّة القراءة، وإبراز جهـــوده في هـــذا العلم، وهما رسالتان: إحداهما خصّصت للمتولّي وجهوده في علم القراءات، من تأليف د. إبراهيم بن سعيد الدوسري؛ والأخرى وخصّصت لابـــن الجـــزري وجهـــوده في علـــم القراءات، من تأليف د. رابح دفرور.

ومن باب الأمانة العلميّة، وإسداء الفضل لأهله، أذكر أنّـــي أفـــدت مـــن هـــذه الدراسات في جوانب من البحث، خاصّة في رسم خطّة العمل.

و في هذا البحث سأحاول الإجابة عن بعض الأســـئلة، الـــتي تقتضـــيها طبيعـــة الموضوع، منها ما يتعلّق بالشيخ النوري وحياته، ومنها يتعلّق بكتابه.

فمن هو الشيخ النوري ؟ وفي أيّ عصر عاش ؟ وكيف نشأ وتعلّم ؟ وما أثـــره في علم القراءات في عصره وبعده؟

ثمّ ما قيمة كتابه هذا ؟ وما صحّة ما وصف به من الدقّة والتّحرير؟ وما المنهج الذي سار عليه؟ وبمن تأثّر، وفي من أثّر؟.

هذه الأسئلة وغيرها سأبحثها في خطّة رأيتها تناسب الموضوع، وأهمّ معالمهـــا بعـــد هذه المقدمة:

تمهيد: في التعريف بالقراءات والقرّاء السبع وروّاتهم.

الفصل الأوّل: عصر الإمام الصفاقسي وحياته.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الحياة السياسية والعلمية في عصر الإمام الصفاقسي.

وفيه مطلبان:

الأول: الحياة الساسية.

الثاني: الحياة العلمية.

المبحث الثاني: حياة الإمام الصفاقسي.

وفيه سبعة مطالب:

الأول: اسمه ونسبه.

الثاني: نشأته وتعلّمه.

الثالث: مشايخه وتلاميذه.

الرابع: أعماله.

الخامس: مذهبه الفقهي والعقدي.

السادس: أخلاقه وثناء العلماء عليه.

السابع: وفاته.

الفصل الثاني: التعريف بالكتاب وطريقة تأليفه.

المبحث الأوّل: التعريف بالكتاب.

وفيه ثلاثة المطالب:

الأول: اسم الكتاب، موضوعه، مخطوطاته، طبعاته.

الثاني: زمن و سبب تأليفه.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الثالث: أهميته ومنزلته.

المبحث الثاني: الجانب المنهجي في صناعة التأليف.

وفيه ثلاثة مطالب:

الأول: طريقة تقسيم الكتاب وتبويبه.

الثاني: اصطلاحاته.

الثالث: منهجه في عرض القراءات.

الفصل الثالث: مصادر المؤلف ومنهجه في عرض المادة العلمية.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: مصادر المؤلف وموقفه منها.

وفيه مطلبان:

الأول: مصادره.

الثاني: طريقة إفادته من المصادر وموقفه منها.

المبحث الثاني: المادة العلمية في الكتاب ومنهجه في عرضها.

وفيه أربعة مطالب:

الأوّل: عنايته بفروع علم القراءات.

الثاني: عنايته بالتحريرات وموقفه من التلفيق.

الثالث: موقفه من قصيدة الشاطبيّ وما ورد فيها.

الرابع: موقفه من بعض المسائل المشكلة وهي: الأحرف السبعة، والتواتر، وجمع القراءات.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الرابع: تقويم الكتاب وأثره فيمن بعده.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تقويم الكتاب.

وفيه مطلبان:

الأول: مزايا الكتاب.

الثاني: مآخذ على الكتاب.

المبحث الثاني: أثره على من بعده.

وفيه ثلاثة مطالب:

الأول: أثره على الشيخ المارغني.

الثاني: أثره على الشيخ الضباع.

الثالث: أثره على الشيخ عبد الفتاح القاضي.

وختمت هذا المبحث بأثره على من بعده بصفة عامّة.

خاتمة: وفيها أهمّ النّتائج.

وقد اتّبعت في إنجاز هذا البحث، المنهج التاريخيّ في الفصل الأوّل منه لطبيعة الموضوع؛ والمنهج الاستقرائي والتحليلي في بقية الفصول حيث تتبعت الكتاب لمعرفة منهجه وطريقته، وحاولت تحليل عبارات المؤلّف للاستدلال بها على منهجه.

وقد راعيت في بحثي الأمور المنهجية التّالية:

- عزو الآيات إلى سورها، وذكر أرقامها في المتن، مع كتابتها بالرّسم العثماني على رواية ورش رحمه الله تعالى، و اعتمدت في عدّ الآي العدّ المدنيّ لأنّه هو عدّ نافع وأصحابه.

- خرّجت ما ورد من أحاديث- وهي قليلة- مع بيان درجتها من كلام العلماء، إذا لم يكن الحديث في الصحيحين أو أحدهما.

- حرصت على الرجوع إلى المصادر الأصليّة ما أمكنني، وقد أرجع إلى أكثر من مصدر في المسألة الواحدة، وأرتّبها في الذكر حسب تقدّم أصحابها.

- ترجمت للأعلام الواردين في المتن ترجمة وجيزة، مع الإشارة إلى مصادر ترجمته، ومن ذكرت اسمه كاملا وسنة وفاته في المتن لم أترجم له في الهامش وإنما اكتفيت بذكر مصدر ترجمته.

- اقتصرت عند ذكر المصادر في الهامش على اسم الكتاب ومؤلّفه عند أوّل موضع وروده، وعلى اسم الكتاب في غيرها من المواضع، أمّا كتاب غيث النفع فقد ذكرته في كل المواضع مختصرا فأقول:" الغيث، ص كذا"، وذلك لكثرة دوره، ورأيت أن أرجئ باقي معلومات النّشر إلى فهرس المصادر والمراجع، وعملا بإحدى الطرق العلمية المتبعة في كتب مناهج البحث، ابتعادا عن إثقال الهامش بالكتابة.

- حرصت عند ذكر السّنوات في المتن على التّاريخ الهجري لأنّه من شعار أمّتنا، و لم أهمل مقابله من التاريخ الإفرنجي في كثير من الأحيان، إلاّ في العصور الإسلامية المتقدّمة لقلة الفائدة في ذلك.

- جعلت للبحث فهارس للأحاديث والأعلام، والمصادر والمراجع.

و أهمّ المصادر التي اعتمدتها في البحث هي:

في التأريخ لهذا العصر: المؤنس في أخبار تونس لابن أبي دينار، الحلل السندسية للوزير السراج، وإتحاف أهل الزمان لابن أبي الضياف، وخلاصة تاريخ تونس لحسن حسني عبد الوهاب.

وأمّا في التراجم: فمعرفة القراء للذهبي، والغاية لابن الجزري، وخلاصة الأثر للمحبّي، وشجرة النّور الزكيّة لمخلوف، وفهرس الفهارس للكتّاني، و كتاب العمر في المصنّفات والمصنّفين التونسيّين لحسن حسني عبد الوهاب، والأعلام للزّركلي، وتراجم المؤلّفين التونسيّين لمحمد محفوظ وغيرها.

واعتمدت في علم القراءات إضافة إلى الغيث وتنبيه الغافلين للصفاقسي كتاب النشر لابن الجزري، والطيبة وبعض شروحها، والبدور الزّاهرة والوافي في شرح الشاطبية كلاهما

لعبد الفتاح القاضي، وإرشاد المريد وشرح مختصر بلوغ الأمنية كلاهما للضباع، و الفتح الرحماني شرح كتر المعاني للجمزوري، والنّجوم الطّوالع للمارغني، وغيرها من الكتب.

ومن كتب مناهج البحث: منهج إعداد البحث العلمي للدكتور نصر سلمان، ومنهج إعداد البحوث الجامعية للدكتور حمادي العبيدي، وغيرهما.

هذا؛ وقد بذلت جهدي، ليخرج البحث على الوجه المطلوب، فما كان فيه من صواب وسداد فمن الله وحده وله الفضل والمنّة، وما كان فيه من خطأ، أو قصور، أو تقصير فمنّي ومن الشيطان؛ وأستغفر الله من ذنبي كلّه: هزلي وجدّي، وخطئي، وعمدي، وكل ذلك عندي؛ وأرجو أن أكون قد أسديت لهذا الكتاب ومؤلّفه بعض الخدمة، وإن شابها القصور والتفريط؛ والله الموفّق بمنّه وكرمه.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد:

في التعريف بالقراءات والقراء السبع

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أولا: تعريف علم القراءات

لغة: جمع قراءة وهو مصدر قرأ يقال قرأ فلان، يقرأ قراءة[١].

اصطلاحا: ذكر العلماء لهذا العلم عدّة تعريفات، أقتصر منها على ما يأتي:

١- تعريف الإمام ابن الجزري[٢]:

" هو علم بكيفية أداء كلمات القرآن الكريم واختلافها معزوًّا لناقله"[٣].

٢- تعريف الزركشي[٤]:

"القراءات اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتبة الحروف أو كيفيتها من تخفيف وتثقيل وغيرها"[٥].

٣- تعريف أحمد البنّا الدمياطي صاحب إتحاف فضلاء البشر:

"هو علم يعلم منه اتّفاق النّاقلين لكتاب الله تعالى واختلافهم، في الحذف والإثبات، والتحريك والتسكين، والوصل والفصل، وغير ذلك من هيئة النطق، والإبدال وغيره، من حيث السماع."[٦].

١- انظر: الصحاح، الجوهري، ج١، ص٦٥، مادة قرأ.

٢- وابن الجزري هو: هو محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف العمري الدمشقي الشيرازي الشافعي المعروف بابن الجزري أبو الخير وأبو محمد شمس الدين؛ الإمام الحافظ المقرئ، محقق علم القراءات، صاحب النشر والطيبة والدرة وغيرها من المصنفات النافعة، ت(٨٣٣هـ)؛ انظر غاية النهاية له، ج٢، ص٢٤٧. وانظر في ترجمته وجهوده في علم القراءات: الإمام ابن الجزري وجهوده في علم القراءات، رابح دفرور.

٣- منجد المقرئين ومعين الطالبين، ص١٧.

٤- الزركشي هو: بدر الدين بن محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي الشافعي من أعلام الفقه والحديث، ت٧٩٤، الدرر الكامنة، ابن حجرالعسقلاني، ج٢،ص٢٤١.

٥- البرهان في علوم القرآن، ج١،ص٣١٨.

٦- إتحاف فضلاء البشر، أحمد البنا، ج١، ص٦٧، وستأتي ترجمة أحمد البنا في الفصل الأوّل.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

٤- تعريف عبد العظيم الزرقاني[١] في مناهل العرفان:

"مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القراءة مخالفا به غيره، في النطق بالقرآن الكريم، مع اتّفاق الروايات والطرق عنه، سواء كانت هذه المخالفة في نطق الحروف، أو في نطق هيئاتها."[٢].

٥- تعريف الشيخ علي الضبّاع:

"هو فنّ يعرف به اتّفاق النّاقلين لكتاب الله تعالى واختلافهم، في أحوال النطق به، من حيث السّماع"[٣].

٦- تعريف الشيخ عبد الفتّاح القاضي:

"هو علم يعرف به كيفية النطق بالكلمات القرآنيّة، وطريق أدائها، اتّفاقا واختلافا، مع عزو كل وجه لناقله" [٤].

وعلى بعض هذه التعاريف ملاحظات:

- اقتصر ابن الجزري و الزركشي على ما اختلف فيه الناقلون للقرآن الكريم؛ والواقع أنّ علم القراءات، يشمل أيضا ما اتّفقوا فيه، فهذا إهمال منهما لجزء من ماهية هذا العلم، يتعيّن إضافته ليكون تعريفهما جامعا.

- أطنب بعضهم بذكر الأمثلة في مفردات هذا العلم، ولو حذفت الأمثلة لم يؤثر ذلك في التّعريف، والأفضل في الحدود أن تكون مختصرة اختصارا غير مخلّ.

و يظهر لي أنّ تعريف الشيخ عبد الفتاح أحسن هذه التعاريف إذ لا اعتراض عليه.

١- والزرقاني هو: عبد العظيم الزرقاني من علماء الأزهر، عمل مدرسا في كلية أصول الدين، من كتبه مناهل العرفان في علوم القرآن، انظر: الأعلام، الزركلي، ج٦، ص١٢٠.

٢- ج١، ص٤١٢.

٣- إرشاد المريد إلى مقصود القصيد، ص٣؛ وستأتي ترجمته الضبّاع في الفصل الرابع، ونقل عنه هذا التعريف محمود خليل الحصري في: القراءات العشر من الشاطبية والدرّة، ص٤.

٤- البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة ص٥١؛ وستأتي ترجمة الشيخ عبد الفتاح في الفصل الرابع.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثانيا: أهمية علم القراءات

لا شك أنّ أهميّة العلم إنّما تؤخذ من متعَلَّقه، فإذا نظرنا إلى علم القراءات من هذه الزاوية، وجدناه قد ارتبط بالقرآن الكريم، كلام ربّ العالمين، فنال من علوّه علوّا، وأخذ من شرفه بحظٍّ وافر، وأكْرِمْ وأعْظِمْ بها منزلة لعلمٍ تعلّق بهذا الكتاب العزيز، و في تأمّل هذا المعنى كفاية لمن أراد معرفة منزلة هذا العلم وأهميته؛ إلاّ أنّ العلماء قد فصّلوا في هذا، فذكروا زيادة على ذلك[1]:

- صيانة القرآن الكريم عن التحريف والتغيير، وهذا مقصد عظيم من مقاصد هذا العلم؛ إذ به صدّق الله وعده حين قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[الحجر/٠٩].

- العصمة من الخطأ في النطق بالكلمات القرآنية.

- معرفة ما يقرأ به كل إمام من أئمة القراءة.

- التمييز بين ما يقرأ به، وما لا يقرأ به من القراءات المرويّة، فإنّ هذا العلم به تميّز القراءات المقبولة من المردودة، التي منها الشواذّ والمنكرات، وبه يحصل الاحتراز من الوقوع في قراءة ما لا يجوز.

- إنّ العلم بالقراءات يعين أهل العلم في استنباط الأحكام الشرعية، والتوفيق بين نصوص الكتاب والسنة، وفي هذه الجزئية أمثلة كثيرة ليس في الوسع ذكرها، وأحيل القارئ إلى كتب القراءات والتفسير التي عنيت بهذا الشأن.

- إنّ في علم القراءات بابا واسعا من أبواب إعجاز القرآن الكريم، لمن أراد وُلُوجَهُ من أهل العلم و الاختصاص.

- إنّ العلم بهذه القراءات فيه الحفاظ على الكثير من لغات العرب ولهجاتهم، بل إن التوسّع في هذا العلم يعين على الغوص في علوم اللغة ومباحثها.

---

١ - انظر هذا في: النشر، ابن الجزري، ج١، ص٥٢؛ إتحاف فضلاء البشر ، ج١، ص٦٧؛ إرشاد المريد، علي الضباع، ص٣؛ البدور الزاهرة، عبد الفتاح القاضي، ص٥١؛ القراءات وأحكامها ومصادرها، شعبان محمد إسماعيل، ص٣٩.

ثالثا: التعريف بالقراءات والقراء السبع

من المعلوم أن القرآن الكريم أنزل على النبي ﷺ على سبعة أحرف، كما تواترت الأخبار بذلك عنه، فكان لأجل ذلك كل واحد من أصحابه ﷺ يقرأ، ويقرئ بحسب الحرف الذي تلقّاه عنه، وربّما قرأ الواحد منهم أكثر من قراءة وأقرأ بها، وهكذا أخذ التّابعون عن الصحابة، وتابعوهم كذلك، طبقة عن طبقة حتى وصل الأمر إلى أئمة القراءة المشهورين، الذين تخصّصوا في ضبط القراءات والانقطاع لنشرها.

قال النويري[١] رحمه الله تعالى:"... وقرأ كلّ مصر بما في مصحفهم، وتلقّوا عن الصحابة الذين تلقّوه عن النبي ﷺ، ثمّ تجرّد للأخذ عن هؤلاء قوم أسهروا ليلهم في ضبطها، وأتعبوا نهارهم في نقلها، حتى صاروا أئمة للاقتداء، وأنجما للاهتداء، وأجمع أهل بلدهم على قبول قراءاتهم، و لم يختلف عليهم اثنان في صحة رواياتهم ودرايتهم، ولتصدّيهم للقراءة نسبت إليهم، وكان المعوّل فيها عليهم..."[٢]

وأكثر هؤلاء – الذين تكلّم عنهم النويري – شهرة ونباهة، وإجماعا على قبول قراءتهم، هم القرّاء السبع، الذين تنسب إليهم القراءات السبع؛ وهم نافع وعاصم وحمزة و الكسائي وابن عامر وابن كثير و أبو عمرو.[٣]

و لم تكن هذه السبع بهذا الاسم موجودة قبل المائتين، فإنّ من ألّف في القراءات قبل ذلك، كأبي عبيد القاسم بن سلاّم[١]، وابن جرير الطبري[٢]، و إسماعيل بن إسحاق

١- هو محمد بن محمد بن محمد بن علي بن محمد بن إبراهيم بن عبد الخالق، النويري، المالكي، أبو القاسم؛ كان إماما علامة متفننا، قرأ بالعشر على غير واحد أجلّهم ابن الجزري، و لم يكمل عليه القرآن وأجازه، ومن مؤلّفاته: شرح الطيّبة، القول الجاذ لمن قرأ بالشاذ، و الغياث في القراءات الثلاث، ت(٧٥٧هـ)؛ انظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، السخاوي، ج٩، ص٢٤٦؛ الأعلام، ج٧، ص٤٨؛ وهذا المترجم له غير الزين طاهر النويري (ت ٨٥٦هـ)، وإن أخذ كل منهما عن ابن الجزري، وهما غير النويري شارح الدرة ت(٨٩٧هـ)، الذي أخذ عن الشيخ محمود الإسفراييني عن ابن الجزري، وهؤلاء الثلاثة من كبار المقرئين، والفقهاء المالكيين في وقتهم؛ نبّه إلى هذا المرصفي في: هداية القاري إلى تجويد كلام الباري،ج٢، ص٧٨٢، ٧٨١.

٢- شرح طيبة النشر، النويري، ج١، ص١١٢.

٣- مناهل العرفان، ج١، ص٤١٦.

القاضي[٣]؛ ذكروا قراءات كثيرة، وإنّما اشتهرت هذه السبع بهذا الاسم حين ألّف الإمام أبو بكر ابن مجاهد[٤]، المتوفى عام أربعة وعشرين وثلاثمائة (٣٢٤هـ) كتابه السبعة في القراءات، ثم توالى التأليف فيها إلى عصرنا هذا.

وإليك الآن ترجمة مختصرة لكل قارئ من هؤلاء[٥]:

١- الإمام نافع[٦]: هو أبو رويم، نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم، الليثيّ مولاهم، أصله من أصفهان؛ تلقّى القراءة على سبعين من التابعين منهم: أبوجعفر القارئ[٧]، وابن هرمز[٨]، وشيبة بن نصاح القاضي[٩]، ويزيد بن رومان[١٠].

١- هو القاسم بن سلاّم أبو عبيد الهروي البغدادي، من أئمة الفقه والعربية والحديث والقراءات؛ من تصانيفه: فضائل القرآن، كتاب الأموال، وكتاب في القراءات وغيرها؛ ت(٢٢٤هـ)، انظر: معرفة القراء، الذهبي، ج١، ص١٧٠، غاية النهاية، ابن الجزري، ج٢، ص١٨.

٢- هو محمد بن جرير بن يزيد بن خالد أبو جعفر الطبري، إمام المفسرين المجتهد المؤرخ، صاحب تفسير "جامع البيان عن تأويل آي القرآن"، وتاريخه" أخبار الأمم والملوك، ت (٣١٠هـ)معرفة القراء، ج١، ص٢٦٤، غاية النهاية، ج٢، ص١٠٦.

٣- إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد القاضي، أبو إسحاق الأزدي البغدادي المالكي؛ ثقة مشهور كبير، ت(٢٨٢هـ)، غاية النهاية، ج١، ص١٦٢.

٤- هو أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي؛ الأستاذ شيخ الصنعة وأوّل من سبع السبعة، ت(٣٢٤هـ)؛ الذهبي، معرفة القراء، ج١، ص٢٦٩، غاية النهايةج١، ص١٣٩.

٥- وقد جمع تراجم هؤلاء القرّاء مع القراء الثلاث الشيخ عبد الفتاح القاضي في كتابه: تاريخ القراء العشرة، و وذكر الشيخ محمود خليل الحصري هؤلاء العشرة وأضاف إليهم الأربعة أصحاب الشواذ في كتابه: أحسن الأثر في تاريخ القراء الأربعة عشر، فراجعهما إن شئت.

٦-معرفة القراءج١، ص١٠٧؛ غاية النهاية، ج٢، ص٣٣٠.

٧- هو أبو جعفر يزيد بن القعقاع المخزومي المدني، القارئ أحد القراء العشرة، تابعي جليل؛ أقرأ الناس بمسجد رسول الله ﷺ، وقراءته اشتهرت من روايتي ابن جمّاز وابن وردان، ت(١٣٠هـ)؛معرفة القراء ، ج١، ص٧٢.

٨- هو عبد الرحمن بن هرمز الهاشمي مولاهم، أبو داود المدني الأعرج القارئ ت(١١٧هـ)؛معرفة القراء، ج١، ص٧٧.

٩- هو شيبة بن نصاح بن سرجس بن يعقوب، مقرئ المدينة مع أبي جعفر، وقاضيها ومولى أم سلمة ﷺ (ت١٣٠هـ) وقيل(١٣٨هـ)؛معرفة القراء، ج١، ص٧٩؛ غاية النهايةج١، ص٣٢٩.

١٠- هو يزيد بن رومان أبو روح المدني مولى ابن الزبير، عرض على عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة، روى عنه مالك وابن إسحاق وغيرهما، (ت١٣٠هـ)وقيل(١٢٩هـ)؛معرفة القراء، ج١، ص٧٦؛ غاية النهاية، ج٢، ص٣٨١.

توفي نافع – رحمه الله تعالى – بالمدينة عام تسع وتسعين ومائة(١٧٩ هـ).

أخذ عنه القراءة خلق كثيرون منهم: أبو عمرو بن العلاء وغيره من الأئمة؛ وراوياه هما:قالون، وورش.

فأمّا قالون[١]: فهو عيسى بن مينا بن وردان بن عيسى بن عبد الصمد؛ لقّبه شيخه نافع "قالون" لجودة قراءته؛ توفي – رحمه الله– بالمدينة عام عشرين ومائتين(٢٢٠ هـ).

وأمّا ورش[٢]: فهو عثمان بن سعيد بن عبد الله المصري، يكنّى أبا سعيد، ولُقّب بورش لشدة بياضه؛ توفي سنة سبع وتسعين ومائة (١٩٧هـ)، عن سبع وثمانين سنة.

٢– ابن كثير[٣]: هو عبد الله بن كثير بن عمر بن عبد الله بن زاذان بن فيروز بن هرمز المكيّ، ولد بمكة سنة خمس وأربعين؛ تلقّى القراءة عن مجاهد بن جبر[٤]وغيره.

توفي رحمه الله تعالى بمكة، عام عشرين ومائة (١٢٠ هـ).

وراوياه هما: البزّي، و قنبل.

فأما البزّي[٥]: فهو أحمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم بن نافع بن أبي بزّة، واسم أبي بَزَّة بشار، من أصل فارسي من أهل همذان ، ولد البَزّي بمكة عام سبعين ومائة (١٧٠هـ)، وهو أكبر من روى قراءة ابن كثير؛ كان مؤذن المسجد الحرام.

ووفاته – رحمه الله تعالى – سنة خمسين ومائتين (٢٥٠ هـ).

وأما قنبل[٦]: فهو محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن خالد بن سعيد المخزوميّ بالولاء، لقّب "قنبلا" لأنّه كان من قوم يقال لهم القنابلة؛ توفي بمكة سنة إحدى وتسعين ومائتين (٢٩١ هـ)، عن ست وتسعين سنة.

١–معرفة القراء، ج١، ص ١٥٥؛ غاية النهاية، ج١، ص٦١٥.

٢–معرفة القراء، ج١، ص١٥٢؛ غاية النهاية، ج١، ص٥٠٢.

٣–معرفة القراء، ج١، ص٨٦؛ غاية النهاية، ج١، ص٤٤٣.

٤– هو مجاهد بن جبر أبو الحجاج مولى قيس بن السائب المخزومي، شيخ المفسرين، أخذ التفسير عن ابن عباس ﷺ؛ وهو إمام فقيه ثقة، ت(١٠٤هـ) ،معرفة القراء،ج١، ص٦٦.

٥–معرفة القراء، ج١، ص ١٧٣؛ غاية النهاية، ج١، ص١١٩.

٦–معرفة القراء، ج١، ص ٢٣٠؛ غاية النهاية، ج٢، ص١٦٥.

٣- أبو عمرو بن العلاء[١]: هو زبّان بن العلاء بن عمّار بن العريان المازنيّ التميميّ البصري، وقيل اسمه يحيى؛ كان إمام البصرة ومقرئها، ولد بمكة سنة سبعين، ونشأ بالبصرة، وقرأ بمكة والمدينة، على أبي جعفر، و شيبة بن نصاح، ونافع بن أبي نعيم، وعبد الله بن كثير، وعاصم بن أبي النجود، وغيرهم.

توفي- رحمه الله تعالى - بالكوفة سنة أربع وخمسين ومائة (١٥٤ هـ).

وراوياه هما: الدوري والسوسي، يرويان عن يحيى اليزيديّ عن أبي عمرو.

فأمّا اليزيديّ[٢]: فهو أبو محمد يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوي البصري، إمام نحوي مقرئ، أخذ القراءة عن أبي عمرو وخلفه في القيام بها، وروى أيضا عن حمزة وغيره، و لليزيدي قراءة شاذّة تدخل ضمن الأربع الشواذ، توفي- رحمه الله- عام اثنتين ومائتين(٢٠٢هـ).

وأمّا الدوري[٣]: فهو حفص بن عمر بن عبد العزيز بن صهبان بن عديّ الدّوريّ - نسبة إلى الدور موضع ببغداد - الأزدي، النحوي البغدادي؛ توفي - رحمه الله تعالى - عام ست وأربعين ومائتين (٢٤٦ هـ).

وأمّا السوسي[٤]: فهو صالح بن زياد بن عبد الله بن إسماعيل بن الجارود السوسي - نسبة إلى سوس مدينة بالأهواز - وكنيته أبو شعيب؛ توفي بالرّقّة سنة إحدى وستين ومائتين (٢٦١ هـ)، وقد قارب التسعين.

٤- ابن عامر الشامي[٥]: هو عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة اليحصبي، المكنّى بأبي عمرو، وهو من التابعين، ولد سنة ثمان من الهجرة، أمّ المسلمين بالجامع

١-معرفة القراء، ج١، ص١٠٠؛ غاية النهاية، ج١، ص٢٨٨.

٢-معرفة القراء، ج١، ص١٥١؛ غاية النهاية، ج٢، ص٣٧٥.

٣-معرفة القراء ج١، ص١٩١؛ غاية النهاية، ج١، ص٢٥٥.

٤-معرفة القراء، ج١، ص١٩٣؛ غاية النهاية، ج١، ص٣٣٢.

٥-معرفة القراء ج١، ص١٠٢؛ غاية النهاية، ج١، ص٤٢٣.

الأمويّ في أيام عمر بن عبد العزيز؛ وتلقّى القراءة عن أبي الدرداء ﷺ[١] وغيره عن عثمان بن عفان ﷺ عن النبي ﷺ.

توفي – رحمه الله تعالى– بدمشق سنة ثمان عشرة ومائة(١١٨ هـ).

وراوياه هما: هشام وابن ذكوان.

فأمّا هشام[٢]: فهو ابن عمّار بن نصير بن ميسرة السلمي الدمشقي، وكنيته أبو الوليد، ولد سنة ثلاث وخمسين ومائة(١٥٣ هـ)؛ كان عالم أهل دمشق وخطيبهم ومفتيهم ومحدثهم ومقرئهم؛ توفي سنة خمس وأربعين ومائتين(٢٤٥هـ).

وأمّا ابن ذكوان[٣]: فهو عبد الله بن أحمد بن بشر – وقيل بشير – ذكوان بن عمر القرشي الدمشقي؛ يكنّى أبا عمرو؛ توفي بدمشق سنة اثنتين وأربعين ومائتين (٢٤٢ هـ).

٥– عاصم[٤]: هو ابن أبي النَّجُود، وقيل اسم أبيه عبد الله وكنيته أبو النّجود؛ انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة بعد أبي عبد الرحمن السلمي[٥]، وعنه تلقّى، وعن زرّ بن حبيش الأسدي[٦]، وأبي عمرو سعد بن إياس الشيباني[٧]، وقرأ هؤلاء الثلاثة على عبد الله بن مسعود ﷺ.

١– هو الصحابي الجليل عويمر بن زيد بن غنم أبو الدرداء الأنصاري الخزرجي حكيم هذه الأمة، وأحد الذين جمعوا القرآن حفظا على عهد رسول الله ﷺ وأوّل من ولي قضاء دمشق، قرأ عليه عبد الله بن عامر وزوجه أم الدرداء الصغرى، (ت٣٢هـ)، غاية النهاية، ج١، ص٥٠٦.

٢–معرفة القراء،ج١، ص١٩٥؛ غاية النهاية،ج٢،ص٣٥٤.

٣–معرفة القراء،ج١، ص ١٩٨، غاية النهاية،ج١،ص٤٠٤.

٤–معرفة القراء، ج١، ص٨٨؛ غاية النهاية،ج١، ص٣٤٨.

٥– هو عبد الله بن حبيب بن ربيعة أبو عبد الرحمن السلمي الضرير، مقرئ الكوفة، ولد في حياة النبي ﷺ ولأبيه صحبة، قرأ على عثمان وعلي وابن مسعود وزيد وأبيّ، وعنه كثير منهم: عاصم، والحسن والحسين رضي الله عنهما، كان ثقة كبير القدر، أقرأ الناس من زمن عثمان رضي الله عنه إلى أن توفي عام(٧٤هـ) وقيل(٧٣هـ)؛ معرفة القراء ج١، ص٥٢؛ غاية النهاية، ج١، ص٤١٣.

٦– هو زر بن حبيش بن حباشة بن بلال الأسدي أبو مريم الكوفي، تابعي جليل، روى عن عمر وعثمان وعلي وأبي ذر وغيرهم، ت(٨٣هـ)؛ غاية النهاية،ج١، ص٢٩٤.

٧– تابعي كبير أدرك زمن النبي ﷺ و لم يره، عرض على ابن مسعود ﷺ، ت(٩٦هـ) أو نحوها؛ غاية النهاية، ج١، ص٣٠٣.

توفي عاصم – رحمه الله تعالى – بالكوفة سنة سبع وعشرين و مائة (١٢٧هـ).

وراوياه هما: شعبة و حفص.

فأمّا شعبة[١]: فهو ابن عيّاش بن سالم الحنّاط الأسدي النهشلي الكوفي؛ وكنيته أبو بكر، ولد سنة خمس وتسعين من الهجرة(٩٥ هـ)؛ وتوفي – رحمه الله تعالى – سنة ثلاث وتسعين ومائة (١٩٣هـ).

وأمّا حفص[٢]: فهو ابن سليمان بن المغيرة بن أبي داود الأسدي الكوفي؛ ولد سنة تسعين من الهجرة(٩٠ هـ)، وكان أعلم أصحاب عاصم بقرائته؛ توفي سنة ثمانين و مائة (١٨٠هـ) على الصحيح.

٦- حمزة[٣]: هو ابن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الكوفي، ولد سنة ثمانين من الهجرة (٨٠ هـ)، وأدرك بعض الصحابة، تلقّى القراءة عن أبي حمزة عمران بن أعين[٤]، وأبي محمد طلحة بن مصرّف اليماني[٥]، وغيرهما.

توفي- رحمه الله تعالى- سنة ست وخمسين ومائة(١٥٦ هـ)، بحلوان مدينة بالعراق.

وراوياه هما: خلف و خلاّد يرويان عن سليم عن حمزة.

فأمّا سليم[٦]: فهو أبو عيسى سليم بن عيسى الحنفي؛ توفي سنة تسع وثمانين ومائة (١٨٩هـ) بالكوفة.

وأمّا خلف[٧]: فهو ابن هشام بن ثعلب الأسدي البغدادي، وكنيته أبو محمّد، ولد سنة خمسين ومائة (١٥٠ هـ)؛ أخذ القراءة عن سليم، و غيره عن حمزة؛ وقد اختار

١-معرفة القراء، ج١، ص١٣٤؛ غاية النهاية، ج١، ص٣٢٥.

٢-معرفة القراء، ج١، ص ١٤٠؛ غاية النهاية، ج١، ص٢٥٤.

٣-معرفة القراء ج١، ص١١١؛ غاية النهاية، ج١، ص٢٧١.

٤- مقرئ كبير، أخذ عن يحيى بن وثاب وغيره، توفي في حدود الثلاثين والمائة أو قبلها؛ غاية النهايةج١، ص٢٦١.

٥- تابعي كبير، له اختيار في القراءة ينسب إليه، كان يسمى سيد القراء، (ت ١١٢هـ)؛ غاية النهايةج١، ص٣٤٣.

٦- معرفة القراء، ج١، ص ١٣٨؛ غاية النهاية، ج١، ص٣١٨.

٧- معرفة القراء، ج١، ص٢٠٨؛ غاية النهاية، ج١، ص٢٧٣.

لنفسه قراءة خالف فيها حمزة، وهي معدودة في القراءات العشر المتواترة؛ توفي – رحمه الله تعالى – سنة تسع وعشرين ومائتين(٢٢٩ هـ).

و أما خلاّد[١]: فهو ابن خالد الشيباني مولاهم، الصيرفي الكوفي، وكنيته أبو عيسى؛ ولد سنة تسع عشرة (١١٩ هـ)، وقيل سنة ثلاثين ومائة(١٣٠ هـ)؛ ووفاته سنة عشرين ومائة(١٢٠ هـ).

٧ـ الكسائي[٢]: هو علي بن حمزة بن عبد الله، النحوي المشهور، المكنّى بأبي الحسن، لقّب بالكسائي لأنّه أحرم في كساء؛ تلقّى القراءة عن خلق كثير منهم: حمزة الزيّات، وعاصم بن أبي النّجود، وأبي بكر بن عياش.

توفي – رحمه الله تعالى – سنة تسع و ثمانين و مائة(١٨٩ هـ).

وراوياه هما: الليث والدّوري.

فأمّا الليث[٣]: فهو ابن خالد المروزي البغدادي، وكنيته أبو الحارث؛ توفي سنة أربعين ومائتين (٢٤٠ هـ).

وأمّا الدّوري: فهو حفص الدّوري راوي قراءة أبي عمرو، وقد تقدّمت ترجمته.

فهؤلاء هم القراء السبع ورواتهم، وقد أفردت لقراءاتهم – خاصة – كتب كثيرة بدءا من سبعة ابن مجاهد الذي هو أوّل من خصّ هؤلاء دون غيرهم، وعلى نهجه سار الكثير ممن جاء بعده من أئمة القراءة، إن لم نقل أغلبهم في الاقتصار على هؤلاء.

وقد كان تأليف العلماء في قراءة هؤلاء تبعا لرواياتها التي يأخذونها عن مشايخهم، فاختلفت بذلك أوجه القراءة عن هؤلاء بسبب اختلاف الطرق عنهم، فكان كلّ مؤلف ينقل ما رواه وتلقّاه عن مشايخه، ومن أهمّ ما ألّف في هذه القراءات:

- كتاب السبعة، لابن مجاهد أبي بكر أحمد بن موسى(مطبوع)
- كتاب الإرشاد في القراءات السبع، لأبي الطيب ابن غلبون[٤](مطبوع).

١-معرفة القراء، ج١، ص٢١٠؛ غاية النهاية، ج١، ص٢٧٤.

٢-معرفة القراء ج١، ص١٢٠؛ غاية النهاية، ج١، ص٥٣٥.

٣-معرفة القراء، ج١، ص٢١١؛ غاية النهاية، ج٢، ص٣٤.

٤- هو: أبو الطيب عبد المنعم بن غلبون الحلبي نزيل مصر، الشافعي المقرئ، أخذ عنه ولده طاهر، وأبو عمرو الطلمنكي، ومكي القيسي وغيرهم، ت(٣٨٩هـ)؛ معرفة القراء، ج١، ٣٥٥؛ غاية النهاية، ج١، ص٤٧٠.

- كتب الإمام أبي عمرو الداني[١]، التيسير في القراءة السبع، وجامع البيان، وغيرهما(مطبوعان).
- كتاب الهداية في القراءات السبع، للمهدوي[٢].
- كتاب التبصرة في القراءات السبع، لمكي بن أبي طالب القيسي[٣](مطبوع).
- كتاب الإقناع في القراءات السبع، لابن الباذش[٤](مطبوع).
- تلخيص العبارات بلطيف الإشارات في القراءات السبع لابن بلّيمة[٥](مطبوع).
- العنوان في القراءات السبع لأبي طاهر إسماعيل ابن خلف الأنصاري[٦](مطبوع).
- الكافي في القراءات السبع، لابن شريح[٧](مطبوع).

وغيرها من الكتب، هذا إضافة إلى كتب أخرى شملت هؤلاء السبع وغيرهم كالكتب التي ألفت في القراءات العشر أو الثمان أو الأربعة عشر وغيرها؛أو الكتب التي أفردت لأحد هؤلاء الأئمة القراء السبعة، إلاّ أنّ أشهر هذه الكتب هو كتاب التيسير

١- هو أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر الأموي مولاهم، القرطبي ثم الداني، الإمام الحافظ الكبير، وشهرته تغني عن تعريفه، له من التآليف ما يفوق المائة، أغلبها في علوم القراءات، وأشهر هذه الكتب على الإطلاق التيسير في القراءات السبع، ت(٤٤٤هـ)؛ معرفة القراء، ج١، ص٤٠٦؛ غاية النهاية ج١، ص٥٠٣.

٢- هو أبو العباس أحمد بن عمّار المهدوي، مقرئ، نحوي مفسر من كتبه الهداية وشرحها، وتفسيره، ت(٤٤٠هـ)؛ معرفة القراءج١، ص٣٩٩، غاية النهايةج١، ص٩٢

٣- هو الإمام أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي القيرواني ثم القرطبي، كان مقرئا فقيها نحويا، له كتب كثيرة في علوم القرآن منها: الكشف عن وجوه القراءات، وتفسيره المسمى بالهداية وغيرها، ت(٤٣٧)؛ معرفة القراء، ج١، ص٣٣٣؛ غاية النهاية، ج٢، ص٣٠٩،

٤- هو أبو جعفر أحمد بن علي بن أحمد بن خلف بن الباذش الأنصاري الغرناطي نحوي مقرئ، ت(٥٤٠هـ)؛ غاية النهايةج١، ص٨٣.

٥- هو أبو علي الحسن بن خلف بن عبد الله بن بليمة القيرواني، نزيل الإسكندرية ت(٥١٤هـ)؛ معرفة القراء، ج١، ص٤٦٩؛ غاية النهايةج١، ص٢١١.

٦- هو أبو الطاهر إسماعيل بن خلف سعيد بن عمران الأنصاري الإشبيلي، الأندلسي؛ إمام مقرئ أديب محدث، ولي خطابة إشبيلية وقضاءها، ت(٤٥٥هـ)، معرفة القراء، ج١، ص ٤٢٣؛ غاية النهاية، ج١، ص١٦٤.

٧- محمد بن شريح بن أحمد بن شريح أبو عبد الله الرعيني الإشبيلي، له مصنفات، كان من جلة المقرئين وخيارهم، (ت ٤٧٦هـ)؛ معرفة القراء، ج١، ص٤٣٤، غاية النهاية، ج٢، ص١٥٣.

للإمام أبي عمرو الداني، الذي تداوله القراء وعنوا بحفظه، والقراءة والإقراء به،وتلقوه بالقبول، والذي جعله كذلك هو ما كان لهذا المؤلّف من المنزلة العظيمة، والتفرّد في المعرفة بهذا العلم وإتقانه، ثم سهولة هذا الكتاب بما حباه به مؤلّفه من الاختصار، وحسن التبويب والترتيب.

وقد جعل الإمام الداني كتابه هذا مشتملا على طرق انتقاها من بين طرق كثيرة يرويها عن مشايخه، وطريقته في انتقاءها أنّه جعل لكل قارئ راويَيْن ولكل راو طريقا واحدا فقط.

وتفصيل هذه الطرق كما يأتي:

فقراءة نافع من رواية قالون من طريق أبي نشيط محمد بن هارون المروزي (ت٢٥٨هـ) [١]، ومن رواية ورش من طريق أبي يعقوب يوسف بن عمرو بن يسار الأزرق (ت ٢٤٠هـ) [٢].

وقراءة ابن كثير من رواية البزي من طريق أبي ربيعة محمد بن إسحاق بن وهب بن أعين بن سنان الربعي المكي (ت ٢٩٤هـ)[٣]، ومن رواية قنبل من طريق أبي بكر أحمد بن مجاهد.

وقراءة أبي عمرو من رواية الدوري من طريق أبي الزعراء عبد الرحمن بن عبدوس توفي سنة مائتين وبضع وثمانين[٤]، ومن رواية السوسي من طريق أبي عمران موسى بن جرير النحوي (ت ٣١٦هـ)[٥].

وقراءة ابن عامر من رواية هشام من طريق أبي الحسن أحمد بن يزيد الحلواني (ت ١٥٠هـ)[٦]، ورواية ابن ذكوان من طريق أبي عبد الله هارون بن موسى الأخفش (ت ٢٩٢هـ)[١].

١-معرفة القراء، ج١، ص٢٢٢؛ غاية النهاية ج٢، ص٢٧٢.

٢-معرفة القراء، ج١، ص١٨١؛ غاية النهاية ج٢، ص٤٠٢.

٣-معرفة القراء، ج١، ص٢٢٨؛ غاية النهاية ج٢، ص٩٩.

٤-معرفة القراء، ج١، ص ٢٣٨؛ غاية النهاية ج١، ص٣٧٣.

٥-معرفة القراء، ج١، ص٢٤٥؛ غاية النهاية ج٢، ص٣١٧.

٦-معرفة القراء، ج١، ص٢٢٢؛ غاية النهاية ج١، ص١٤٩.

وقراءة عاصم من رواية شعبة من طريق أبي زكريا يحيى ابن آدم الصلحي (ت ٢٠٣هـ)[٢]، ومن رواية حفص من طريق أبي محمد عبيد بن الصباح النهشلي (ت ٢١٩هـ)[٣].

وقراءة حمزة من رواية خلف من طريق أبي الحسن أحمد بن عثمان بن محمد بن جعفر بن بويان (ت٣٤٤هـ)[٤]، عن أبي الحسن إدريس بن عبد الكريم الحداد (ت ٢٩٢هـ)[٥] عنه، ومن رواية خلاّد من طريق أبي بكر محمد ابن شاذان الجوهري (ت ٢٨٦هـ)[٦].

وقراءة الكسائي من رواية الليث من طريق أبي عبد الله محمد بن يحيى البغدادي المعروف بالكسائي الصغير (ت٢٨٨)[٧]، ورواية الدوري من طريق أبي الفضل جعفر بن محمد بن أسد النصيبي المعروف بابن الحمامي (ت ٣٠٧هـ)[٨].

وزاد في أهمية وذيوع كتاب التيسير، ما فعله الإمام أبو القاسم بن فيرّه الشاطبي[٩] حيث نظمه في قصيدته اللاّمية السائرة " حرز الأماني ووجه التهاني " المشهورة بالشاطبية، فبلغ فيها من الحسن والإيجاز و التحرير كلّ مبلغ، وصرفت إليها همم الناس بالشرح والدرس، حتى سيطرت وأصلَها على الإقراء، وكاد التأليف في فنّ القراءات يقتصر على ما تعلق بها، وأوشكت الرواية أن تنحصر في طرقها، ويصوّر لنا الإمام ابن الجزري هذا

١-معرفة القراءج١، ص٢٤٧؛ غاية النهايةج٢، ص٣٤٧.

٢-معرفة القراءج١، ص ١٦٦؛ غاية النهايةج٢، ص٣٦٣.

٣-معرفة القراء، ج١، ص٢٠٤؛ غاية النهايةج١، ص٤٩٥.

٤-معرفة القراء، ج١، ص ٢٩٢؛ غاية النهايةج١، ص٧٩.

٥-معرفة القراء، ج١، ص ٢٥٤؛ غاية النهايةج١، ص١٥٤.

٦-معرفة القراء، ج١، ص ٢٥٥؛ ابن الجزري، غاية النهايةج٢، ص١٥٢.

٧-معرفة القراء، ج١، ص٢٥٦؛ غاية النهايةج٢، ص٢٧٩.

٨-معرفة القراء،،ج١، ص ٢٤٢؛ غاية النهايةج١، ص١٩٥.

٩- هو الإمام الصالح المقرئ الضرير، القاسم بن فيره بن خلف بن أحمد، الشاطبي الأندلسي؛ كان عالما بالقراءات بالحديث والتفسير واللغة، وهو صاحب المنظومات الرائقة في علوم القراءات، اللامية في القراءات السبع، والرائيتين في الرسم وعدّ الآي، كل واحدة نظم فيها كتابا من كتب الإمام الداني رحمه الله تعالى؛ ت(٥٩٠هـ)؛ معرفة القراء، ج٢، ص٥٧٣؛ غاية النهايةج٢، ص٢٠.

فيقول:"... ونُسِيَ غالبُ الروايات الصحيحة المذكورة، حتى كاد الناس لم يثبتوا قرآنا إلا ما في الشاطبية والتيسير..."[1]، وبسبب هذا الانتشار الواسع للمنظومة وأصلها، كثرت المؤلّفات حولها، من شارح، ومختصر، ومحرّر، ومنتقد، ومكمّل، ومعارض، ومن مؤلّف للقراءات من طريقها، ولازالت التآليف تنسج حولها إلى يومنا هذا.

وقد اشتهر من هؤلاء الذين عنوا بهذا الشأن في العصور المتأخّرة، الإمام أبو الحسن علي النّوري الصفاقسي، بكتابه "غيث النفع في القراءات السبع"، وهذا الإمام من علماء ومقرئي القرن الحادي عشر؛ الذي تربّع بكتابه هذا مكانا مرموقا في هذا العلم، وأحيى به ما كاد يطمس من معالمه.

وما هذا البحث الذي أنا بصدد جمعه، إلاّ محاولة منّي لدراسة هذا الكتاب الذي هو عيّنة لما بذله سلفنا من جهود في علم القراءات عموما، وفي السبع من طريق هذه القصيدة بصفة أخصّ، مضافا إليه ما تعلّق بذلك من عرض لحياة المؤلّف وسيرته، وقبله تقديم بذكر أهمّ ما ميّز الحياة السياسية والعلميّة في القرن الحادي عشر الهجري عصر هذا الإمام رحمه الله تعالى.

١- النشر، ج١، ص٥٤.

الفصل الأول:

عصر الإمام الصفاقسي وحياته

وفيه مبحثان:

الأول: الحياة السياسية والعلمية في عصر الإمام الصفاقسي

الثاني: حياة الإمام الصفاقسي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول:

عصر الإمام الصفاقسي وحياته

وفيه مبحثان:

الأول: الحياة السياسية والعلمية في عصر الإمام الصفاقسي

الثاني: حياة الإمام الصفاقسي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الأول:

الحياة السياسية في عصر الإمام الصفاقسي

أ. لمحة عن حال العالم الإسلامي في هذا العصر:

كانت المدة التي عاشها الشيخ عليّ النوري الصفاقسي، والتي تفوق نصف قرن من الزمن، وتمتد مابين سنتي ثلاث وخمسين وألف، وثمان عشرة ومائة وألف للهجرة (١٠٥٣هـ/ ١١١٨هـ)، (١٦٤٣م/١٧٠٦م)؛ كانت مدة مليئة بالأحداث والتقلّبات في العالم الإسلامي، وقد بدا فيها بكلّ وضوح ضعف المسلمين، إذ كانت الفتن والحروب يسوق بعضها بعضا، بين المسلمين أنفسهم من جهة، وبينهم وبين أعدائهم الصليبيين الأوربيين، من جهة أخرى، الذين مافتئوا يوجهون مدافعهم صوب العالم الإسلامي شرقا وغربا، شمالا وجنوبا.

وفي هذه المدة، كانت زعامة الدول الإسلامية للدولة العثمانية، "التي كانت أقوى الدول الإسلامية، بل كانت من دول العالم الكبرى، إن لم نقل أعظمها" [١]؛ "... فقد اتسعت مساحتها، لتشمل المنطقة العربية كلّها - باستثناء المغرب الأقصى - إضافة إلى شرق إفريقيا، وأجزاء من تشاد، كما ضمّت بلاد التتار في شمال البحر الأسود، وقبرص، وما أخذته من أوربا؛ و لم يخرج عن دائرتها آنذاك، سوى جنوب شرق آسيا، والمغرب الأقصى، وأواسط إيران، وبلاد الأفغان" [٢].

ولقد كان هذا العصر عصر صراع سياسيّ واسع بين الإسلام الذي تمثله الدولة العثمانية، والمسيحيةِ التي تمثّلها الدول الأوربية مجتمعة و مفترقة؛ وكان مسرح هذا الصراع

---

١ - التاريخ الإسلامي، محمود شاكر، ج٨، ص٥.

٢ - المصدر نفسه، ج٨، ص٣١.

المبحث الأول

الحياة السياسية والعلمية في عصر الإمام الصفاقسي

وفيه مطلبان:

الأول: الحياة السياسية.

الثاني: الحياة العلمية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

هو البحر الأبيض المتوسط، بشواطئه الشمالية والجنوبية، ويتوسع ليشمل أغلب مناطق الدولة العثمانية[١].

وكانت الدولة العثمانية في هذه الحروب، تتراوح بين النصر والهزيمة، وبدت عليها علامات الضعف، فاتّسم هذا العصر - عصر ضعف الدولة العثمانية، والذي يدخل ضمنه الفترة التي نحن بصددها - " ... في الجملة، بأنّ الخطّ البيانيّ للدولة العثمانية، بدأ في الهبوط باستمرار، وإن كان يتوقف في بعض الأحيان عن الهبوط، ويسير مستويا في بعض المراحل، لقوة بعض الخلفاء النسبية، أو لهمّة حاشيتهم، وخاصة الصدر الأعظم."[٢]، فهيبتها التي اكتسبتها أيام عزّها في القرن العاشر، لم تزُل بالكامل، بل لم يزل يحسب لها الحساب من القوى الصليبية[٣]، ولذلك كانت تلجأ هذه الدول في كثير من الأحيان، إلى التحالف ضدّها[٤].

وأهمّ مظاهر هذا الصراع، تلك الحروب التي كانت تخوضها الدولة العثمانية في منطقة أوربا، وغرب آسيا وشمالها، وقد حقّقت فيها بعض الانتصارات[٥]، كما منيت في المقابل بهزائم، وكان أشدّها وأخطرها وقعا على الدولة، هزيمتها إثر فشلها في حصارها لمدينة فيينّا عاصمة النمسا، وحدث ذلك عام أربع وتسعين وألف للهجرة (١٠٩٤هـ/١٦٨٤م)، وهو حدث حاسم في التاريخ، حيث أخذت الجيوش العثمانية في التراجع، وتوالت عليها الهزائم، أمام ما عرف بالتّحالف المقدّس، وأُرغِمت على توقيع صلح فارلوفوجة[٦]، ثم معاهدة كارلوفيتس عام عشر و مائة وألف للهجرة

---

١ - منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، عبد الكريم الفكون، ت أبو القاسم سعد الله، م(مقدمة المحقق) ص٨.

٢ - من أهم هذه التحالفات ما عرف بالتحالف المقدس، الذي شكله كل من: بولونيا، مملكة روسيا، البابا، البندقية، النمسا، رهبنة مالطا. انظر: التاريخ الإسلامي، ج٨، ص١٣٩-١٤٠؛ فريد بك المحامي، محمد تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص٣٠١-٣٠٢.

٣ - التاريخ الإسلامي، ج٨، ص ١١٠، وقوله:"خاصة الصدر الأعظم "يشير به إلى عائلة كوبريلي، التي خدمت الدولة أيما خدمة. وانظر: تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص٣٠١-٣٠٢.

٤ - محمد أحمد عبد الرحيم مصطفى، أصول التاريخ الإسلامي، ص٥٤.

٥ - من انتصاراتها: فتح كريت عام (١٠٥٥هـ)، وموراقيا (في جمهورية يوغسلافيا سابقا)، وسليزيا (في بولونيا)، وفتح قلعة نوهزل أعظم قلعة في النمسا، وغير ذلك. انظر التاريخ الإسلامي، ج٨، ص ١٣٥، ١٣٨، ١٣٩.

٦- أصول التاريخ الإسلامي، ص١٥٥؛ وقال بعدها: "وقد وصف هذا الصلح بأنه أول تفكيك لأوصال الإمبراطورية العثمانية". التاريخ الإسلامي، ج٨، ص١٣٩، ١٤٠.

(١١١٠هـ/١٦٩٩م)، وبهذه المعاهدة فقدت الدولة العثمانية جزءا ليس بالقليل من أراضيها ومدنها، ومنذ هذا التاريخ تمّ الاتفاق بين جميع الدول، على الوقوف أمام تقدم الدولة العثمانية، ثم تقسيم بلادها شيئا فشيئا[١].

ولم تقتصر هذه الحروب على المناطق المذكورة آنفا، بل شملت ولايات أخرى من الدولة[٢]، ولكنّها لم تكن بنفس القوة والضراوة التي شهدتها تلك المناطق.

كانت هذه حال الوضع الخارجيّ؛ أمّا داخليًّا فقد عرفت عاصمة الدولة، والمناطق القريبة منها، عدة اضطربات و ثورات، من الإنكشارية[٣] تارة، ومن السباه[٤] تارة أخرى؛ كما لم تسلم من ثورة الأهالي[٥].

وكذلك عرفت المناطق البعيدة من العاصمة صراعات سياسيّة وعسكرية، بين نوابها سواء في الولاية الواحدة كما حدث في تونس - وسيأتي تفصيله-، أوبين ولايتين، كما كان الحال بين الجزائر وتونس[٦].

هذا وما خرج عن حكم الدولة العثمانية من البلاد الإسلامية، لم يكن أحسن حالا منها.

فالمغرب الأقصى، كان الصراع فيه على أوجه بين السعديين والأشراف العلويين، استعان فيه بعضهم على بعض بالكفار الصليبيين، من الإسبان والبرتغاليين، الّذين كانوا

١- تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص، ٣١٠.

٢ -مثال ذلك ما كان يحدث من هجمات على الجزائر، من الأساطيل الفرنسية والإنجليزية، بل كانت لا تزال وهران تحت سيطرة الإسبان؛ انظر: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، مبارك بن محمد الهلالي الميلي، ج٣، ص١٧٥، ١٧٧، ٢٠٥.

٣ - الإنكشارية: هم جيش من الشبان من أسرى الحرب، رُبّوا تربية إسلامية عسكرية، وسُمُّوا:"يني تشاري " أي الجيش الجديد، ثم حرف في العربية فصار إنكشاري، وارتقى هذا الجيش ليكون أكبر وأهم عوامل امتداد الدولة، كما أنهم خرجوا فيما بعد عن الحدود، وصاروا من أسباب تأخّر الدّولة؛ انظر: تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص١٢٣.

٤ - السباه:كلمة تركية تعني الفارس والسباهيون قوة من الخيالة العثمانية أنشأها في القرن الرابع عشر الميلادي السلطان مراد الأول؛ انظر: الموسوعة العسكرية، المقدم الهيثم الأيوبي ورفاقه، ج٣، ص٧٦٢.

٥- تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص٢٨٩.

٦ - تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج٣، ص ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨.

يحتلّون شواطئ البلاد، ولكنّها عرفت في أيام السلطان إسماعيل[١] العلويّ الاستقرار والرخاء؛ حيث استطاع تحرير كثير من المدن من أيدي الصليبيين[٢].

وأمّا الدولة المغولية في بلاد الهند، فقد صارت إلى حالة سيئة من الضعف وعدم الاستقرار؛ كما أنّ الصليبيين كانوا قد وصلوا إليها بدءا بالبرتغاليين، ثم الهولنديين فالإنجليز[٣].

أمّا إيران، الّتي حكمها الصفويون الشيعة، والتي أذكت نارُ الخلافِ المذهبي الحربَ بينها وبين العثمانيين، فقد بدأ يتخللها الضعف منذ عام سبع وثلاثين وألف للهجرة (١٠٣٧هـ)، ولم تزل كذلك حتى قضى عليها الأفغان، عام خمس وثلاثين و مائة وألف للهجرة (١١٣٥هـ/ ١٧٢٣م)[٤].

هذا بإيجاز شديد حال العالم الإسلامي، و الذي يظهر منه شدة المحن، والاضطرابات، التي كانت تعصف بالمسلمين شرقا وغربا، ممّا سيكون له بالغ الأثر، على حياة الأفراد والجماعات، في شتى أنحائها ومجالاتها.

وإذ وصلنا إلى هذا، فلنضيّق المجال أكثر، ولْنتكلم عن تونس، وما كان يدور فيها من أحداث.

ب: الحياة السياسية في تونس في هذا العصر:

استقر العثمانيون بالمغرب، في الوقت الذي كانوا فيه في غاية الاتساع والمجد، فبعد دخولهم الجزائر وطرابلس، حاولوا السيطرة على تونس، وكانت تعرف حالة من الفوضى، بسبب ما كان عليه السلطان الحفصي من ضعف، وتعاون مع الإسبان؛ حيث مكّنهم من احتلال البلاد و إفسادها، وقد نجح العثمانيون بعد محاولات، في ضم البلاد التونسية، إلى

---

١ – هو: إسماعيل بن محمد، الشريف الحسني العلوي الطالبي المراكشي؛ من كبار ملوك الإسلام وخلفائهم في المغرب، كانت أيامه أسعد أيام الدولة العلوية، دامت خلافته سبعا وخمسين سنة، (١٠٥٦هـ/ ١٦٤٥م) (١١٣٩هـ/١٧٢٧م)، ولا يعرف في ملوك الإسلام من ولي مدته؛ انظر الأعلام، ج٣، ص٣٢٤.

٢ – التاريخ الإسلامي، ج٨، ص٥٣٩.

٣ – التاريخ الإسلامي، ج٨، ص٤١٥.

٤ – المصدر نفسه، ج٨، ص٣٩٠.

سلطانهم، وتخليصها من الصليبيين الإسبان، عام واحد وثمانين وتسعمائة (٩٨١هـ/١٥٧٤م)، ومنذ هذا التاريخ، أصبحت البلاد التونسية ولاية عثمانية[١]، اصطبغت سياستها بمبادئ وتقاليد الدولة العثمانية[٢].

وقد قام نظام الحكم في هذه الولاية أوّلَ الأمر، على تقسيم السلطة بين ثلاث موظفين[٣]:

- الباشا: وهو الوالي المتصرّف على النّظام الإداري، يُعَيَّن من قِبل السلطان العثماني، ويكون له مطلق التصرف في عمل ما يراه مناسبا، دون الرجوع إلى السلطان، ومدة ولايته ثلاث سنوات[٤].

- الداي: هو المكلّف بأمر الجيش، الذي يساند الباشا في حكمه.

- الباي: وهو المكلّف بجمع الأموال، واستخلاص الجبايات.

ولكنّ هذا النظام سرعان ما آل إلى الخيبة، فقد أخذ الجند- أي: قادتهم وهم الدايات- يَستَبِدُّ بالوالي حتى صار لا يُبرِم أمرًا ولا ينقضه، وانتصب بذلك الدايات للحكم، ووضعوا نظام حكم للنيابة، على أساس تقسيمها بين بكوات مسؤولين على الإدارة، ومسؤولين في نفس الوقت على جمع مبلغ معيّن من الضرائب[٥].

ومع الزمن زادت سلطة هؤلاء البكوات، وأصبح رئيس النيابة يُسمَّى "الباي"، وتوطّدت سلطتهم أكثر حين حصل أحد البايات، وهو مراد[٦] باي الأول، على لقب الباشا من السلطنة العثمانية، ومنذ ذلك الحين أخذت وظيفة الباي أهمية كبرى، وتحوّل

١- أما مدينة صفاقس، فقد انضوت تحت الحكم العثماني بطرابلس الغرب قبل هذا التاريخ، وذلك سنة (٩٧٢هـ/١٥٦٤م)، واستمرت كذلك حتى ألحقت بتونس سنة (٩٩٩هـ/١٥٩١م)؛ انظر : النشاط المعماري في مدينة صفاقس في العهد العثماني، الأزهر الكسراوي في: المجلة التاريخية المغربية ، ع٤٥-٤٦، س١٤، ١٩٨٧، ص٧٣، هامش رقم:٢.

٢ - الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، محمد العروسي المطوي، ص٢٧٦؛ موسوعة التاريخ والحضارة الإسلامية، أحمد شلبي، ج٤، ص٣٠٦.

٣- الحلل السندسية في الأخبار التونسية، الوزير السراج، ت الحلل السندسية، (مقدمة المحقق)، (مقدمة المحقق) ج١، ص٤٣.

٤- الحروب الصليبية في المشرق والمغرب ، ص٢٧٦.

٥- المصدر نفسه، ص٢٧٧.

٦ - توفي عام (١٠٤١هـ/ ١٦٣٢م)، انظر: الحلل السندسية ، ج٢، ص٣٥٧، ٣٦٥.

النفوذُ إليهم شيئا فشيئا، إلى أن استقلّوا بالأمر تماما، بعد وفاة الداي أسطا مراد سنة خمسين وألف للهجرة (١٠٥٠هـ/١٦٤١م)[١].

وقد استطاع مراد باي[٢]، توريث لقب الباشا لأبنائه؛ فأسّس بذلك أسرة حكمت البلاد أكثر من ستة عقود من الزمن، أي من سنة خمسين وألف للهجرة إلى غاية السنة الرابعة عشرة من القرن التالي (١٠٥٠هـ/١٦٤١م) إلى (١١١٤هـ/ ١٧٠٢م)[٣].

وشكّلت هذه الأسرة دويلة مستقلة، تعود بالنظر والاسم إلى الدولة العثمانية، الذي اقتصرت مهمّتها على الموافقة على الولاة، وتشريفهم بالألقاب، و لم تكن لها مصلحة ثابتة، في تعيين أحد أو خلعه، مادام ملتزما بدفع الإتاوة[٤].

والرّاصد لمسيرة هذه الدويلة يميّز بين ثلاث مراحل:

فأولها مرحلة قوة واستقرار تبدأ من تاريخ استقلال البايات بالحكم، عام خمسين وألف للهجرة، (١٠٥٠هـ/١٦٤١م)، في عهد ثاني الأسرة المرادية، حمودة باشا[٥]، وتنتهي بوفاة ابنه مراد[٦] باي الثاني، عام ست وثمانين وألف للهجرة، (١٠٨٦هـ/١٦٧٦م).

وتميّزت هذه المرحلة بحسن ترتيب أمور النيابة والقيام عليها وضبطها[٧]، وعرفت بعدل الباي وصرامته في حكمه بقمع أهل الفساد من الجند، وغيرهم، مما قَلّ الاضطراب،

---

١ – تاريخ المغرب الكبير، جلال يحيى، مج٣، ص٥٥؛ خلاصة تاريخ تونس، حسن حسني عبد الوهاب، ص١٣٩.

٢– انظر أخباره في: الحلل السندسية ، ج٢، ص٣٦٥

٣ – الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، ص٢٧٦.

٤– تاريخ المغرب الكبير، ج٣، ص٥٦؛ و الحلل السندسية، (مقدمة المحقق) ج١، ص، ٤٣.

٥ – هو حمودة باشا بن مراد باشا تولى بعد أبيه عام (١٠٤١-/١٦٣٢م) وتقلد رتبة الباشوية عام (١٠٦٨هـ/١٦٥٦م) وفي نفس الوقت تخلى عن الحكم لأكبر بنيه وعقد لأولاده على النواحي. عاش بعدها حتى سنة (١٠٧٦هـ/ ١٦٦٦م)، وقد كان حسن السيرة شجاعا كريما، أمنت البلاد في مدته أمنا لا عهد لها بمثله؛ انظر: المؤنس، المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، ص٢١٦؛ الحلل السندسية، ج٢، ص٣٦٦، ٣٧١؛ إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، ابن أبي الضياف، مج١، ج٢، ص٣٦، ٣٧؛ شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد مخلوف، ص٦٥٨.

٦ – هو مراد بن حمودة باشا، تولى في حياة أبيه، كان شجاعا كريما منصفا، استقام له أمر الولاية، توفي عام(١٠٨٦هـ/١٦٧٦م)، المصدر نفسه.

٧ – من ذلك ترتيب أوجاق الصبايحية – وهي تشبه مهمة الشرطة في العصر الحاضر–، تقوم على حفظ الأمن بالعاصمة وغيرها من المدن؛ انظر: شجرة النور، ص٦٦٨؛ خلاصة تاريخ تونس، حسن حسني عبد الوهاب، ص١٤٠.

وكفَّ البغي؛ بل إنّ القضاء على الفوضى، تجاوز حدود الولاية، حين هـــرع البـــاي إلى طرابلس، لنجدة واليها [١]، وكنتيجة لهذه السياسة خلت الساحة من المناوئين واستقرّ الأمر في الولاية[٢] وظهر في البلاد، بايات عُرفوا بالعدل والصلاح مثل: أحمد خوجة[٣]، ومحمد لاز[٤]، ومصطفى لاز[٥].

ولم تكن تولية الداي في أكثر هذه المرحلة بيد الباي، بل كان مستقلاً عنه، ممّا جعل أهل السوء منهم يتربصون للكيد بالبايات، كمثل فعل الداي شعبان خوجة[٦]، والـــداي علي لاز[٧]، ورغم أنّ مسعى هذا الأخير قد أوقع بعض الفتنة، إلاّ أنّ الدّاي مرادا، ظفر به وقتله ومَن معه، في وقعة الملاّسين المشهورة، ســـنة أربـــع وثمـــانين وألـــف للـــهجرة، (١٠٨٤هـــ/١٦٦٤م)، ومنذ هذا الحين صارت تولية الداي بأيدي البايات؛ فأُمِن شرّهم وخَفَّ كيدهم[٨].

و من أهمّ أحداث هذا العهد غارة مراكب الإنجليز على البلاد، عام خمس وســـتين وألف للهجرة، (١٠٦٥هـــ/١٦٥٥م)، ويجدر بيَ الإشارة إلى أنّ الأســـطول التونســـي، كان قويا مهابا في عهد الدّايات، حتّى اشتكت منه الدول الأوربية، فلمّا جـــاء عصـــر البايات، أُهملت سياسة الجهاد البحريّ، لكونهم من رجال البَرّ، لا من رجال البحر[٩].

---

١ – انظر: الحلل السندسية، ج٢، ص٤٠٨؛ وشجرة النور، ص٦٥٨؛ خلاصة تاريخ تونس، ص١٤٠، ١٤١.

٢ – المصدر نفسه

٣ – تولّى عام (١٠٥٠هـــ/ ١٦٤٠م)إلى (١٠٥٧هـــ/١٦٤٧م)، وإليه يعود الفضل في إحياء المدرستين الشماعية والمنتصرية؛ انظـــر أخباره في: الحلل السندسية، ج٢، ص ٣٩٥-٤٠٩؛ وإتحاف أهل الزمان، مج١، ج٢، ص٣٨.

٤ – تولّى عام (١٠٥٧هـــ/١٦٤٨م)إلى(١٠٦٣هـــ/ ١٦٥٣م)، ومن عدله أنه كان يجلس كل عشية لسماع المظالم بنفسه؛ إتحـــاف أهل الزمان ، مج١، ج٢، ص٣٩.

٥ – تولّى (١٠٦٣هـــ/ ١٦٥٣م)إلى (١٠٧٥هـــ/م١٦٦٥م)؛ كان خيّرا تقيا فاضلا، معظّما لحرمات الله؛ المصدر نفسه، مج١، ج٢، ص٤٠.

٦ – تولّى من (١٠٨١هـــ/١٦٧٠م) إلى (١٠٨٢هـــ/م١٦٧١م)؛ المصدر نفسه، مج١، ج٢، ص٤٥.

٧ – تولّى(١٠٨٣هـــ/١٦٧٣م) إلى (١٠٨٤هـ-/١٦٧٢م)؛ المصدر نفسه، مج١، ج٢، ص٤٥، ٤٦.

٨ – المؤنس، ص٢٢٩؛ شجرة النور ، ص٦٢٦؛ وممّا يدل على عظم وقعة الملاّسين أنّ الباي بعث وفودا إلى الباب العالي موضحا مـــا وقع.

٩ – المؤنس، ص٢٠٦؛ وتاريخ المغرب الكبير، مج٣، ص٥٥؛ قال في الحلل السندسية، ج٢، ص٤٠٨:"سنة (١٠٥٥هـــ/ ١٦٤٥م-١٦٤٦م) وردت الأوامر السلطانية في شأن تجهيز المراكب للجهاد ... وكذلك في السنة التي تليها، ثم قطعت هذه العوائد...لما حلّ

وثاني مراحل هذه الدويلة تمتدّ أكثر من عشرين سنة، بدايةً من ست وثمانين وألف للهجرة، حتى عام ثمان ومائة وألف (١٠٨٦هـ/١٦٧٦م) إلى(١١٠٨هـ/١٦٩٧م)، وقد جرى فيها من الفتن والمحن، ما الله به عليم.

وخلاصة الكلام، أنّ مراد باي الثاني لما توفي، اتّفق أهل الحل والعقد على تولية محمد بن مراد باي[١]، ولكن ما لبث أن أوقع عمُّه[٢] بينه وبين أخيه عليّ[٣]، بسعيٍ وإعانةٍ من بعض الدايات؛ وانتهى الأمر – بعد مشاورات من ديوان الجند – بخلع محمد وتولية عمّه، فخرج محمد باي من العاصمة، وجمع الجموع ودخلها فعزل عمَّه، وسجن أخاه، ولكن سرعان ما تمكّن أخوه من الهرب، والخروج إلى قسنطينة، حيث سار منها إلى تونس، في جيش عظيم بمساعدة أصهاره الجزائريين، فدارت بين الأخوين وقائع كثيرة، كان النصر والهزيمة فيها دُوَلاً، واستمرّ هذا الخلاف سنوات عدة حتى تهادن الفريقان، ولولا خروج الداي أحمد شليي[٤] عجّل بعقد هدنة بين الأخوين لكان الأمر أطول، فإنهما خوفا من خروج الأمر من أيديهما تصالحا على اقتسام السلطة بينهما واستطاعا بهذا الصلح التغلب على هذا الداي بعد جهد كبير، إلاّ أنّ عليّ باي لم يلبث أن قتله الجند، هو والدّاي المذكور، فاستقلّ بالأمر محمد باي وذلك عام ست وتسعين[٥].

وعلى العموم، فقد كانت هذه فتنة عظيمة، شهدت فيها البلاد حربا أهليّة، تسلّط فيها الأشرار، وسادت الفوضى، وعمّ الاضطراب، العاصمة تونس وكبرى المدائن التونسية

= بالمسلمين من الحيف في التورّك على ضعيف الحال"؛ وانظر في شأن قوة الأسطول التونسي قبل هذا العهد، خلاصة تاريخ تونس، ص١٣٧.

١ – هو محمد بن مراد باي بن حمودة باشا، تولى في فترات متقطعة أثناء الصراع مع أخيه وبعده، توفي عام (١١٠٨هـ/١٧٩٧م)، كان مؤثرا للعدل والإنصاف، قامعا لأهل الجور من عساكره وعماله؛ انظر: الحلل السندسية ، ج٢، ص٦٦٠.

٢ – هو محمد بن حمودة باشا، المعروف بالحفصي، توفي بأرض الترك عام (١٠٩٧هـ/١٦٨٦)؛ انظر أخباره في المصدر السابق، ج٢، ص٥٤٦.

٣– هو علي بن مراد باي بن حمودة باشا، عاش في صراع مع أخيه محمد مدة طويلة، توفي قتيلا سنة (١٠٩٦هـ/١٦٨٥م)؛ انظر: المصدر نفسه.

٤– انظر أخباره في: الحلل السندسية، ج٢، ص٥٠١ وما بعدها.

٥– للتفصيل في أحداث هذه الفتنة انظر: المؤنس، ص٢١٠– ٢١٣، ص٢٥١–٢٥٧، وإتحاف أهل الزمان، مج١، ج٢، ص ٤٨– ٦٢؛ وشجرة النور، ص٦٩٥؛ خلاصة تاريخ تونس، ص١٤١–١٤٥.

بل وجميع ربوع الولاية[١]، ولم تعدم مدينة صفاقس[٢] – مسقط رأس الإمام علي النوري ومقرّ سكناه– حظّها من هذه الفتنة وشرّها.

وإليك نصا من ابن أبي دينار[٣] – وهو ممن عايش تلك الفتنة – يصف مابلغت إليه آثار تلك الفتنة فيقول: "... بعدما بلغت النفوس التراقي، واتّصلت الحرب بالحرب خمسة أعوام، حتى قيل من راق، وكثرت العداوة بين البادي والحاضر، وظنّ كلٌّ واحد أنه الفراق، وكم سيقت من نفوس إلى حتفها، وما قصّر كل من الأخوين في طلبه لثأره، وقاوم كل واحد منهما صاحبه في المحاربة، فكم تلفت من نفوس، وقطعت من رؤوس، وكم أنفقوا من الأموال، وكم أتلفت من رجال، وأيّ رجال... "[٤].

ولم ينفع في إطفاء هذه الفتنة، تدخّل العلماء و الصلحاء، ولا تدَخُّل أهل السلطة من الدايات، بل ولا الباب العالي بعساكره وألقابه، وإنّما كان موت هذه الفتنة بموت أحد الخصمين[٥].

واستقرّ الأمر لمحمّد باي فآثر العدل والإنصاف، وقمع الجور من عماله وعساكره؛ فأمنت البلاد به عقدا من الزمن، إلى أن ثارت فتنة أخرى مع الدّاي محمد بن شكر[٦]، استعان فيها بولاة الجزائر، فتغلّب على الباي وعاث في الأرض ردحا من الزمن يفسد فيها، إلى اجتمع الناس على الباي وانضمّوا إليه فتمكن من القضاء على فتنته عام ست

١- خلاصة تاريخ تونس، ص١٤٣.

٢ – فقد فرّ إليها علي باي بعد هزيمته في بعض المعارك، كما أنّها حوصرت وشُنّت عليها الغارات، من علي باي، وأتباعه عام (١٠٩١هـ/ ١٦٨١م)؛ انظر المؤنس، ص٢٥٤-٢٥٥؛ وشجرة النور، ص٦٥٩.

٣- هو أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني، القيرواني، المعرف بابن أبي دينار، مؤرخ تونسي من آثاره كتاب المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، كان حيّا (١٠٩٢هـ/١٦٨١م)؛ انظر معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، ج٣، ص٥٩٤.

٤- المؤنس، ص٢٨٥.

٥ – انظر: المؤنس، ص٢٥٤-٢٥٥؛ وشجرة النور، ص٦٥٩؛ والظّاهر أنّ الصلح الذي جرى بين الأخوين، لم يكن لتطول مدته، لو قُدِّر حياة الباي علي، وذلك لوجود أهل النميمة، ولأنّ ما حدث من الفتن والحروب بينهما، لم يكن ليمرَّ دون بقاء أثره في القلوب، وأيضا إنّ سبب اتفاقهما هو خشيتهما من الداي أحمد شلبي، فإذا زال هذا بموته زال سبب الاتفاق، وعاد الشقاق، وأخيرًا إنّ قاعدة القسمة لا تصلح في الملك كما روي عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه يوم السقيفة أنه قال:"لا يجتمع اثنان في قرن"، ولا يُستبعد أن يكون لمحمد باي يدا في قتل أخيه؛ هذا والله أعلم بحقيقة الحال وعنده تجتمع الخصوم يوم المآل.

٦ – هو الداي محمد ابن شكر صهر محمد باي وخليفته.

ومائة وألف، (١١٠٦هـ/١٦٩٥م). وتصالح الباي مع الجزائريين، وعرفت البلاد الهدوء، وتوفي الباي محمد بعدها بعامين[١].

و بموته تبدأ مرحلة الانحطاط والسقوط؛ حيث تولّي رمضان باي بن حمودة باشا، فكان ميّالا للبطالة، منصرفا عن تدبير أمور الولاية ولكنّ الله تعالى جلت حكمته لم يمهله حتى عاجله مراد باي بن علي باي بالقتل، ليتولّى منصبه؛ إلاّ أنّ حال البلاد مع هذا الداي لم يكن إلا كحال المستغيث من الرمضاء بالنار، فقد كشف عن سوء طويته، بالظلم واستباحة المحرمات، والمجاهرة بالفواحش، وسفك الدماء، والاستهزاء بالعلماء؛ قال حسن حسني عبد الوهاب[٢]: "... ولم يتولّ قطّ من الملوك والأمراء الذين تداولوا على القطر التونسي، أظلم من هذا الجائر الغشوم، الذي أنزل بأهل البلاد من الاعتساف، ما لا يقدم عليه أحد من الجبابرة الظالمين "[٣]؛ وكانت نهايته، على يد الداي إبراهيم الشريف، عام أربع عشرة بعد المائة والألف، (١١١٤هـ/١٧٠٣م)، وبه انقرضت الدولة المرادية، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

وتولّى إبراهيم الشريف هذا، مدة ثلاث سنوات، وكان أوّلاً حسن السيرة، ثمّ طفق في الظلم، وورّط البلاد في حرب مع الجزائريين، وهُزِم فيها وأُسر هو وابنه، فاتفق الناس إثر ذلك على تقديم حسين بن علي، وقلّدوه الأمر في العشرين من ربيع الأول عام سبع عشرة و مائة وألف، (١١١٧هـ/١٧٠٥م)، وبه تبدأ الدولة الحسينية، التي لم يعش تحت ظلها الشيخ النوري أكثر من عامها الأوّل[٤].

وبهذا العرض الموجز للحياة السياسية في العالم الإسلامي عامة، والبلاد التونسية خاصة، نخرج بالنتائج التالية:

- إنّ العالم الإسلاميّ، كانت تتخبّطه مشاكل، وأزمات داخلية، تمثلت في الصراع بين أرباب السلطة من الولاة، والسلاطين وقادة الجند، و لم تسلم من هذا الداء، أيّ بقعة

---

١ – إتحاف أهل الزمان، مج١، ج٢، ص٦٧، ٦٨؛ و شجرة النور ، ص٦٦٠، خلاصة تاريخ تونس، ص١٤٤.

٢ – هو حسن حسني بن صالح بن عبد الوهاب بن يوسف الصمادحي، بحاثة مؤرخ أديب تونسي، له بحوث وكتب تاريخية، وشغل عدة وظائف حكومية، ت(١٣٨٨هـ/١٩٦٨م)؛ الأعلام، ج٢، ص١٨٧.

٣ – خلاصة تاريخ تونس، ص١٤٥.

٤ – شجرة النور، ص٦٦٢؛ و خلاصة تاريخ تونس، ص١٤٧.

من أرض المسلمين، و لم تعدم البلاد التونسية حظّها منه، وإن عرفت استقرارا في بعض الأوقات؛ ولاشك أنّ هذا الداء له الأثر، كل الأثر في ضعف الحياة الإسلامية، في شتى أنحائها: العلمية، و الاجتماعية، والإقتصادية.

- عرفت هذه الفترة، هجوما شرسا على الإسلام، و لم يكن الأوّلَ ولا الأخيرَ، من قبل القوى الصليبية الأوربية، فسقطت الكثير من البلاد الإسلامية، فريسة الاحتلال، ولا يخفاك ماله من سوء وقع على البلاد وأهلها.
- كما نخرج بنتيجة، هي أن الفتن التي كانت بين المسلمين، فتن عمياء، صماء، لا تفرق بين أحد من الناس، فلم يسلم منها أهل السلطان باختلاف درجاتهم، ولا العلماء والصلحاء، ولا العامّة الدهماء؛ وقد كان لهذه الفتن دور كبير، في إضعاف العالم الإسلامي سياسيا واقتصاديا وعلميّا.

وأختم بقول ابن أبي الضياف[1]، حين قال يصف حال الدولة في تونس مقارنا بين مبدئها ونهايتها: "... فانظر أيها المعتبر، لحال هذه الدولة، كيف استفحل شبابها بالخلال الحميدة، من الكرم، والتواضع، وبناء المساجد والقناطر، وتأمين السبل، وردع المفسدين، ومجالسة العلماء وإكرامهم، والمثابرة على جمع كلمة الإسلام، والالتحام بدولة الإسلام العثمانية، حين كانت أقرب للقانون الشرعي، والآداب الدينية؛ وكيف أخذت في الإدبار، والتراجع والهرم، بالشحناء بين الأخوين، والتحاسد، وسفك دماء المسلمين وأعراضهم ... وقتل العلماء، وتدمير الأفاضل، و تأمير الأراذل، والقتل لمجرد الغضب، والاستهزاء بأهل الفضل والدين، حين بعدت عن خيال قانون الشرع، ورائحة الآداب الدينية."[2].

١- هو أحمد ابن أبي الضياف، أبو العباس، وزير تونسي مؤرّخ وأديب، وفاته سنة (١٢٩١هـ/١٨٧٤)؛ انظر: الأعلام، ج١، ص١٣٨؛ معجم المؤلفين، ج١، ص١٥٩.

٢- مج١، ج٢، ص٧٩.

المطلب الثاني:

الحياة العلمية في عصر الإمام الصفاقسي

يقول ابن خلدون[١] مشخصا أسباب ازدهار وضعف الحركة العلمية:" ... أن العلوم إنما تكثر حيث يكثر العمران وتعظم الحضارة، والسبب في ذلك أن تعليم العلم – ما قدمناه– من جملة الصنائع، وقد كنا قدمنا أن الصنائع إنما تكثر في الأمصار، وعلى نسبة عمرانها في الكثرة والقلة، والحضارة والترف، تكون نسبة الصنائع في الجودة والكثرة، لأنه أمر زائد على المعاش، فمتى فضلت أعمال أهل العمران عن معاشهم، انصرفت إلى ما وراء المعاش من التصرف في خاصة الإنسان، وهي العلوم والصنائع ..."[٢].

وعلى ضوء هذا القول، يمكن للناظر تفسير ما كان من توسع العلم، وتشعشع أنواره، وتكاثر الدروس، وانتظام حال التعليم قبل هذا العصر، حينما كانت دولة الحفصيين في أوج قوتها، واتساع حضارتها وعمرانها، ثم كيف حلّ الخراب بالعلم، ومراكزه ورجاله، حينما عمّ الضعف والاضطراب الدولة الحفصية؛ وكان من أفظع نتائجه، احتلال الإسبان لمدينة تونس، ولا يخفى عنك همجية هؤلاء، وأثرهم السيّء على العلم وأهله، وما فعلهم بالأندلس من هذا ببعيد[٣].

وبعد دخول العثمانيين وطرد الإسبان، لم يتغير حال العلم كثيرا، إذ لم يتوفر له من الأمن والاستقرار ما يدفع بعجلته إلى الأمام، وذلك أنّ الجند التركي الفاتح، لم يزل في شغب وصراع على السلطة، فأثّر سلباً على العلم وأهله[٤].

١- هو عبد الرحمن بن محمد، أبو زيد، ولي الدين، المشهور بابن خلدون، توفي (٧٨٣هـ/١٣٣٢م)، من أشهر كتبه تاريخه "العبر"، ومقدمته. انظر: الضوء اللامع ج٤، ص١٤٥؛ الأعلام، ج٣، ص٣٣٠.

٢- مقدمة ابن خلدون، ص٤٧٣.

٣- الحلل السندسية، (مقدمة المحقق)، ج١، ص٥٩؛ الزاوية النورية وتأثيرها في الحركة التعليمية، علي الزواري، المجلة التاريخية المغربية، ع٥٧- ٥٨، س١٧، ١٩٩٠، ص٢٦٦؛ و تاريخ معالم التوحيد في القديم والجديد، محمد الخوجة، ص٨٣، ٨٤.

٤- تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين عمّا يقع لهم من الخطأ حال تلاوتهم كتاب الله المبين، علي النوري الصفاقسي، ت محمد الشاذلي النيفر (مقدمة المحقق)، ص٧.

ويصف ابن أبي الضيّاف هذه المرحلة، فيقول:" ... قد كان العلم لأول دولة الترك قد ارتفع منها[١] بالمرّة، -كما قدّمنا- حتى ورد عليها المولى أحمد أفندي من أرض الروم، لأول المائة الحادية عشرة، على عهد عثمان داي "[٢].

وفي الجملة، فقد وسم العلم في آخر العهد الحفصي وأول العثماني، بالتقهقر وتقلص دائرته، وتوقف الإنتاج الفكري والنشاط العلمي، وأيضا بخراب مراكزه ودوره، وتفرّق أهل العلم، وتشتّتهم[٣].

وبعد أن عرفت البلاد شيئا من الأمن والاستقرار، بدأ يرجع إليها بعض نشاطها العلمي، ومَنَّ الله بأمراء، كان لهم أثر كبير في خدمة العلم وأهله ومراكزه؛ وهم ثلاثة من آل مراد: حمودة باشا، وابنه مراد، وحفيده محمد.

فحمودة باشا، كان محبا للعلماء مقربا لهم، يخصص لمجالسيه منهم العطايا المعتبرة، وفي عهده، أحيا الداي أحمد خوجه المدرستين: الشمّاعية[٤] والمنتصرية[٥]، بعد خرابهما، هذا فضلا عمّا كان لاستقرار الأوضاع السياسية من أثر حميد في هذا الجانب؛ وعلى خُطا أبيه سار مراد باي، في سياسة البلاد، والاهتمام بالعلم؛ فبنى المدارس والجوامع، من ذلك: مدرسة بتونس، تنسب إليه؛ وأخرى بجربة، وجامع ومسجد، في كل من قابس[٦]، وباجة[٧] وغيرها من المدن[١].

١- يعني تونس.

٢- مج١، ج١، ص١١.

٣- التعليم الزيتوني من ترتيب المشير أحمد باي إلى تأسيس مشيخة الجامع الأعظم وفروعه، محمد عبد العزيز بن عاشور، المجلة التاريخية المغربية، س١٣، ع٤١-٤٢، ١٩٨٦م، ص٧.

٤- هي من أقدم المدارس التونسية، أسسها الأمير أبو زكريا الحفصي، سنة (٦٣٣هـ/ ١٢٣٥م) ونسبتها إلى سوق الشماعين، الذي كان حولها، تداركها أحمد خوجة عام(١٠٥٧هـ/ ١٦٤٦) بعد أن تداعت أحوالها، فصارت للحنفية بعد هذا التاريخ؛ انظر: تاريخ معالم التوحيد، ص٢٨٥.

٥- تنسب إلى مؤسسها السلطان محمد بن المنتصر الحفصي، وقد أتمها بعد وفاته ابنُه أبو عمرو عثمان الحفصي، عام(٨٤١هـ/١٦٤٧م)؛ المصدر نفسه، ص٢٨٥.

٦- قابس مدينة تقع على خليج قابس، في الجنوب الشرقي من تونس، تعرف باسم بوابة البحر والصحراء، ينسب إليها جماعة من أهل العلم، منهم عبد الله بن محمد القابسي؛ الموسوعة الجغرافية للوطن العربي، ، ص٤٢٩.

٧- باجة مدينة تونسية، تقع داخل تونس على الطريق المعبد من بنزرت إلى سوق الخميس، وسوق الأربعاء باتجاه الجنوب وهي مركز تجاري مهمّ؛ المصدر نفسه، ص ٧٥.

أمّا محمد بن مراد باي، فقد كان أبرز هؤلاء، بما بناه من مدارس وجوامع، ومساجد، في شتى ربوع الولاية: تونس، والقيروان[٢]، والكاف[٣]، وقابس، وتوزر، وباجة، وغيرها[٤].

وبهذا ترى أن هؤلاء الأمراء، قد بذلوا جهدًا مشكورًا، في إحياء الحركة العلمية، وبعثها، ولا يعني هذا، أنّ عهد هؤلاء كان كلّه في صالح الحركة العلمية؛ إذ قد عرفت البلاد كثيرا من المعوقات، منها:

- تعرّض بعض أهل العلم للظلم والاضطهاد، الذي وصل إلى القتل في بعض الأحيان[٥].
- الفتن التي كانت تحدث بين أرباب السلطة، وخاصّة تلك التي كانت بين محمد باي وأخيه علي، ثم بينه وبين محمد ابن شكر، ولا يخفاك ما للفتن من أثر سيئ على الحركة العلمية ومسيرتها[٦].
- كان للسياسة العلمية التُّركيّة، في محاولة تركيز المذهب الحنفي، أثر سيّء من حيث إن الجرايات والمرتبات وأغلب المدارس والجوامع، كانت من صالح الحنفيين، وقد أدّت هذه السياسة، إلى ضعف مدارس العلم الأصيلة، وعلى رأسها جامع الزيتونة[٧].

ولئن كان حال العلم كذلك مع أولئك الأمراء، فإنّ الرّزيّة كلّ الرّزية، ماحلّ بالعلم وأهله، مع آخر أمراء بني مراد، إذ كاد بسوء سيرته أن يطمس ما أنجزه سلفه، و لم يذكر

١- المؤنس، ص٢٣٤؛ الحلل السندسية، ج٢، ص٤٣٠، ٤٤٠، خلاصة تاريخ تونس، ص١٣٩، ١٤٠؛ تنبيه الغافلين(مقدمة المحقق)، ص٧، ٨؛ والحلل السندسية، (مقدمة المحقق)، ص٥٩.

٢- القيروان مدينة قديمة، تقع في الداخل غرب سوسة؛ الموسوعة الجغرافية للوطن العربي، كمال موريس شربل، ص٤٥٣.

٣- الكاف تقع شمال البلاد التونسية؛ المصدر نفسه، ص٤٥٥.

٤- الحلل السندسية، ج٢، ص٥٦٠؛ و إتحاف أهل الزمان، مج١، ج١، ص٦٢؛ الحلل السندسية، (مقدمة المحقق)، ص٥٩.

٥- من ذلك ما تعرّض له مصطفى برناز وابنه، اللذين قتلا على يد مراد باي، ومنه أيضا ما فعله محمد باي بالشيخين محمد فتاتة، ويوسف درغوث حيث ألقى القبض عليهما، فقتل الثاني، وفر الأول؛ انظر: إتحاف أهل الزمان، مج١، ج٢، ص٤٦؛ الحلل السندسية، (مقدمة المحقق)، ج١، ص٦٣.

٦- انظر المطلب السابق من هذا البحث.

٧- الحلل السندسية، (مقدمة المحقق)، ج١، ص٦٠؛ التعليم الزيتوني، محمد عبد العزيز بن عاشور، المجلة التاريخية المغربية، س١٣، ع٤١-٤٢، ١٩٨٦م، ص٧.

له التاريخ حسنة في خدمة العلم، سوى السخرية، والاستهزاء بالعلماء والمشايخ، واضطهادهم سجنا، وتعذيبا، وتقتيلا...! ولهذا وغيره، وصف أواخر دولة بني مراد، بتراجع العلم وركوده، فكان العلم فيها كما قيل كشمس مغيب[١].

وبعد، فهذا وصف بإيجاز للحياة العلمية، وما أصابها من أسباب نموّ، أو فتور، نستطيع من خلاله، تحديد مسار الحركة العلمية، صعودا ونزولا.

وليكون الأمر أكثر وضوحا، أعرض بعض مظاهر الحياة العلمية، في هذا العصر، في العناصر التالية:

• أولا: مراكز العلم

يوجب علينا المقام ها هنا، أن نتوسع شيئا ما خارج البلاد، لنتكلم عن مصر، وما كان لجامعها الأزهر[٢]، من أثر في الحياة العلمية، في العالم الإسلامي، بما في ذلك تونس؛ فقد كان الجامع الأزهر، يمثل القبلة العلمية والثقافية، والملاذ لطلاّب العلوم الإسلامية، واللغة العربية، من سائر أنحاء العالم الإسلامي؛ وكان لأبناء تونس نصيب وافر من هذا الجامع، عبر تاريخه الطويل[٣].

وقد عرف القرنان الحادي عشر، والثاني عشر، وفود الطلاب التونسيين على الأزهر، ولاسيما من الجنوب التونسي، وبالخصوص من مدينتي جربة وصفاقس[٤]، وكان الكثير من هؤلاء يعودون للتدريس في بلادهم، سواء في جامع الزيتونة، أو في المدارس التونسية الأخرى، بل إنّ معظم الذين تصدّروا للتدريس بتونس، كانوا ممّن حصل على

١- كان هذا الباي يستدعي العلماء، ويكرههم على شرب الخمر، وقتل كثيرا من العلماء منهم: الشيخ الشريف العواني، كما حاول قتل محمد التونسي تلميذ الشيخ علي النوري، وأمر بضرب جميع المؤذنين الحنفية، ومن جملتهم الشيخ أحمد برناز؛ انظر الحلل السندسية، ج٢، ص٦٣٨، ٦٤٢؛ والحلل السندسية، (مقدمة المحقق)، ج١، ص٦٣، ٦٤.

٢- أنشأ هذا الجامعَ القائدُ العُبَيْديّ جوهر الصقلي عام (٣٦١هـ/٩٩٢)، ليكون مركزا لنشر مذهبهم الباطني، ومنذ عصر المماليك تحوّل الأزهر إلى جامعة علمية، أمّها الناس من كل بقاع الأرض؛ عن تاريخه كاملاً انظر: تاريخ الجامع الأزهر، محمد عبد الله عنان؛ الأزهر في ألف عام، عبد المنعم خفاجي.

٣- الأزهر في ألف عام، ص٨٠؛ تراجم المؤلفين التونسيين، ج٥، ص٥٠.

٤- قال الحلل السندسية، (مقدمة المحقق):"نلاحظ أن رحلة العلماء من أهل صفاقس إلى المشرق، كانت شائعة جدّا، والمطالع لتراجمهم في ذيل البشائر، أو تاريخ مقديش، يجد أكثرهم يقصد مصر للتعلم بها، وبعضهم يقيم هناك نهائيا."؛ المصدر نفسه، ج١، ص٥٨، هامش رقم ٤٤.

إجازات علمية من الأزهر، وتتلمذ على يد علماء مصر، واشتغل الكثير منهم، بتدريس نفس المقررات التي درسها وأجيز فيها، ونفس المصنّفات التي وضعها الأزهريون[١].

ولعل سبب هذا الوفود الكبير من التونسيين –بصرف النظر عن مكانة الأزهر العلمية، ومن كان به من العلماء–، هو ما كانت تكفله لهم أروقة الجامع من إقامة، ومنح تُتيح لهم الاستقرار والتفرغ لطلب العلم، هذا زيادة عمّا كان يضمّه الرواق، من كتب مهمة في مكتبته؛ ومن حسن حظ المغاربة، أنّ الرّواق الخاصّ بهم، كان أوسع الأروقة نشاطًا، وأكثرها ثراءً، بما أُوقف عليه من جانب التجار المغاربة المقيمين بمصر؛ كما لا يمكن إغفال ما كان لسوء الأوضاع السياسية في تونس، والفتن التي كانت تظهر بين الفينة والأخرى، من أثر على هذا الاتجاه[٢].

أمّا عن تونس ومراكزها، فقد توزّع النشّاط العلميّ على مدنها، كصفاقس، وجربة، والقيروان، وسوسة[٣]، وزغوان[٤]، وباجة، متفاوتا في الكم و الكيف، ولكنها لم تكن لتصل إلى مرتبة العاصمة تونس، التي حوت الكثير من المدارس، والجوامع، والمساجد؛ لهذا كان الناس بعد أن يتلقوا مبادئ العلوم في مدنهم التي ينتسبون إليها، يهاجرون إلى العاصمة، للتلقي عن أكابر علمائها، في جامع الزيتونة، أو في المدارس الأخرى، ثم يعودون إلى مدنهم، ومنهم من يبقى بها، ومنهم من يهاجر خارج البلاد، لتوسيع معارفه[٥].

- **ثانيا: أماكن التعليم في هذا العصر**

أخذت أماكن التعليم في هذا العصر أشكالاً عدة، فكانت الدروس تلقى في الجوامع، والمدارس و المساجد، وغيرها.

١- تراجم المؤلفين التونسيين، ج٥، ص٥٠؛ الاتصال الثقافي بين الزيتونة والأزهر وأثره على الحياة الثقافية في مصر و تونس، عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، المجلة التاريخية المغربية، س٨، ع٢٣-٢٤، ١٩٨١م، ص٢١١.

٢- انظر: في شأن رواق المغاربة: الأزهر في ألف عام، ص٣٠٢؛ الاتصال الثقافي بين الزيتونة والأزهر، ص٢٠٧ وما بعدها.

٣- سوسة: مدينة ساحلية تقع شرق القيروان مشهورة بالآثار الرومانية والإسلامية، وهي ثالث المدن التونسية اليوم انظر: الموسوعة الجغرافية للوطن العربي، ص٣١٠.

٤- زغوان: مدينة تقع بالقرب من تونس من الجهة الجنوبية عند جبل زغوان وهو جبل مشرف يستدل به الزائرون أينما توجهوا؛ انظر الموسوعة الجغرافية للوطن العربي، ص٢٥٩.

٥- الحلل السندسية، (مقدمة المحقق)، ج١، ص٥٦.

أمّا الجوامع، فلم يكن نشاطها العلمي وليد هذا العصر، بل كان الجامع منذ العصور الغابرة، يقوم بوظيفة التربية والتعليم، ويعد جامع الزيتونة[١] أقدم الجوامع في القطر التونسي، بل هو من أقدمها في العالم الإسلامي، فكان أهمّ مقر للعلم عبر العصور الإسلامية، لكنه أصيب في نهاية القرن العاشر، بما أصيبت به مختلف المعاهد العلمية، من ضعف وهزال، وزاد الطين بلّةً، انصراف ولاة العثمانيين عنه، إلى جوامعهم التي أنشأوها؛ تبعا لسياستهم العلمية، التي أشرت إليها آنفا، فكان لذلك أثر في إضعاف نشاطه، لكنّ تاريخه الحافل، الذي أمدّه بكثير من الأوقاف، ومكانتَه في قلوب أهل البلاد، جعلاه يصمد أمام هذا الإهمال، وكما أشرت، لم تكن الدراسة في هذا الجامع مقتصرة على أبناء العاصمة، بل كان يؤمّه الطلاّب من كل مكان، كما هو الحال مع الشيخ عليّ النوري، والكثير من أقرانه وتلاميذه[٢].

ولم يقتصر أمر الجوامع على الزيتونة فقط، بل كان التعليم نشطا في الجوامع التي أنشأتها الدولة في ربوع البلاد، ولكن لم يكن منها مَن ينافس جامع الزيتونة[٣].

وثاني أماكن التعليم في هذا العصر، هي المدارس، وقد عرفت البلاد هذا النوع منذ القدم، ولمّا استقر العثمانيون بالبلاد، بنوا الكثير منها، في العاصمة وغيرها[٤]، وأحيوا بعض ما اندرس منها؛ من هذه المدارس: المدرسة المرادية[٥] بالعاصمة، ومدرسة الشيخ إبراهيم

١- بناه عبد الله بن الحباب في العصر العباسي، عام (١١٤هـ/٧٣٢م)، وأعاد بناءه محمد بن الأغلب عام (٢٢٤هـ/٨٤٠م) ولم يصبح جامعة حقا، ويزدهر فيه التعليم إلا في عهد الحفصيين؛ انظر عن تاريخه: الحلل السندسية ج١، ص٥٥١-٨٢١؛ تاريخ معالم التوحيد، ص٤١-١٢٠.

٢- الحلل السندسية، (مقدمة المحقق)، ج١، ص٥٠، ٥١، ٦٠؛ ومن أقران الشيخ علي النوري الذين درسوا بالزيتونة: الشيخ عبد العزيز الفراتي، ومن تلاميذه محمد الحرقافي، ومحمد الوافي، وستأتي تراجمهم.

٣- وقد بقي جامع الزيتونة محافظا على مكانته بعد هذا، فلم يزاحمه غيره، حتى بنى يوسف داي صاحب الطابع - وزير حمودة باشا أحد أمراء الأسرة الحسينية- جامع الحلفاوين، فكادت الدروس تنقطع منه، لولا تدارك الأمر فيما بعد. انظر التعليم الزيتوني من ترتيب المشير أحمد باي إلى تأسيس مشيخة الجامع الأعظم وفروعه، ص١٠.

٤- قال في: كتاب العمر في المصنفات والمصنفين التونسيين، ص٤٣: " وجاء الأتراك آخر القرن العاشر، فسلكوا منهج سلفهم، في إنشاء المدارس في العاصمة، وكبير المدن التونسية، ويبلغ عددها زهاء الثلاثين".

٥- بناها مراد باي بن حمودة باشا؛ انظر: خلاصة تاريخ تونس، ص١٤٠.

الجمّني [١] بجزيرة جربة، وغيرهما؛ ومن المدارس التي أحييت المدرستين: الشماعية، والمنتصرية، وعليهما كان يتردد الشيخ علي النوريّ أثناء دراسته بالزيتونة[٢].

أما الزوايا، فقد عرفت انتشارا كبيرا في هذا العصر، ليس في تونس فقط بل في جميع أنحاء العالم الإسلامي، تبعا لانتشار الفكر الصوفي الطرقي[٣]، و لم يكن لها من النشاط العلميّ ما للجوامع والمدارس المحدثة آنذاك، ومما كان منها بمدينة صفاقس: زاوية الشيخ أبي الحسن الكرّاي[٤]-شيخ علي النوريّ -، وزاوية سيدي عمر بن الرايس كمون النوالي، وزاوية سيدي سعادة، وأخيرا الزاوية التي أنشأها الشيخ علي النوري[٥].

و لا يعني هذا أن التعليم اقتصر على هذه الأماكن، بل ربّما جاوزها إلى غيرها، كالبيوت والمساجد....

ثالثًا:رجال العلم في هذا العصر

رغم الضعف العام الذي ميّز هذه الفترة؛ فقد عرف العالم الإسلامي كثيرا من رجال العلم بأنواعه وفروعه، إلا أنّ كثرتهم كانت على حساب الكيف، فقد غلب على الناس الاجترار والتكرار، وانصرفت القرائح إلى التهميش والتعليق، والتفسير و الاختصار، والحواشي، وذبلت قوى الخلق والإبداع[٦].

والمجال هنا ليس مجال استقراء لتراجم علماء هذا العصر، لأنّ عناء ذلك قد تكفّلت به كتب التراجم والتواريخ، وإنّما أكتفي هنا بعرض حال بعض علماء القراءات، إذ هذا أشدّ تعلّقاً بموضوع البحث[٧].

١- بناها أيضا مراد باي، للشيخ الجمني؛ انظر: الحلل السندسية ، ج٣، ص٣٠١؛ وستأتي ترجمة الشيخ الجمني.

٢- لم تُبن في مدينة صفاقس أية مدرسة من الدولة في هذا العهد، وإنّما كانت أول مدرسة بنيت بها، هي المدرسة الحسينية التي أسست عام(١١٢٦هـ/١٧١٥م)، أي بعد وفاة الشيخ علي النوري، وقد درّس بها بعض تلاميذه.

٣- الموسوعة الإسلامية العربية " الإسلام وحركة التاريخ"، أنور الجندي، ص٣٣١.

٤- وقد أسس زاويته هذه عام(١٠٦٥هـ/١٦٥٥م)، وكانت قبل هذا محلّ سكناه؛ وستأتي ترجمة الشيخ.

٥- الزاوية النورية وتأثيرها في الحركة التعليمية، ص٢٦٦.

٦- موسوعة دول العالم ورجاله، ص١٦٥٣؛ معالم التاريخ الإسلامي، عصام الدين عبد الرءوف الفقي، ص٣٤٧.

٧- من العلماء التونسيين الذين اشتهروا في هذا العصر: الشيخ أبو العباس الشريف الشهير بإمام دار الباشا، ت(١٠٩٢هـ/١٦٨٢م)، والشيخ علي النفاتي، ت(١٠٨٤هـ/١٦٧٤)، والشيخ أبو بكر تاج العارفين، ت(١٠٧٢هـ/١٦٦٢م)، والشيخ أبو الفضل المسراتي الفقيه النوازلي، ت(١٠٨٥هـ/١٦٧٥م). و للإطلاع على تراجم علماء تونس وغيرها في هذا العصر؛ انظر: الحلل السندسية الجزء الثالث، وشجرة النور الزكية، وخلاصة الأثر وغيرها.

ومبلغ الجهد هنا، أن أقتصر على ما اطلعت عليه، من تراجم لأشهر هـؤلاء، ولـو كان المجال مجال دراسة تاريخية لهذا العلم ورجاله، لكان الإسهاب أمرا مطلوبا؛ وإذ الأمر كذلك، فإليك هذه التراجم مرتّبةً، وهم من طبقة مشايخ علي النوري وأقرانه:

أ: من غير التونسيين[١]

١- محمد بن أحمد العوفي؛ عالم بالقراءات والتفسير؛ توفي عـام خمسـين وألـف للهجرة(١٠٥٠هـ/١٦٤٠م)؛ له عدّة كتب في القراءات و تحريراتها منـها: "تلخـيص النشر"، و "الجواهر المكملة لمن رام الطرق المكملة" في القراءات العشر[٢].

١- الشيخ سلطان بن أحمد بن سلامة بن إسماعيل المزاحي؛ أحد الأعـلام، شـيخ الإقراء بالقاهرة، خاتمة الحفاظ والقرّاء؛ كان في مقام الاجتهاد في فنّ القراءات؛ أخذ عـن سيف الدين الفضالي[٣]؛ وعنه جماعة كثيرة منهم: أحمد البنا، والمنصوري، والأفراني، توفي سنة خمس وسبعين وألف (١٠٧٥هـ/١٦٦٥م)، من مؤلفاته: " مقدمة في مذاهب القراء الأربعة الزائدة على العشرة"، و"أجوبة المسائل العشرين" في القراءات والتجويد، و"الجوهر المصـون في جمـع الأوجـه مـن الضـحى إلى قولـه تعـالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[البقرة/٠٤][٤].

٢- محمد بن محمد الأفراني (الوافراني)، السوسي، المغربي؛ قرأ على جماعة منهم: أبو زيد ابن القاضي بالمغرب، وسلطان المزاحي بمصر؛ وتصدّر للإقراء بعده؛ كان من الثقات أهل الضبط والإتقان، عارفا بالعلوم، نصوحا في التعليم؛ أخذ عنه الشيخ علـي النـوري

١- وهؤلاء الذين ذكرتهم كلهم إمّا من مشايخ علي النوري أو شيوخ مشايخه أو تلاميذ مشايخه.

٢- الأعلام، ج٦، ص٩.

٣- سيف الدين الفضالي هو: سيف الدين بن عطاء الله الوفائي الفضالي، الشافعي؛ كان شيخ القراء بمصر، قرأ على السنباطي وشحاذة اليمني، وعنه المزاحي؛ له كتب أكثرها في القراءات منها الجواهر المضية على المقدمة الجزرية؛ توفي (١٠٢٠هـ/١٦١١م). انظر خلاصة الأثر، ج٢، ص٢٢٠؛ رضا كحالة، ج٤، ص١١٠.

٤- مشيخة أبي المواهب الحنبلي، ص٧٩؛ خلاصة الأثر، المحبي، ج٢، ص٢١٠؛ الأعلام، ج٣، ص١٠٨؛ هداية القاري، ج٢، ص٦٢٧؛ وقد حقق، د.عبد العزيز بن ناصر السبر رسالة "الجوهر المصون" وطبعت؛ انظر: محمد البيومي المشهور بأبي عياشة الدمنهوري، الفتح الرباني في القراءات السبع من طريق حرز الأماني (غلاف الكتاب، ضمن أعمال المحقّق)، ومن هذه الرسالة نسخة مخطوطة، مع رسالة الأجوبة، بالمكتبة الوطنية بالجزائر، ضمن مجموع، برقم٣٧٦، ق١٤٧-١٦٨.

وغيره؛ توفي سنة إحدى وثمانين وألف للهجرة (١٠٨١هـ/١٦٧١م)[١]؛ له منظومة في أحكام "آلان" سماها "غاية البيان لخفي لفظتي آلان"، ومقصورة في القراءات، ومنظومة في معارضة الشاطبية سمّاها " تحفة الإخوان "، شرحها في "البرهان على مسائل تذكرة الإخوان"[٢].

٤- عبد الرحمن بن أبي القاسم بن محمد بن محمد بن قاسم بن أبي العافية؛ أبو زيد، المكناسي ثم الفاسي؛ المعروف بابن القاضي؛ كان إمام عصره وشيخ الإقراء، وإمام المحققين في المعرفة بالقراءات وتوجيهها، بلغ أهلية الترجيح والاختيار؛ من تلاميذه: الأفراني، وأبو العلاء المنجرة؛ توفي عام اثنتين وثمانين وألف للهجرة (١٠٨٢هـ/١٦٧٢م)؛ له كتب منها: "علَم النصرة في قراءة إمام البصرة "، "والفجر الساطع والضياء اللامع في شرح الدرر اللوامع "، و"بيان الخلاف والتشهير فيما وقع في الحرز من الزيادة على التيسير"، وغيرها[٣].

٥- الشيخ علي الشبراملّسي؛ أبو الضياء، نور الدين، الشافعيّ المصريّ؛ الكفيف المقرئ، تعلّم بالأزهر ودرّس به، قرأ على الشيخ عبد الرحمن اليمنيّ[٤] بالسبع، وبالعشر الصغرى والكبرى، وصفه تلميذه الدّمياطي بعلاّمة العصر والأوان، أخذ عنه الشيخ النّوري، والبقري، وغيرهما؛ ولد عام سبع أو ثمان وتسعين وتسعمائة

١- مواهب الرحمن شرح منظومة الوافراني في أحكام آلان، محمد المتولي، ق٢(خ) نقلا عن: الفتح الرحماني شرح كنز المعاني في تحرير حرز الأماني، سليمان الجمزوري، ت عبد الرزاق بن علي إبراهيم موسى، ص١٩٣، هامش رقم٣؛ المتولي وجهوده في علم القراءات، إبراهيم بن سعيد الدوسري، ص١٨٦، هامش رقم٣، الغيث، ص١١.

٢- قراءة الإمام نافع عند المغاربة، عبد الهادي حميتو، ج٣، ص٢٢٥؛ الغيث، ص٧٨، ٧٩، وربّما تكون" تحفة الإخوان " هي نفسها المقصورة، إذ لو كان له قصيدة أخرى لذكر منها الصفاقسي ولو بيتا واحدا، وهو الحريص على حفظ كلام شيخه كما صرح بذلك عند نقله منظومة آلان (ص٧٨)، ويؤيد ما قلته أيضا أنهما في نفس الموضوع، إذ كلاهما في القراءات السبع، وإذا أنت لاحظت بعض الأبيات التي يوردها الصفاقسي تبيّن لك أنها في تحرير الشاطبية، وهو موضوع قريب من المعارضة، إن لم يكن نفسه، كما أنّ د.حميتو الذي ذكر ذلك أهمل ذكر المقصورة؛ والله أعلم.

٣- شجرة النور ، ص٣١٢، معجم المؤلفين، معجم المؤلفين، ج٥، ص ١٦٥؛ هداية القاري، ج٢، ص٦٥٥؛ قراءة الإمام نافع عند المغاربة، ج٤، ص٣٠٩-٣١١؛ سعيد أعراب، القراء والقراءات بالمغرب، ص٩٣.

٤- هو عبد الرحمن بن شحاذة المعروف باليمني، شيخ القراء وإمام المجودين في زمانه، قرأ على والده وعلى تلميذ والده أحمد السنباطي، وعنه أخذ الشبراملسي، واللقاني، والبقري، وعبد الباقي الحنبلي، وغالب قرّاء جهات الحجاز والشام ومصر، توفي(١٠٥٠هـ/١٦٤٠م).انظر: خلاصة الأثر، ج٢، ص٣٥٨، هداية القاري، ج٢، ص٧٨٩.

للهجرة(٧أو٩٩٨هـ/١٥٩٠م) ، وتوفي عام سبع وثمانين وألف(١٠٨٧هـ/١٦٧٦م)[١].

٦- محمد بن عمر بن قاسم بن إسماعيل البقري، الشافعي؛ فرضيّ مقرئ، أخذ عن عبد الرحمن اليمني، وعن المزاحي؛ وعنه أخذ المنصوري، وغيره؛ توفي في السنة الحادية عشرة من القرن الثاني عشر (١١١١هـ/١٧٠٠م)؛ من كتبه "قواعد القراء السبع"[٢].

٧- إدريس بن محمد المنجرة، أبو العلاء، المغربي؛ شيخ مقرئي فاس والمغرب تخرج به الكثير من القراء، أخذ عن ابن القاضي، والبقري وغيرهما، وهو أوّل من أدخل العشر الكبرى إلى المغرب وكان قبلُ خاليا منها، حيث حصّله بالمشرق عند حجّه عام ثمان و مائة وألف للهجرة، (١١٠٨هـ/١٦٩٧م)، توفي في السنة الحادية عشرة من القرن الثاني عشر، (١١١١هـ/١٧٠٠م)، من مؤلفاته: حاشية على كتر المعاني للجعبري، سمّاها "فتح الباري في حلّ مشكلات أبي إسحاق الجعبري"[٣].

٨- الشيخ علي بن إبراهيم، الخيّاط الرشيدي، المغربي الأصل، الشافعيّ المذهب؛ كان متفنّنا في العلوم وجامعا لها، قرأ بالروايات على عبد الرحمن اليمني، وأخذ عن المزاحي، والشبراملسي؛ توفي عام أربع وتسعين وألف (١٠٩٤هـ/١٦٨٣م)، أجاز الشيخ علي النوريّ في القراءات مكاتبة[٤].

٩- الشيخ أحمد بن عبد اللطيف بن القاضي أحمد بن شمس الدين البشبيشي، الشافعي؛ كان متضلّعا في فنون كثيرة، قوي الحافظة، قرأ بالروايات على الشيخ سلطان المزاحي، ولازم الشبراملسي؛ توفي عام ست وتسعين وألف (١٠٩٦هـ/١٦٨٥م)؛ وهو من مشايخ علي النوري[٥].

١- خلاصة الأثر، ج٣، ص١٧٤-١٧٧؛ مشيخة أبي المواهب الحنبلي، ص٧٩؛ هداية القاري، ج٢، ص٨٠٥؛ إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر(ت.شعبان إسماعيل)؛ ج١، ص٧٩؛ الأعلام، ج٤، ص٣.

٢- خلاصة الأثر، ج٣، ص١٢٨؛ وهداية القاري، ج٢، ص٧١٧؛ الأعلام، ج٦، ص٣١٧.

٣- قراءة الإمام نافع عند المغاربة، ج٤، ص٣٧٦-٣٧٧.

٤- خلاصة الأثر، ج٣، ص١٢٨؛ والأعلام، ج١، ص١٤٥؛ وهداية القاري، ج٢، ص٧٨٢.

٥- خلاصة الأثر، ج١، ص٢٣٨؛ والأعلام، ج١، ص١٥٥.

١٠- أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني، الملقّب بشهاب الدين، المشهور بالبنّا الدمياطي، المصري؛ أخذ عن المزاحي، والشبراملسي وغيرهما، توفي عام سبع عشرة و مائة وألف (١٠١٧هـ/ ١٧٠٥م)، من كتبه "إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر" وهو من أشهر كتب القراءات وأحسنها، قال عنه الشيخ الضباع:"أبان فيه عن سعة اطّلاعه وزيادة اقتداره، فقد ذكر فيه- رحمه الله- جملة كافية من آداب القراءة، وعلمي الابتداء والختم (الاستعاذة والتكبير) والفواصل المختلف فيها بين أهل العدد وعلم مرسوم الخط والقراءات الأربع عشرة وتوجيهها وغير ذلك من الفوائد"[١].

١١- علي بن سليمان بن عبد الله المنصوري، المصريّ؛ مقرئ كبير، كان شيخ القرّاء بالآستانة، أخذ عن المزاحي، والشبراملسي، ومحمد البقري؛ توفي سنة أربع وثلاثين و مائة وألف (١١٣٤هـ/١٧٢٢م)؛ من كتبه "تحرير الطرق والروايات في القراءات"[٢].

ومن التونسيين:

١- الشيخ عبد الله المشهور بعبيد ابن المنتصر بن أحمد بن عبد الواحد الأومي الصفاقسي؛ عالم بالقراءات، توفي عام ست وثلاثين وألف للهجرة (١٠٣٦هـ/١٦٤٦م)؛ له في هذا العلم أبحاث مع الفاسي شارح الشاطبية، وهو في أوراق يسيرة[٣].

وينبغي التنبيه هنا على أنّ الشيخ أبا الحسن الكراي -شيخ علي النوري- ممّن أخذ عن الأومي، وهل أخذ عنه في جملة ما أخذ علم القراءات؟ هذا ما لم يُصَرَّحْ به، ولو ثبت لعُدّ الكرّاي من هؤلاء أيضا، ولقلت أنّ له أثرًا في توجّه الشيخ النّوريّ إلى هذا العلم وشغفه به.

٢- الشيخ عاشور بن موسى القسنطيني، المعروف بالفُكَيْرين (بضم الفاء وفتح الكاف وهو لقب والده)؛ نشأ بقسنطينة ثم سافر إلى تلمسان، والمغرب، والسودان،

١- عبد الرحمن الجبرتي، تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج١، ص٨٩، ٩٠؛ الأعلام، ج١، ص٢٤٠؛ وانظر:محمد شعبان إسماعيل في مقدمة تحقيقه لإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، ج١، ص٤٣؛ وانظر كلمة الضباع في مقدمة الكتاب المذكور في الطبعة التي عني بتصحيحها الضباع نفسه.

٢- الأعلام، ج٧، ص٧.

٣- تراجم المؤلفين التونسيين، ج١، ص٦٠.

ولقي بها أجلّة العلماء، وحصّل منهم فنّ القراءات، وجانبا عظيما من الأدب، ثمّ رجع إلى بلده، ومنها رحل إلى تونس فدرّس بالزيتونة ولهذا ذكرته مع التونسيين؛ توفي بمكة بعد حجه عام أربع وسبعين وألف للهجرة (١٠٧٤هـ/١٦٦٣ أو١٦٦٤م)[١].

ولم يُذكر له تأليف في هذا الفنّ ولا في غيره، وقد أخذ عنه الشيخ علي النوري، ولكن لا أدري إن كان أخذ عنه علم القراءات أم لا ؟ ولو تمكّنت من الاطّلاع على فهرست الشيخ علي النّوري، لأمكن الجزم بأحد الأمرين.

٣- الشيخ ساسي بن زكريّا بن حمودة بن خليفة الجبالي؛ الإمام المقرئ بجامع الزيتونة، العالم بالسبع والعشر؛ أخذ عن المزاحي وغيره؛ توفّي مطلع القرن الثاني عشر الهجري (١١٠٠هـ/١٦٨٩م)؛ أخذ عنه إبراهيم الجمل[٢] أحد تلاميذ الشيخ عليّ النوري، ولم يذكر له تأليف في هذا العلم[٣].

٤- الشيخ أحمد مجاهد؛ كان أحد المدرسين بجامع الزيتونة في علم القراءات؛ توفي عام مائة وثماني عشرة وألف للهجرة (١١١٨هـ/١٧٠٧م)[٤].

٥- الشيخ علي الكوفري الأندلسي،نسبة إلى محلة بتونس العاصمة؛ فقيه عالم بالقراءات؛ توفي عام تسع عشرة ومائة وألف للهجرة (١١١٩هـ/١٧٠٨م)؛ له تأليف في الوقوف القرآنية من كتاب المرشد[٥].

٦- الشيخ أحمد عزوز؛ عالم التجويد؛ كان يقرأ للسّبع بطريق الشاطبية، وللعشر؛ أخذ عن الشيخ عبد الرحمن العصائي، توفّي عام إحدى وثلاثين ومائة وألف (١١٣١هـ/١٧١٩م)؛ ولم أجد ترجمة للشيخ عبد الرحمن هذا، لأحدّد هل هو من أهل تونس أم من غيرهم، فإن كان من أهلها، فإنّه يعدّ من قرّاء تونس في هذا العصر[٦].

١- الحلل السندسية، ج٢، ص٤١٥-٤١٨؛ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج٢، ص٣٩٧.

٢- ستأتي ترجمته في المبحث التالي.

٣- الحلل السندسية، ج٢، ٥٥٧؛ شجرة النور، ص٣٠٧.

٤- الحلل السندسية، ج٣، ص١٢٧.

٥- تراجم المؤلفين التونسيين، ج٤، ص١٨٨.

٦- الحلل السندسية، ج٣، ص٢٨٢؛ وشجرة النور، ص٣٤٧، ولكن هذا الأخير سماه:" محمد بن الشيخ محمد عزوز أخذ القراءات عن والده والعلوم عن السيخ زيتونة...والشيخ أحمد مجاهد وأحازه".

٧-الشيخ إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم الجمّني؛ رحل إلى مصر، وأقام بها تسع سنوات، أخذ القراءات عن الشيخ المزاحي، و أخذ عن الشبراملّسي وغيره، ثمّ رجع إلى تونس فأقام بجزيرة جربة يدرّس بها؛ توفي عام أربع وثلاثين من القرن الثاني عشر الهجري (١١٣٤هـ/١٧٢٢م)؛ و لم يُذكر له تأليف في القراءات[١].

٨- الشيخ أحمد بن مصطفى برناز؛ أخذ القراءات عن الشيخ محمد بن صولة الزواوي الجزائري؛ توفي عام ثمان وثلاثين ومائة وألف (١١٣٨هـ/١٧٢٦م)؛ له تأليف في شرح الدرّة لابن الجزري[٢].

وبهذا العرض نخرج بالنتائج الآتية:

- إنّ مصر قد جمعت أشهر علماء القراءات في هذا العصر، وجلّ أسانيد القراءات اليوم تدور عليهم[٣].
- قلّة علماء القراءات في تونس، فإنّ هذا العدد إذا ما قيس بغيره من العلوم، لم يكن شيئا مذكورا.
- أغلب التونسيين تلقّوا هذا العلم خارج البلاد التونسية لاسيما مصر.
- إنّ هؤلاء المذكورين، لم يعن الكثير منهم بالتأليف في هذا العلم، حتّى كاد التأليف ينعدم تماما، فإنّ بعض الكتب التي خصّصت لمؤلفات التونسيين[٤]، لم تذكر غير ما سبق، ثمّ إنّ هذه المؤلّفات المذكورة ليست ذات شأن يذكر.

وإذا كان الأمر كذلك فإنّي أكاد أجزم أنّ علم القراءات في القطر التونسي كان يعيش حالة ركود، أو قل حالة احتضار وهذا مني بناء على أنّ الكتب التي ذكرت فيها تراجم التونسيين ومؤلفاتهم لم تعدّ غير من ذكرت مثل: كتاب العمر في المصنفات

١- المصدر نفسه، ج٣، ص٢٩٨؛ تراجم المؤلفين التونسيين، ج٢، ص١٦، وفيه: " وقيل دخل القاهرة عام (٥١٠٧٥-) " وهو قول فيه نظر -ولذلك جاء بصيغة التمريض - وكيف يكون ذلك وقد أخذ عن المزاحي الذي توفي السنة نفسها.

٢- تراجم المؤلفين التونسيين، ج١، ص٩٢-٩٥؛ تاريخ الجزائر الثقافي، ج٢، ص٢١، ووصف ابنَ صولة بأنّه من أشهر علماء القراءات الجزائريين، في القرن الحادي عشر.

٣- انظر إسناد: المرصفي، في مقدمة كتابه هداية القاري؛ وعبد الرزاق موسى إبراهيم، ص٢٢، متن الطيبة، ت محمد تميم الزعبي (مقدمة المحقق) ص٢٨.

٤- أقصد بهما كتابي: كتاب العمر في المصنفات والمصنفين التونسيين، و تراجم المؤلفين التونسيين

والمصنفين التونسيين، وتراجم المؤلفين التونسيين، وشجرة النور، ومعجم المؤلفين، وهذا ما يظهر من قول صاحب فهرس الفهارس عن الشيخ النوري:" محيي السنن وعلم القراءات بالقطر التونسي"، وقول محمد الشاذلي النيفر عن الشيخ النوري وسبب تأسيس زاويته:" رأى الحاجة ماسّة إلى ذلك، فإنّ تونس بسبب ما انتابها من محن وفتن -التي كادت تذهب بالعلوم- أقفرت عرصاتها، وانعدمت الدروس، فأراد أن يعيد إلى هذه البلاد أمجادها العلمية في الدّين، كما كانت في العصر الحفصي ... ولمّا تعذّر عليه أن تكون مدرسته جامعة، خصّصها بما رآه أوكد من غيره(يعني علم القراءات)"[1].

وسوف ترى فيما يأتي بإذن الله جل وعزّ، كيف انقلب الحال بما بذله الشيخ رحمه الله تعالى في إحياء هذا العلم، وكم من مقرئ تخرج على يد الشيخ وتلاميذه؛ وكم من كتاب ألف في هذا العلم بعده، وقد بقيت آثار مدرسته إلى زمننا هذا.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

١- محمد الشاذلي النيفر، ص١٠.

المبحث الثاني:

حياة الإمام الصفاقسي

وفيه ستة مطالب:

الأول: اسمه ونسبه.

الثاني: مولده و نشأته.

الثالث: شيوخه وتلاميذه

الرابع: آثاره وأعماله.

الخامس: مذهبه الفقهي والعقدي.

السادس: أخلاقه وثناء العلماء عليه.

السابع: وفاته.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الأول:

اسمـــه ونسبـــــه*

اتفقت المصادر على أن اسمه عليٌّ، ثم وقع الاختلاف في نسبه على الوجوه التالية:

ابن سالم بن محمد بن سالم بن أحمد بن سعيد[١].

وقيل: ابن محمّد[٢].

وقيل: ابن محمّد بن سليم[٣].

وقيل: ابن سالم بن محمد بن أحمد بن سعيد[٤].

وقيل: ابن سالم بن أحمد بن سعيد[٥].

والصحيح الأوّل: علي بن سالم بن محمد بن سالم بن أحمد بن سعيد؛ لأنّه كـــذلك وجد بخطّ الشيخ -رحمه الله-[٦].

وكنيته المشهورة، أبو الحسن، وليس له ولد يسمّى الحسن؛ وهذا غير لازم في الكنية كما هو معروف؛ ويكنّى أيضا أبا محمّد، وهو اسم ولده الأكبر[٧].

---

* ترجمته في: الحلل السندسية، ج٣، ص١٢٢-١٢٥؛ وشجرة النور، ص٣٢١، ٣٢٢؛ و فهرس الفهارس ج٢، ص٦٧٣؛ وكتـــاب العمر في المصنفات والمصنفين التونسيين؛ ج١، ص١٧٩-١٨١، والأعلام، ج٥ ص٣٠،١٤؛ ومعجم المؤلفين، ج٢، ص٥٠٤؛ تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين (مقدمة المحقـــق) ، ص٧-٢٠؛ تـــراجم المـــؤلفين التونســـيين، ج٥، ص٤٩-٦٢؛ وهدايـــة القـــاري، ج٢،ص٦٧٨.

١- تراجم المؤلفين التونسيين، ج٥، ص٤٩.

٢- فهرس الفهارس، ج٢ ص٦٧٣؛ شجرة النور، ص٣٢١، الأعلام، ج٥، ص١٤، وأحال إلى شجرة النور، ومخطوطـــات الربـــاط ومخطوطات الزيتونة، ثم أعاد ذكره في نفس الجزء ص٣٠ بسياق مغاير، وأحال إلى ذيل البشائر، فكأنه اعتبرهما شخصـــين، وهـــو وهم، وانظر أيضا: معجم المؤلفين، ج٢، ص٥٠٤.

٣- تنبيه الغافلين(مقدمة المحقق)، ص٨؛ وعنه عبد الفتاح سيد عجمي المرصفي، هداية القاري، ج٢، ص٦٧٨؛ ، معجـــم مصـــنفات القرآن الكريم، علي شوّاخ إسحاق، ج٤، ص١١٥.

٤- كتاب العمر في المصنفات والمصنفين التونسيين، حسن حسني عبد الوهاب،ج١، ص١٧.

٥- الزاوية النورية وتأثيرها في الحركة التعليمية، ص٢٦٧.

٦- تراجم المؤلفين التونسيين، ج٥، ص٤٩.

٧- كتاب العمر، ج١، ص١٧٩؛ تراجم المؤلفين التونسيين، ج٥، ص٤٩؛ وفي كتاب الشيخ علي النوري، تنبيه الغافلين، ص٢٩، ٤١ نجد قوله: "قال أبو محمد النوري".

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أما لقبه: فيلقب بالنّوريّ، وشَطُّورو؛ وهما لقبان لعائلته، لكن يبدو من صنيع بعضهم، أنه لم يعتبر النوريّ لقبا عائليا، حيث قال: "...علي النوري بن محمد أبو الحسن..."[١]، ووجه ذلك أنه أضافه لاسمه، وجعله مختصًّا به.

أمّا لقب شطورو فلأنّ عائلته فرع من أسرة شطورو الصفاقسيّة.

وقد استمرّ معه هذان اللّقبان عند مجاورته بالأزهر؛ إلاّ أنّه اقتصر بعد ذلك على اللّقب الأوّل؛ خِفّة وتفاؤلاً[٢].

أمّا نسبته: فالصفاقسيّ نسبة إلى مدينة صفاقس (بالصاد المفتوحة، وقيل بالسين، وضم القاف) الواقعة بتونس، على الساحل الشرقيّ إلى الشمال من خليج قابس، وهي مدينة قديمة، اشتهر من علمائها: ابن التين[٣]شارح البخاري، وأبو إسحاق برهان الدِّين الصفاقسيّ[٤]، ومدينة صفاقس اليوم أشهر، وأكبر المدن التونسيّة بعد العاصمة تونس[٥].

١- ج٥، ص٣٠، و يدل على ذلك أيضا قصة أوردها محمد الشاذلي النيفر ولكنه ردّها زَيَّفها، وأيضا نجد الشيخ يلقب نفسه: "أبو محمد النوري...علي النوري ".انظر: تنبيه الغافلين، ص ١٢، ٢٩، ٤١.

٢- الزاوية النورية وتأثيرها في الحركة التعليمية، ص٢٦٧، وتراجم المؤلفين التونسيين، ج٥، ص٤٩.

٣- هو أبو محمد عبد الواحد بن عمر بن التين الصفاقسي، له شرح على البخاري سمّاه " الخبر الفصيح بقواعد مسند البخاري الصحيح "توفي (٦١١هـ) انظر: شجرة النور ١٦٨.

٤- هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد برهان الدين الصفاقسي، فقيه مالكي من مصنفاته "المجيد في إعراب القرآن المجيد" ت(٧٤٢هـ)انظر: بغية الوعاة، السيوطي، ج١، ص٤٢٥.

٥) انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج٣، ص٢٥٢، باب السين؛ وصف إفريقيا، محمد الوزان الفاسي (ليون الإفريقي)، ج٢، ص٨٧؛ تاج العروس، مرتضى الزبيدي، ج٨، ص٣٣٢، والموسوعة العربية العالمية، ج١٥، ص٩٤؛ الموسوعة الجغرافية للوطن العربي، ص٢٦٨.

المطلب الثاني:
مولـــــده ونشـــأته

ولد الشيخ أبو الحسن النّوري، بمدينة صفاقس عام ثلاث وخمسين وألف من الهجرة، (١٠٥٣هـ/١٦٤٣م)، ولم تذكر المصادرعن مرحلة طفولته شيئا[١]؛ إلاّ تتلمذه على يد الشيخ أبي الحسن الكرّاي، وذكر بعضهم أنه أخذ عن آخرين من مشايخ صفاقس لم يَتهد إلى معرفتهم[٢].

ثم سمت همّة الشيخ للسفر إلى مدينة تونس؛ لإكمال مسيرته العلميّة، إلاّ أنّ والـــده عارضه في هذا المشروع، إشفاقاً عليه ممّا يراه من فقره وقلّة ذات يده؛ ولكنَّ هذا لم يحـــل بين الشيخ وتحقيق طموحه، إذ ما إن بلغ عمره أربع عشرة سنة حتى رحـــل إلى تـــونس، وهناك اشتدّت به الحاجة، ومما يصور لك معاناته هناك، أنّه لم يكن بجد ما يتقوته فكـــان يشتري الشيء اليسير من التمر، ويغلّيه على بقيّة نار الطلبة، ويشرب ماءه ليمســـك بـــه رمقه، والطلبة يظنّون أنه طعام مثلهم، وبقي كذلك حتّ تولاّه الله، فقيّض له من بعـــض أهل الخير من تكفّل بقُوتِه؛ وكان في هذه المدّة يتردّد في الإقامة على المدرستين: الشمّاعيّة والمُنتصريّة وهما من أقدم المدارس التونسية وكانتا قد لقيتا العناية من العثمـــانيين بعـــد أن أصابهما الركود والانحلال[٣].

أخذ العلم في هذه الفترة عن أجلّة من مشايخ الزيتونة، وحصل منهم على كثير من العلوم؛ وكانت مدة بقائه في تونس حوالي سبع سنوات[٤].

١- انظر: تراجم المؤلفين التونسيين، ج٥، ص٤٩.

٢- كتاب العمر، ج١، ص١٧٩؛ تراجم المؤلفين التونسيين، ج٥، ص٤٩.

٣- كتاب العمر، ج١، ص١٧٩؛ تنبيه الغافلين (مقدمة المحقق)، ص٨-٩؛ تراجم المؤلفين التونسيين، ج٥، ص٤٩-٥٠.

٤- تراجم المؤلفين التونسيين، ج٥، ص٥٣، ولا يوجد نصّ صريح على هذه المدة، وإنما هو استنتاج بناه محفوظ على أن مدة المجـــاورة في الأزهر الغالب فيها خمس سنوات، فإنه سافر إلى تونس عام (١٠٦٧هـــ)، ورجع من مصر عام (١٠٧٨هـــ)، وبعملية حســـابية يظهر لك الاستنتاج.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وبعد هذه المدة التي قضاها بتونس، أرسله بعض أهل البِرّ والصلاح إلى مصر التي كانت محط كبار العلماء، وطلاّب العلم، كما قدّمت- وكان ذهابه إليها سنة ثلاث وسبعين بعد الألف للهجرة، (١٠٧٣هـ/ ١٦٦٣م)، وعمره إذّاك عشرون سنة تقريبا[١].

وهو في رحلته هذه مقتد بأهل بلده في الذهاب؛ فقد عرف القرنان الحادي والثاني عشر توافد الطلاب التونسيين على الأزهر، لا سيّما من أهل صفاقس وجربة[٢].

وفي الأزهر لقي جماعة من الأعلام، ولازمهم منهم: الخرشي، والشبرخيتي، والأفراني، والشبراملسي، و يحيى الشاوي، وغيرهم.

وقرأ على مشايخه هؤلاء في أنواع العلوم، من عقيدة، وتفسير، وقراءات، وفقه، وحديث، وسيرة، ونحو، وأجازوه فيها[٣]؛ يتحدث الشيخ النّوري عن هذا فيقول:"...فالغالب لا تجد كتابا للمتقدّمين، ولا للمتأخرين، في جميع العلوم، إلا ولنا به اتصال إلى مؤلفه؛ إمّا بسماع، أو بقراءة كلّه، أو بعضه، أو لحضورنا لمن يقرؤه كذلك، أو بإجازة خاصة أو عامة، أو بكتابة"[٤].

ومن مصر قصد بيت الله الحرام حاجا، سنة ست وسبعين وألف للهجرة، (١٠٧٦هـ/١٦٦٠م)، ولم يرجع من الحج مباشرة إلى وطنه، بل عاد إلى مصر مرّة أخرى، فقد أُرِّخت الكثير من إجازاته التي حصل عليها بسنة ثمان وسبعين وألف للهجرة، (١٠٧٨هـ/١٦٦٨م)[٥].

ورجع إلى بلده أواخر السنة نفسها، وعمره خمسة وعشرون سنة[٦]؛ وبه يبدأ الشيخ مرحلة جديدة من حياته، هي مرحلة التربية، ونشر العلم بين الناس، حيث اتّخذ من بيته مدرسة، لِبَثّ العلم الذي تلقّاه، أداء للأمانة التي تحمّلها، وعملا بقول النبيّ ﷺ:" **مَنْ سُئِلَ**

١- تنبيه الغافلين(مقدمة المحقق)، ص٩؛ تراجم المؤلفين التونسيين، ج٥، ص٥٠.

٢- انظر المبحث السابق.

٣- شجرة النور، ص٣٢١؛ كتاب العمر، ص٧٩؛ وتراجم المؤلفين التونسيين، ج٥، ص٥٠-٥٣.

٤- فهرس الفهارس، ج٢، ص٦٧٣؛ شجرة النور، ص٤٥٧.

٥- تراجم المؤلفين التونسيين، ج٥، ص٤٩، ٥١، ٥٣.

٦- المصدر نفسه، ج٥، ص٥.

عَنْ عِلْمٍ فَكَمَهُ أَلْجَمَهُ اللَّهُ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"[1]؛ و لم يقتصر على هذا، بل جاوزه إلى أعمال أخرى؛ وسيأتي الكلام عنها فيما بعد.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

١- أخرجه أحمد في المسند(تحقيق أحمد شاكر)، ج٤، ص٥، ٦، ٧؛ برقم ١٠٢٥، ١٠٦٥؛ وأبوداود (عون المعبود)، ج١٠، ص٦٦، كتاب العلم، باب كراهية منع العلم؛ والترمذي، ج٥، ص٢٩، رقم (٢٦٥٤)، كتاب العلم، باب ما جاء في كتمان العلم، وقال:"حديث أبي هريرة حديث حسن"؛ وابن ماجه، ج١، ص٩٦، في المقدمة، باب من سئل عن علم فكتمه، بأرقام(٢٦١إلى٢٦٥)؛ والحاكم في المستدرك، ج١، ص١٠١؛ وغيرهم؛ عن عدد من الصحابة، بألفاظ متفاوتة، وصححه من حديث أبي هريرة وعبد الله ابن عمرو جماعة من الأئمة منهم: الترمذي(حسنه)، وابن حبان، والحاكم على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، ومن المعاصرين الشيخ أحمد شاكر، والعلاّمة الألباني، في صحيح الجامع برقم (٥٧١٣)، وغيرهم، وانظر كلاماً مفصّلا على الحديث: ج٤، ص٥، ٦، ٧، من تحقيق أحمد شاكر للمسند.

المطلب الثالث:

شيـــوخه و تلاميـــذ ه

أ- شيوخه:

ممّا سبق في نشأة الشيخ ورحلاته؛ نعلم كثرة المشايخ الذين تلقى عنهم، واختلاف أقطارهم، ومشاربهم، واتّجاهاتهم ويكفي أن يكون أخذ عن مشايخ مصر، التي جمعت كثيرا من العلماء في ذلك الزمن، وسأبيّن هنا مشايخه مبرزا جوانب من تأثّر الشيخ بهم، رحمهم الله تعالى.

-أ- شيوخه بصفاقس:

- الشيخ أبو الحسن علي الكرّاي، الوفائيّ نسبا، وطريقةً، والأزهريّ تحصيلاً؛ وهو من أوائل من تلقّى عنهم الشيخ رحمه الله[1].

وقد ذكر د. محفوظ أنّه أخذ عن آخرين من أهل صفاقس لم يهتد إلى معرفتهم وقد بحثت فيما أتيح لي من مصادر فلم أفز بشيء.

-ب- شيوخه بتونس:

- الشيخ عاشور القسنطيني، وقد سبقت ترجمته، وسبق احتمال تأثّر الشيخ علي النوري به من حيث شغفه بعلم القراءات.

- الشيخ سليمان الأندلسي البصير، أبو الربيع، شيخ مدرسة الأندلس بتونس[2].

- الشيخ محمد القروي، لم أجد له ترجمة.

وهؤلاء الثلاثة ذكرهم الشيخ عليّ النّوريّ في فهرسته، وأثنى عليهم خيراً[3].

ج - شيوخه بمصر:

١- الشيخ محمد بن علاء الدين البابليّ، المصريّ، شمس الدين؛ توفي عام سبع وسبعين ألف، (١٠٧٧هـ/١٦٦٧م)[1].

١- تراجم المؤلفين التونسيين، ج٥، ص٤٩.

٢- الحلل السندسية ، ج٣، ص٣٩.

٣- شجرة النور ، ص٣٢١؛ وتراجم المؤلفين التونسيين، ج٥، ص٥١٣.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

٢- الشيخ عبد السلام بن إبراهيم اللقّاني، المصريّ؛ شيخ المالكية في وقته؛ قرأ بالروايات على عبد الرحمن اليمني؛ له شرح على جوهرة التوحيد، ولد سنة إحدى وسبعين وتسعمائة، (٩٧١هـ/١٠٧٨هـ)، وتوفي سنة ثمان وسبعين وألف للهجرة (١٥٦٣م/١٦٦٨م)[٢].

٤- الشيخ إبراهيم بن محمد بن عيسى الميمونيّ، أبو إسحاق، برهان الدّين، الشافعيّ؛ كان عارفا بالتفسير والحديث؛ من تآليفه: حاشية على تفسير البيضاويّ، وأخرى على المواهب اللّدنية، وغير ذلك؛ ولد سنة إحدى وتسعين وتسعمائة، وتوفي سنة تسع وسبعين (٩٩١هـ/١٠٧٩هـ)، (١٥٨٣م/١٦٦٩م)[٣]، قرأ عليه الشيخ النّوري عدّة كتب منها عمدة الأحكام، وأجازه إجازة عامّة نوّه في طالعتها بالشيخ وأثنى عليه[٤].

٥- محمد بن محمد الوافراني، وقد سبقت ترجمت؛ أخذ عنه الشيخ النوري القراءات، وقرأ عليه كتاب النشر، ومنظومته في آلان، ومقصورته في القراءات؛ والشيخ النوري شديد التّعظيم له والثناء عليه، وكثير الذّكر له في كتابه غيث النفع قال عنه:"...العلاّمة المحقّق والمدقّق الصالح النّاصح..."[٥].

- الشيخ محمد بن محمد بن أحمد بن ناصر، أبو عبد الله، الدرعيّ المغربيّ؛ كانت له زاوية وأتباع، وله تصانيف وفتاوى، توفي سنة خمس وثمانين وألف، (١٠٨٥هـ/١٦٧٥م)[٦].

لقيه الشيخ علي النوريّ بالأزهر، فأجازه وأثنى عليه؛ قال د. محفوظ:"...وربما كان (الشيخ النّوري) من أتباع الطريقة الناصرية"[٧]؛ وذلك لأنّ الشيخ النّوري كان يحتجّ بمواقفه في مقاومة بعض بدع التصوف، ويثني عليه.

١- خلاصة الأثر، ج٤، ص٣٩.

٢- خلاصة الأثر، ج٢، ص٤١٦؛ الأعلام، ج٣، ص٣٥٥؛ هداية القاري، ج٢، ص٧٨٩.

٣- خلاصة الأثر، ج١، ص١٢٦؛ والأعلام، ج١، ص٦٧.

٤- تراجم المؤلفين التونسيين، ج٥، ص٥١.

٥- الغيث، ص١١.

٦- خلاصة الأثر، ج٤، ص٢٣٨؛ شجرة النور، ص٣١٣؛ الأعلام، ج٧، ص٦٣.

٧- تراجم المؤلفين التونسيين، ج٥، ص٥٢.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

٧- الشيخ أحمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم، العجميّ، الوفائيّ، المصريّ الأزهريّ؛ من المشتغلين بالحديث؛ ولد سنة أربعة عشر وألف، وتوفي سنة ست وثمانين (١٠١٤هـ/١٠٨٦هـ) (١٦٠٥م/١٦٧٥م)[١]؛ سمع منه الشيخ النوريّ بعض كتب الحديث، وأجازه في بعضها، كما أجازه إجازة عامة[٢].

٨- الشيخ علي الشبراملّسي، وقد سبقت ترجمته؛ أخذ عنه الشيخ النوريّ القراءة عرضاكما في غيث النفع، وقرأ عليه كتاب النّشر[٣].

٩- الشيخ يحيى بن زين العابدين، شرف الدين أبو المواهب؛ حفيد زكريّا الأنصاريّ؛ من كتبه "الطبقات"؛ وفاته عام اثنتين وتسعين من القرن الحادي عشر(١٠٩٢هـ / ١٦٨٢م)، ومولده عام ثلاثين من نفس القرن، (١٠٣٠هـ/١٦٢١م)[٤]؛ قرأ عليه الشيخ النوريّ عدة كتب، وأجازه بها، كما أجازه إجازة مطلقة بغيرها، وضمّن هذه الإجازة في رسالة سمّاها "الشرف الظاهر الجليّ في إجازة سيدي عليّ المغربيّ المالكيّ "[٥].

١٠- الشيخ علي بن إبراهيم الخيّاط الرشيدي، سبقت ترجمته؛ أجاز الشيخ النوريّ في القراءات مكاتبة[٦].

١١- الشيخ يحيى بن محمد بن محمد، أبو زكريّا، الشاويّ لقباً، النايليّ نسباً[٧]، المليانى الجزائريّ؛ كان واسع الاطّلاع على كثير من العلوم، درّس بالأزهر؛ من مؤلّفاته:

١- خلاصة الأثر، ج٤، ص٣٩.

٢- تراجم المؤلفين التونسيين، ج٥، ص٥١.

٣- شجرة النور، ص٢١؛ الغيث، ص١٧.

٤- خلاصة الأثر، ج٢، ص٢٢٢؛ الأعلام، ج٣، ص١٦١.

٥-تراجم المؤلفين التونسيين، ج٥، ص٥٠.

٦- فهرس الفهارس، ج٢، ص٦٧٣.

٧- نسبة إلى قبيلة أولاد نايل بالقطر الجزائري، وهي قبيلتي التي أنتسب إليها، ويقول النسّابون أنها من الأدارسة الحسنيين.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

حاشية على شرح المرادي[١] على الألفية في النحو، وحاشية على شرح أمّ البراهين في العقيدة، للسنوسي[٢]؛ توفي سنة ست وتسعين وألف للهجرة، (١٠٩٦هـ/١٦٨٥م)[٣].

قال د. محفوظ: "...ولعلّه (يعني النّوري) قرأ عليه النّحو والتوحيد..."[٤]، ووجّه هذا الاحتمال، أنّ الشاوي اشتهر بإقراءهما، لكنّي وجدت الشيخ النّوري قد نصّ على قرائته شرح المرادي على الألفيّة في النّحو[٥] على شيخه الشاوي؛ أمّا العقيدة فلم أجد نصّا عليها، ولكن يُستأنس بما قاله د. محفوظ، وأيضا بما ذكره الشيخ النّوري نفسه من التنويه بمكانة الشاوي في هذين العلمين، حيث قال عنه:" سيبويه أوانه، وأشعريّ زمانه"[٦]والله أعلم.

١٢- الشيخ أحمد بن عبد اللطيف، البشبيشي، سبقت ترجمته.

١٣- إبراهيم بن شهاب الدين حسن الكورانيّ الشهرزوريّ، أبو إسحاق، الفقيه الشافعي، الصوفي، توفي سنة إحدى ومائة وألف(١١٠١هـ/١٦٩٠م)[٧].

١٤- الشيخ محمد بن عبد الله، الخرشيّ البحيريّ؛ كان فقيها فاضلا وهو أوّل من تولّى مشيخة الأزهر؛ من كتبه: الشرح الكبير على مختصر خليل[٨]، وله آخر صغير، وشرح على نخبة الفكر؛ ولد عام عشر وألف(١٠١٠هـ/١٦٠١م)، وتوفّي السنة الأولى

١- هو: الحسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي، أبو محمد، المعروف بابن أم قاسم، فقيه نحوي لغوي مقرئ أخذ اللغة عن أبي حيان وغيره، من تآليفه: شرح التسهيل، وألفية ابن مالك، وشرح الشاطبية، وشرح مفرد لباب وقف حمزة وهشام من الشاطبية، (ت٧٤٩هـ)؛ غاية النهاية، ج١، ص٢٢٧.

٢- هو: محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي الحسني، أبو عبد الله، عالم تلمسان في عصره، له تصانيف كثيرة منها:شرح على البخاري لم يكمله، ومكمل إكمال الإكمال في شرح مسلم، وعقيدة صغرى وأخرى وسطى وثالثة كبرى، ت(٨٩٥هـ)؛ شجرة النور، ص٢٦٦.

٣- خلاصة الأثر، ج٤، ص٤٨٦؛ شجرة النور ، ص٣١٦؛ الأعلام، ج٨، ص١٦٩؛ تاريخ الجزائر الثقافي، ج٢، ص١٠٨-١١٧.

٤- ج٥، ص٥٢.

٥- فهرس الفهارس، ج٢، ص١١٣٢، ١١٣٣.

٦-المصدر نفسه.

٧- تاريخ عجائب الآثار، ج١، ص١١٧؛ سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، محمد خليل المرادي، ج١، ص٥؛ الأعلام، ج١، ص٣٥.

٨ - هو أبو المودة خليل بن إسحاق الجندي، أحد أعلام الفقه المالكي، أخذ عن ابن الحاج صاحب المدخل وغيره، من أشهر مؤلفاته مختصره الفقهي وشرحه على مختصر ابن الحاجب المسمى بالتوضيح، (ت٧٧٦هـ، قيل٧٧٩هـ)؛ شجرة النور، ص٢٢٣.

من القرن التالي، (١١٠١هـ /١٦٩٠م)[١]؛ قرأ عليه الفقه، والأربعين النوويّة، وقطعة من الجامع الصغير للسيوطي [٢]، وأجازه إجازةً مطلقة[٣].

١٥- الشيخ إبراهيم بن مرعي بن عطيّة، برهان الدين الشبرخيتي؛ من أفاضل المالكية بمصر، له من المؤلفات:شرح خليل، وشرح الأربعين النوويّة؛ توفي عام ستّ من القرن الثاني عشر (١١٠٦هـ/١٦٩٤م)[٤]، أجاز الشيخ في رواية الحديث والفقه، وكثير من كتب التفسير والسير[٥].

١٦- الشيخ جلال الدين الصديقي[٦].

١٧- الشيخ أحمد عبد الرحمن، البوذريّ، أجاز الشيخ بعدّة كتب[٧].

١٨- الشيخ أحمد العناني الكناني[٨].

١٩- أحمد السنهوري[٩].

٢٠- المحدّث الشيخ الشبراوي[١٠].

وذكر في مشايخه غير هؤلاء وفي عدّهم من مشايخه نظر[١١].

١- تاريخ عجائب الآثار، ج١، ص١١٣؛ المرادي، ج٤، ص٦٢؛ وشجرة النور، ص٣٧١؛ والأعلام، ج٦، ص٢٤٠، ٢٤١.

٢- السيوطي هو: عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الخضيري، السيوطي، جلال الدين؛ محدّث مؤرّخ أديب مصنّف متفنّن، ت(٩١١هـ)؛ البدر الطالع، ج١، ص٢٢٩؛ الأعلام ج١، ص١٧٨.

٣- تراجم المؤلفين التونسيين، ج٥، ص٥٠.

٤- تاريخ عجائب الآثار، ج١، ص١١٧؛ شجرة النور، ص٣١٧؛ الأعلام، ج١، ص٧٣.

٥- تراجم المؤلفين التونسيين؛ ج٥، ص٥٠.

٦- ذكره الكتاني،و مخلوف و لم أجد ترجمته.

٧- ذكره تراجم المؤلفين التونسيين، ج٥، ص٥١ وقال:" لعله من قرية بوذر بالساحل التونسي"؛ وربما هو نفسه أحمد بن عبد الرحمن المغربي، الذي ذكره الكتاني في مشايخ النوري؛ انظر:ج٢، ص٦٧٣.

٨- ذكره الكتاني و مخلوف، و لم أجد ترجمته، ووجدت ترجمة محمد بن داود بن سليمان العناني المصري ت(١٠٩٨هـ/١٦٦٨م)؛ انظر تاريخ عجائب الآثار، ج١، ص١٤٤؛ الأعلام، ج٦، ص١٢٠، ١٢١.

٩- ذكره الكتاني ومخلوف، و لم أجد ترجمته.

١٠- ذكره مخلوف، و لم أجد ترجمته، ولعلّه جدّ الفقيه عبد الله بن محمد بن عامر الشبراوي؛ انظر: سلك الدرر، ج٣، ص٧٨؛ الأعلام، ج٤، ص١٣٠.

١١- وهؤلاء هم: أبو بكر الشنواني توفي (١٠١٩هـ/١٦١١م)؛ ومحمد الخفاجي والد الشهاب الخفاجي، والشهاب هذا توفي (١٠٦٩هـ/١٦٥٩م)، فكيف بوالده؛ ونور الدين الزيادي توفي(١٠٢٤هـ/١٦١٥م)؛ فهؤلاء توفّوا قبل الشيخ، بل إنّ الشيخ نفسه قال عن الشنواني: "شيخ شيوخنا "؛ انظر تنبيه الغافلين، ص٤٣.

فهؤلاء مشايخه، وما أخذه عنهم، وقد قال الشيخ عنهم:"...وقد اجتمعت بهم ولازمتهم مدة طويلة، وحضرت مجالسهم الخاصّة والعامّة، وكلٌّ منهم أجازني إجازة مطلقة شاملة تامة، على حسب ما أجازهم به مشايخهم، كما أخبروني بذلك..."[١].

وأنبّه أنّ الأفراني، والشبراملسي، وعلي الخياط الرشيدي، والبشبيشي، والشيخ عاشور القسنطيني، كانوا من علماء القراءات فأمّا الأوّلان فقد نصّ على أنه أخذ عنهما هذا العلم، ولا نص لدينا عن الأخيرين، سوى أنّ الرشيدي أجازه في القراءات مكاتبة، ومن المستغرب حقّا ألاّ يقرأ الشيخ النوري على المزّاحي، رغم أنّ هذا الأخير من أبرز علماء هذا الفنّ، ولا أدري ما سبب ذلك فقد أدركه قبل وفاته بعامين.

سند الشيخ في القراءة:

قرأ الشيخ علي النوري القراءات السبع، والعشر الصغرى والكبرى، بل والشاذة أيضا[٢]، ونصّ على قراءته على اثنين من مشايخه هما: الأفراني والشبراملسي، ولا يعني هذا أنّه لم يقرأ على غيرهما، وذلك أنه كثيرا ما يكرّر عبارة:"قرأت على جميع مشايخي"[٣]، وعبارة الجمع تدلّ على ما قلت، بل هناك ما هو أصرح منها وهو قوله:"وبه قرأنا على شيخنا[٤]-رحمه الله- وغيره، وقرأنا على شيخنا الشبراملسي"[٥]، والضمير في عبارة "غيره"راجع إلى من سوى الأفراني والشبراملسي، ويحتمل الواحد فأكثر.

وإليك سند الشيخ[٦]: أخذ الشيخ علي النوري عن الأفراني، عن سلطان المزاحي، عن سيف الدين الفضالي، عن شحاذة اليمني[١]، عن ناصر الدين الطبلاوي[٢]، عن زكريا

١- شجرة النور، ص٣٢١.

٢- في قراءته للسبع، والعشر الصغرى انظر: الغيث، ص٢٥، ٨٨، وقراءته للعشر الكبرى انظر: تنبيه الغافلين، ص١٠٢؛ وانظر أيضا فهرس الفهارس، ج٢، ص٦٧٣، فقد ذكر أنّ الشيخ أجاز تلميذه الحرقاني بالسبع والعشر.

٣- انظر هذه العبارة ومثيلاتها في: الغيث، ص٨، ١٠، ٢١، ٢٥، ١٢، ١٤٩، ١٦٤، وتنبيه الغافلين، ص٣٨، ٥٦، ١١٦.

٤- يعني الأفراني

٥- الغيث، ص١٧.

٦-أخذت هذه الأسانيد من: سند أحمد بن محمد البنّا الذي قرأ على الشبراملسي، انظر: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، ج١، ٧٩؛ وانظر سند الشبراملسي في السبع في سند الشيخ عبد الرزاق بن علي إبراهيم موسى في مقدمة تحقيقه لكتاب: الفتح الرحماني شرح كنز المعاني في تحرير حرز الأماني، سليمان الجمزوري، ص٢٢، ٢٣؛ ومن سند المتولي انظره في: الإمام المتولي

الأنصاري[٣]، عن رضوان العقبي[٤]، وطاهر النويري[٥]، وهما الإمام ابن الجزري بأسانيده.

وقرأ الشيخ النوري أيضا على الشبراملسي، وهو على عبد الرحمن اليمني، وهو على أحمد بن عبد الحق السنباطي[٦]، وهو على شحاذة اليمني[١]، بالسند المتقدم[٢].

وجهوده في علم القراءات، ص١٠٩؛ وسند الشيخ عبيد الله الأفغاني في: العالم الرباني الشيخ المقرئ عبيد الله الأفغاني، يحي بن عبد الله البكري الشهري، ص٢٧١- ٢٩١؛ وفي سند الشيخ عبيد الله ملاحظة وهي أنه ذكر السند كالآتي:"...عن محمد الحرقاني(كذا بالنون، والصواب بالفاء) الصفاقسي، عن الشيخ أبي عبد الله محمد الأفراني" فلم يذكر الشيخ النوري هنا، والذي يظهر لي أنه سقط من هذا الإسناد سهوا، وذلك للأمور التالية:

- لم يذكر أصحاب التراجم الشيخ الأفراني في شيوخ الحرقاني.
- لم يذكر مترجموا الأفراني الحرقاني في تلاميذه.
- لم يذكر للحرقاني رحلة إلى مصر بل ولاخروج من تونس أصلا.

-إن هذا يخالف المذكور في إسناد الشيخ المارغني وشيخ شيخه التواتي الذين أثبتا الشيخ النوري في الإسناد، كما نقل ذلك في فهرس الفهارس ج١، ص٢٣١؛ ج٢، ص٦٧٤.

- إن الشيخ النوري رحمه الله تعالى رجع من مصر أواخر سنة ثمان وسبعين(١٠٧٨هـ) ووفاة الشيخ الأفراني كانت سنةإحدى وثمانين(١٠٨١هـ)، وممّا لاشك فيه أن الشيخ محمد الحرقاني قد قرأ على الشيخ النوري في صفاقس، ثم رحل إلى تونس وقرأ على علمائها، وهذا الأمر أعني القراءة بصفاقس ثم الرحلة إلى تونس والقراءة بها يستبعد أن أن يستغرق أقلّ من ثلاث سنوات؛ وبالتالي يبعد لقاء الحرقاني بالأفراني، وإن فرضنا أنّه رحل إلى مصر لأنّه حينئذ قد تّوفي؛ رحم الله الجميع.

- إن وجود نسبة "الصفاقسي" بشكل متوالٍ في السند يؤيد وقوع سبق نظر ممن كتب الإجازة، وكذا الخطأ في تسمية الحرقاني؛ والله أعلم.

١- هو أبو عبد الرحمن شحاذة اليمني المصري الشافعي توفي قبل سنة (٩٩٧)، ولم أجد له ترجمة وافية فيما بين يدي من مصادر، رغم شهرة المؤلف وكثرة وروده في أسانيد القراءات، وهذه النتفة من الحلقات المضيئات في أسانيد القراءات، نقلا عن، العالم الرباني عبيد الله الأفغاني، ص٢٧٣، هامش، رقم٢.

٢- أبو النصر الطبلاوي: هو محمد بن سالم الطبلاوي، ناصر الدين، أبو النصر؛ من علماء الشافعية بمصر، تفرد في كبره بإقراء العلوم الشرعية وآلاتها، ولم يكن في مصر أحفظ منه لهذه العلوم، توفي (٩٩٦هـ/ ١٥٥٩م)؛ االأعلام، ج٦، ص١٣٤؛ هداية القاري، ج٢، ص٧٠٧.

٣- زكريا الأنصاري: هو زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري، أبو يحيى، الشافعيّ؛ أحد المشاهير، قرأ القراءات على غير واحد، منهم رضوان العقبي، وقرأ عليه الطبلاوي، والسنباطي، وغيرهما؛ من كتبه شرح ألفية العراقي في الحديث، وشرح المقدمة الجزرية؛ ولد (٨٢٣هـ/١٤٢٠م)توفي(٩٢٦هـ/١٥٢٠)؛ الشوكاني، البدر الطالع، ج١، ص١٧٥؛ الأعلام، ج٣، ص٤٦.

٤- الرضوان العقبي: هو رضوان بن محمد بن يوسف العقبي، أبو النعيم، المصري الشافعي؛ من حفاظ الحديث والقراءات؛ من كتبه الأربعون المتباينة، وطبقات الحفاظ الشافعيين؛ ولد (٧٦٩هـ-/١٣٦٨م) وتوفي (٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، الضوء اللامع، مج٢، ج٣، ص٢٢٦.

٥- الزين طاهر النويري: هو طاهر بن محمد بن علي النويري، المقرئ الفقيه المالكي، قرأ على ابن الجزري وغيره، توفي (٨٥٦هـ)؛ هداية القاري، ج٢، ص٧٨١، ٧٨٢.

٦- هو أحمد بن أحمد بن عبد الحق السنباطي المصري الشافعي؛ مقرئ كبير، أخذ عن شحاذة اليمني، ويوسف بن زكريا الأنصاري، وعنه عبد الرحمن اليمني، والفضالي؛ توفي (٩٩٥هـ/١٥٨٧م)؛ الأعلام، ج١، ص٩٢.

فيكون بهذا بينه وبين ابن الجزري ستّ رجال، وأعلى ما وقع لابن الجزري أربعة عشر رجلا في قراءة عاصم من رواية حفص وغيرها[٣].

٢- تلاميذه

تتلمذ على الشيخ النوري الكثير من الطلبة، في علوم شتى، أصبحوا في عصره وبعد عصره مرشدين ومعلمين ناشرين في كل مكان حلوا فيه؛ وقد سجلت كل من عثرت عليه، فيما أُتيح لي من مصادر ومراجع فمن هؤلاء:

١- ولده الأكبر محمد، وصفه في شجرة النور بـ:"العالم العامل"، خلف أباه، هو وأخوه في تسيير زاويته[٤].

٢- ولده الأصغر أحمد، وُصف بالعالم المتفنّن الفقيه، وارث الشيخ في علمه، والقائم من بعده على زاويته؛ رحل إلى تونس، والجزائر، وتلمسان، وفاس، ورحل إلى المشرق أيضا، وجلب معه الكثير من الكتب؛ توفي عام إحدى وخمسين ومائة وألف، (١١٥١هـ/١٧٣٩م)[٥].

٣- علي بن محمد المُقدّم التميميّ الصفاقسي، الملقّب بالمؤخّر؛ المقرئ، المتكلّم، النحَوي، الفلكيّ؛ أكبر تلاميذ الشيخ النوري سنًّا، أخذ عنه علوم اللسان والشريعة، والميقات، والحساب؛ وقرأ على الفراتي قرين الشيخ النوري؛ كان حيًّا عام ثمان عشرة

---

١ - وفي بعض الأسانيد أن عبد الرحمن قرأ على والده، ولعلّ هذا الاختلاف راجع إلى أنّ عبد الرحمن لم يقرأ ختمة كاملة على والده بل توفي قبل تمامها، انظر: خلاصة الأثر، ج٢، ص٣٥٨، هداية القاري، ج٢، ص٧٨٩.

٢- وللأفراني شيخ النوري سند آخر مغربي، وهو كالتالي: أخذ الأفراني عن أبي زيد ابن القاضي، عن عبد الرحمن بن عبد الواحد الفيلالي السلجماسي، عن محمد بن أحمد بن محمد الحسني المدعو المريي، عن أبي القاسم الدكالي، عن أبي عبد الله ابن غازي العثماني، عن أبي عبد الله محمد بن الحسين بن حمامة النيجي الشهير بالصغير، عن أبي الحسن بن أحمد الورنتاجي الشهير بالوهري، عن أبي وكيل ميمون بن مساعد المصمودي، عن أبي عبد الله بن محمد بن عمر اللخمي، عن الحافظ أبي الحسن علي بن سليمان بن أحمد الأنصاري القرطبي، عن أبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن إبراهيم بن الزبير الحيابي العاصمي، عن القاضي أبي بكر محمد بن علي بن حسنون الحصيري، عن أبي محمد عبد الله بن خلف بن بقي القيسي، عن أبي الحسن علي بن عبد الرحمن بن أبي الدش، وأبي الحسن علي بن يحيى بن إبراهيم بن عبد الرحمن البياز، وأبي محمد عبد الله الشهير بابن العرجا، أما ابن أبي الدش وابن البياز فعن مكي والداني، وأما ابن أبي العرجا فعن أبي معشر الطبري، وعن أبي العباس أحمد بن سعيد بن نفيس. وأسانيد هؤلاء معروفة في مظانها؛ انظر: قراءة الإمام نافع عند المغاربة، ج٤، ٣٣٦.

٣-ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج١، ص١٩٣.

٤- ص٣٤٤.

٥- المصدر نفسه.

ومائة؛ من مؤلفاته: تقييد في بعض قواعد وأصول القراءات، شرح على عقيدة شيخه النوريّ سمّاه:"مبلغ الطالب إلى معرفة المطالب"، وهذا الشرح ألّفه في حياة شيخه[١].

٤- إبراهيم بن أحمد (وقيل حَمَد)الجمل الصفاقسيّ؛ المقرئ المجوّد النحوي، الكفيف؛ أخذ عن الشيخ النوريّ القراءات وغيرها من العلوم؛ توفّي سنة سبع و مائة وألف، (١١٠٧هـ/١٦٩٦م)؛ من تآليفه: "جامع الشتات في عدّ الفواصل والآيات" منظومة في ألف وثلاثمائة بيت، "نظْمُ كتابِ النّشر في القراءات العشر"، بلغ ثلاثة آلاف بيت، استوعب فيه أوجه القراءات للثّلث الأوّل من القرآن الكريم، "الوقف في القرآن الكريم"، "كلاّ والوقف عليها"[٢].

٥- قاسم (وقيل أبو القاسم) المؤخّر الأنصاري، الصفاقسي؛ حفظ القرآن وأتقنه على الشيخ النوريّ، عالم بالفرائض والوقت والحساب؛ كان حيّا سنة سبع عشرة ومائة وألف (١١١٧هـ/١٧٠٦م)[٣].

٦- أحمد بن حَمَد بن إبراهيم العجمي، المكني منشئاً ومسكنا؛ المقرئ الفقيه؛ لازم الشيخ النوريّ وانتفع به، وأجازه وأثنى عليه كثيرا، ووصفه بالعلم والصّلاح، والتقوى والدّين المتين؛ رحل إلى مصر فأخذ عن علمائها كالشبرخيتي، والخرشي؛ ثم رجع إلى بلده المكنيّين بالساحل التونسي فأسّس بها مدرسةً، وتصدّى للإقراء بها؛ توفّي -رحمه الله- سنة اثنتين وعشرين و مائة وألف للهجرة (١١٢٢هـ/١٧١٠م)[٤].

٧- محمد التونسي، أبو عبد الله الصفاقسي؛ أخذ عن الشيخ النوريّ، ورحل إلى مصر فأخذ عن علماءها؛ فقيه محدّث مقرئ عالم بالتجويد؛ تولّى تدريس التجويد بجامع محمد باي بأمر من السلطان محمد نفسه؛ توفي- رحمه الله- سنة إحدى عشرين و مائة وألف (١١٢١هـ/١٧١٠م)[٥].

١- شجرة النور، ص٣٤٥؛ تراجم المؤلفين التونسيين، ج٤، ص٤١٧.

٢- الحلل السندسية، ج، ٢٨٢-٥٨٨؛ شجرة النور، ص٣١٨؛ الأعلام، ج١، ص٦٨؛ معجم المؤلفين، ج٢، ص٩.

٣- تراجم المؤلفين التونسيين، ج٤، ص٤٢٠؛ والزاوية النورية وتأثيرها في الحركة التعليمية، ص٢٧١.

٤- شجرة النور، ص٣٢٢؛ تراجم المؤلفين التونسيين، ج٤، ص٣٢٢.

٥- الحلل السندسية، ج٢، ص٦٤٢؛ والزاوية النورية وتأثيرها في الحركة التعليمية، ص٢٧١.

٨- محمد بن منصور بن محمد، أبو عبد الله، الملقّب بالحبيب، الشهير بالحرقافي؛ صفاقسي المولد والمنشأ، أخذ القراءات السبع والعشر عن الشيخ النوري، ورحل إلى تونس فأخذ عن علمائها؛ أُوكِل إليه إلقاء درس التجويد في جامع الزيتونة سنة سبع عشرة و مائة وألف (١١١٧هـ/١٧٠٦م)؛ توفي عام أربع وخمسين و مائة وألف (١١٥٤هـ/١٧٤٢)[١].

٩- محمد بن الشيخ أبي عبد الله محمّد المؤدّب الشرفي، أبو عبد الله، الصفاقسي؛ أخذ الفقه والنحو والأصلين ورواية الحديث عن الشيخ النوري؛ وبرع في معظم الفنون؛ وفاته سنة سبع وخمسين ومائة وألف (١١٥٧هـ/١٧٤٤م)[٢].

١٠- عبد العزيز بن عبد العزيز الفراتي؛ قرأ على والده وعلى الشيخ النوري، كان محدّثا عالما بالتوقيت، خطيبا فصيحا؛ توفي عام خمس وستين و مائة وألف (١١٦٥هـ/١٧٥٢م)[٣].

١١- أبو عبد الله محمد كمون الصفاقسي، قاضي صفاقس وفقيهها؛ توفي سنة سبعين و مائة وألف(١١٧٠هـ/١٧٥٧م)[٤].

١٣-رمضان بو عصيدة الصفاقسي؛ وصف بالإمام الفقيه المحدّث، المفسّر؛ توفي بعد وسبعين ومائة وألف[٥].

١٤- علي بن محمد بن خُلَيْفة (بالتصغير) الشريف؛ المساكني نسبة إلى مساكن بلد بالساحل التونسي؛ أخذ عن الشيخ النوريّ، ورحل إلى المشرق فلقي بالأزهر جملة من العلماء، واستكمل القرآن على أحمد البقري، ولما عاد إلى بلده أنشأ مدرسة أقرأ فيها العلوم، وعمّر طويلا؛ قال عنه مؤرّخ صقاقس محمد مقديش[٦]:"كان رجلا صالحا، عفيفا،

١- الحلل السندسية، ج٣، ص١٠١؛ شجرة النور، ص٣٤٤.

٢- الحلل السندسية، ج٣، ص٢٣٠؛ شجرة النور، ص٣٤٤؛ وتراجم المؤلفين التونسيين، ج٣، ص.

٣- كتاب العمر، ص٣٤٩.

٤- شجرة النور، ص٣٤٦.

٥- شجرة النور، ص٣٤٦؛ تراجم المؤلفين التونسيين، ج٤، ص٣٥٦.

٦-

متكلما، محدّثا، مفسرا، واعظا، عارفا بعلوم العربية وأصول الفقه وفروعه"[١]؛ توفي عام اثنتين وسبعين و مائة وألف للهجرة (١١٧٢هـ/ ١٧٥٩م)، وكان مولده عام ثمانين وألف[٢].

١٥- علي الغراب، أبو الحسن الصفاقسي؛ الأديب الشاعر، صهر الشيخ(زوج ابنته)؛ توفي عام ثلاث وثمانين ومائة وألف (١١٨٣هـ/ ١٧٧٠م)[٣].

١٦- عبد السلام بن صالح بن عثمان بن عزّ الدين بن عبد الوهاب بن عبدالسلام الأسمر، أبو محمد، التاجوريّ الطرابلسي[٤].

١٧- محمد الوافي، أبو عبد الله؛ ولد سنة أربع وتسعين وألف للهجرة (١٠٩٤هـ/١٦٨٤م)، بنواحي سوسة، وقرأ بصفاقس على الشيخين: النّوري، والفراتي، ثم رحل إلى تونس وأخذ عن علمائها؛ ورُتّب علما على الإقراء بالزّيتونة[٥].

١٨- محمد الشهيد، السوسي لقباً، الصفاقسيّ إقامة وبلدا؛ من مؤلفاته: "الفواتح النبوية في شرح المقدمة العشماوية"[٦].

١٩-علي العش؛ درّس بجامع الزيتونة، مختصر خليل، والرسالة، وكتب العربية، وغيرها[٧].

٢٠- عبد الحفيظ بن محمد الطيب، له إجازة من الشيخ النوري في رواية ورش[٨].

١- محمد الشاذلي النيفر، ص١١.

٢- شجرة النور ، ص٣٤٧؛ ، ص٤٣٣؛ تراجم المؤلفين التونسيين، ج٢، ص٢٣٣؛ رضا كحالة، ج٧، ص٨٧.

٣- شجرة النور ، ص٣٤٨؛ و ذكر أنه صهر الشيخ في: رحلة أحمد بن ناصر الدرعي، (خ) بالمكتبة الوطنية، الجزائر، برقم(٢٣٢٤)، ق٢٢١/ب،.

٤- المصدر نفسه، ص٣١٨؛ وتراجم المؤلفين التونسيين، ج٥، ص٥٣؛ وانظر: التذكار في من ملك طرابلس وما كان بها من أخبار، محمد بن خليل بن غلبون الطرابلسي، ص١٩٤.

٥- الحلل السندسية، ج٣، ص٣٥١، ٣٥٢؛ وانظر: رحلة أحمد بن ناصر الدرعي، (خ) بالمكتبة الوطنية، الجزائر، برقم(٢٣٢٤)، ق٢٢١/ب، وفيها ذكر أنه صهر الشيخ.

٦- تراجم المؤلفين التونسيين، ج٥، ص٢٣٨.

٧- الزاوية النورية وتأثيرها في الحركة التعليمية، ص٢٧١.

٨- فهرس الكتب الموجودة في دار الكتب المصرية لغاية (١٤٢١)، ج١، ص١٥؛ كتاب العمر، ص١٨١.

ومن تلاميذه أيضا: علي بن سلامة المهديّ، وعبد الكريم القسنطينيّ، و أحمد بوديدح القيرواني، وإبراهيم المزغني، ومحمد الزواري، ومحمد الغراب، وعبد الرحمن البرشاني[١].

وأثر الشيخ في طلابه يظهر فيما يأتي:

- إنّ عددا من التلاميذ حذا حذو شيخه، فأسس مدرسة ومشى في طريق التربية و نشر العلم، مثل المكنيّ، وابن خليفة والأخير وُصِفت مدرسته: بأنها كانت:"عامرة بطلبة الكتاب والسنة، وبكل خير"[٢].

- كثير من طلاب الشيخ عمل في التدريس في المساجد والجوامع، بما فيها جامع الزيتونة تبعا لشيخهم في نشر العلم.

- ومن تأثرهم في جانب التأليف، أنّ منهم من شرح بعض كتب الشيخ، أو ألّف في القراءات كإبراهيم الجمل، وعلي بن محمد المقدم وغيرهما.

- ومن أثره فيهم أيضا، أنّ كثيرا منهم تصدى لنشر علم القراءات وروايته، كالحبيب الحرقافي، والمقدّم، ومحمد الوافي، و العجمي، ومحمد التونسي؛ وقد بقي بهذا سند الشيخ النوري حاضرا في البلاد التونسية، حتى إنّ شيخ القراءات بتونس في القرن الماضي، الشيخ إبراهيم المارغني، ينتهي إسناده إلى الشيخ النّوري، بل إنّ سند الشيخ رحمه الله باق إلى اليوم كما سبق التنبيه عليه في سند الشيخ عبيد الله الأفغاني حفظه الله[٣]،وليس ببعيد أن يكون في تونس من له نفس الإسناد، فإن الشيخ عبد الواحد المارغني قد قرأ على أبيه وهو من علماء القراءات المعاصرين وقد توفي في العقد الثاني من هذا القرن الهجري.

١- وهؤلاء عدوا من تلاميذه ولكن لم أجد تراجم لهم، انظر: الزاوية النورية وتأثيرها في الحركة التعليمية، ص٢٧٠، ٢٧١؛ النشاط المعماري في مدينة صفاقس في العهد العثماني، ص٧٣.

٢- تنبيه الغافلين (مقدمة المحقق)، ص١١.

٣- هو أبو عبد الله، عبيد الله بن عطاء محمد الأفغاني مولدا، السعودي موطنا وتجنسا، له عدة رسائل في كيفية النطق بالضاد، تولى التدريس في مدارس تحفيظ القرآن، ثم انتقل للتدريس في كلية الشريعة، ثم كلية الدعوة فرع جامعة الملك محمد بن سعود الإسلامية، وهو إلى الآن (ذو القعدة ١٤٢٦) مدرس مقرئ في المسجد النبوي الشريف؛ انظر ترجمته مختصرة في كتابه: تنبيه العباد إلى كيفية النطق بالضاد، ص ٨٣ وما بعدها؛ وللتوسع أكثر والتمتع في معرفة رحلته العجيبة الغريبة وترجمته وشيوخه وتلاميذه، انظر: العالم الرباني الشيخ المقرئ عبيد الله الأفغاني، لتلميذه يحيى بن عبد الله البكري الشهري؛ وهو كتاب ممتع فريد في بابه.

المطلب الرابع:
آثـــــاره وأعمـــاله

اتّسمت حياة الشيخ النوري –رحمه الله – بكثير من النشاط في ميـادين مختلفـة، علمية، واجتماعية، ويمكن حصرها فيما يأتي:

أولا: الجهاد [1]

اشتهر الشيخ النوري – رحمه الله تعالى – بالجهاد في سبيل الله، و الدفاع عن بلاده ضد عدوان الكفار الطامعين فيها، فإنه لّما رجع إلى صفاقس، وجد الناس يشتكون عدوان الكفار من فرسان مالطة (فرسان القديس يوحنّا)[2]، وكانت الدولة المرادية قـد أهملـت الجهاد البحري، فلمّا اشتدّ جور هؤلاء صار الشيخ يفتي المتحمّسين من الشباب بالـدفاع عن حمى مدينتهم، ومخالفة أمر والديهم إذا حاولوا منعهم من التطوّع للجهاد؛ ثم اهتـدى بعد ذلك إلى فكرة إنشاء سفن للجهاد، فتشاور مع أهل الفضل من بلده فوافقه أكثرهم، و أنشؤوا سفنًا جعل الله فيها البركة، وانقطع بها جور الكفرة، وغنموا منهم خيرا كـثيرا، ونال الشيخ بذلك – على حد قول بعضهم – أملاً جسيما وأجرا عظيما[3].

ولكنّ هذا العمل رغم حسن النيّة فيه، من الشيخ النوري، وأهل صفاقس؛ ورغم أنّه كان متوجّها ضد الكفار المعتدين خاصة؛ جرّ على الشيخ محناً وآلاماً؛ سعى فيها بعـض الوشاة الحاقدين، فافتروا على الشيخ و أصحابه أنّهم يتآمرون لقلب السـلطة، وخوّفـوا السلطان من هذا الرجل وأتباعه؛ فعملت هذه الوشاية عملها، ونُكّل بأتباع الشيخ، وذهبوا

١- انظر في هذا: تراجم المؤلفين التونسيين، ج٥، ص٥٤؛ والزاوية النورية وتأثيرها في الحركة التعليمية، ص٢٦٢.

٢- هي مُنظّمة مسيحية، كانت تعيش في القدس، لمساعدة الحجاج المسيحيين، ثم تطوّر أمرها لما قامـت الحـروب الصـليبية الأولى، وأصبح يطلق عليها هذا الاسم، وبعد استرجاع بيت المقدس تحوّلوا إلى عكّا، ثم إلى جزيرة قبرص، ثم تحولوا منها عام (٩٢٩هـ/ ١٥٢٣م)، وأعانهم شارل الخامس ملك إسبانيا، ومنحهم جزيرة مالطة، ثم طرابلس الغرب، فطردهم منها العثمـانيون، وبقـوا في جزيرة مالطا حتى سنة (١٢١٣هـ/١٧٩٨م) حين استولى عليها نابليون بونابرت؛ انظر: الحروب الصليبية في المشـرق والمغـرب، ص٩٧؛ و موسوعة التاريخ والحضارة الإسلامية، ج٤، ص٣٠٨.

٣- الحلل السندسية، ج٣، ص١٢٥؛ كتاب العمر، ص١٨٦؛ تنبيه الغافلين(مقدمة المحقق)، ص١٤؛ و تراجم المؤلفين التونسيين، ج٥، ص٥٥.

وسجنوا، إلاّ أنّ الله سلّم الشيخ من هذا بتحذير من بعض أهل الخير، فخرج متنكّـرًا في زيّ امرأة مع خادمه، واحتفى عند بعض الأفاضل في زاويته خارج مدينة صفاقس، فأقـام عنده زمنا مشتغلا بالعلم، ثمّ سعى بعض الصالحين في تعريف السلطان بصلاح الشـيخ، وحسن نيته، وأنّه لم يرد إلاّ الجهاد ضدّ الكفّار، والذّبّ عن أرواح المسلمين وديـارهم؛ فلمّا تحقّق السلطان ذلك عفا عنه، فرجع إلى بلده معزّزا مكرّما، ليكمل ما بدأه من العلم والجهاد[١].

وتاريخ إنشاء السفن وما تبعها من أحداث، لم يحدّد بدقة غير أنّ من مترجميه مـن قال إنّ ذلك كان أواخر الدولة المرادية، وقد بنى قوله هذا على أنّ فتواه في الجهاد أشـار إليها في كتابه "الهدى والتبيين"، وهذا الكتاب ألّفه وهو على أعتاب الشيخوخة، فتكـون حركة إنشاء السفن حوالي سنة ثلاث عشرة ومائة وألف (١١١٣هـ/١٧٠٣م)[٢].

وقال آخر إن ذلك كان في عهد مراد باي، أي قبل عام ست وثمـانين، ولم يقـدّم دليلا على هذا، وإنما اكتفى بقوله:"والظاهر"[٣]، والله أعلم بالصواب.

ثانيا: تأسيس الزاوية:

لّما رجع الشيخ النوري إلى صفاقس، اتخذ من داره زاوية لإقراء القرآن، ثم ما فتئت أن تحولت إلى مدرسة، لتلقين العلم بشتى فروعه، فكان الشيخ رحمه الله، هو القائم علـى هذه الزاوية المدرسة، في شؤونها العلمية والماديّة، مداوما على إلقاء الدروس، التي استغرقت أكثر وقته، وكانت تشمل أبوابا كثيرة من العلم: العقيدة والقراءات والحـديث والفقـه والأصول والنحو والحساب والميقات[٤]؛ قال محمد النيفر:"والظاهر أنّه تأثّر كثيرا بشـيخه

---

١ – كتاب العمر، ص١٨٦؛ تنبيه الغافلين(مقدمة المحقق)، ص١٥؛ تراجم المؤلفين التونسيين، ج٥، ص٥٦.

٢– تراجم المؤلفين التونسيين، ج٥، ص٥٦، وقد يقال جوابا على استدلاله المذكور أنه من الممكن أن تكون الفتوى المذكورة قبل هذا ووقع حكايتها في هذا الكتاب إلاّ إذا كانت في الكتاب نفسه قرينة تدلّ على ما قال فإنّه قد اطّلع عليـه، ولم يـتح لي ذلـك.والله أعلم.

٣– تنبيه الغافلين (مقدمة المحقق)، ص١٥.

٤ – ذكر في كشف الظنون أن هذا العلم من فروع علم الملاحة ثم عرف علم الملاحة فقال:" هو علم باحث عن كيفية صناعة السفن وكيفية ترتيب الانتهاء وكيفية إجرائها في البحر... ويتوقف على معرفة سموت البحار والبلدان والأقاليم ومعرفة سـاعات الأيـام والليالي ومعرفة مهاب الريح وعواصفها ورخائها وممطرها وغير ممطرها" انظر كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حـاجي خليفة، ج٢، ص٥١٨.

ابن ناصر الدرعي الذي أسس زاويته بالمغرب، واشتهرت بالسنّة فأراد المترجم الذي أخذ عنه أن يكون له من الأثر ما لشيخه "[١].

وفي هذه الزاوية تنوّعت الدّروس وكثرت، حتى بلغت في اليوم الواحد ثمانية عشر درسا[٢]، وشملت العلوم الشرعية وعلوم اللغة والعلوم الرياضيّة مثل: الحساب، والميقات؛ إلا أنّ عناية الشيخ بالقرآن كانت أكثر من غيره لما " رأى الحاجة ماسّة إلى ذلك، فإنّ تونس بسبب ما انتابها من محن وفتن -التي كادت تذهب بالعلوم- أقفرت عرصاتها، وانعدمت الدروس، فأراد أن يعيد إلى هذه البلاد أمجادها العلمية في الدّين، كما كانت في العصر الحفصي ... ولمّا تعذّر عليه أن تكون مدرسته جامعة، خصّصها بما رآه أوكد من غيره"[٣]،

ومن توابع الزاوية ومكمّلاتها، المكتبة التي جمع فيها الشيخ كتبا كثيرة، قال الوزير السرّاج[٤]:" جمع كتبا عديدة؛ ما أعلم أنّ أحدا اليوم جمع ما جمع هو، بحيث أطلق يد شركائه في برّ الشرق، مهما رأوا كتابا بلغت الكرّاسة منه أربع نواصر، يأخذونه ولو كان مكرّرا؛ فيمسك الطيّب من المكرّرين..."[٥]، واحتوت هذه المكتبة على: كتب علوم القرآن من قراءات وتفسير، وكتب الحديث، والفقه، والتصوّف، والحساب، والفلك، والطبّ، وفيها القليل من كتب اللغة، والأدب، والتاريخ، والتراجم؛ وقد أعانته هذه المكتبة على توسيع اطّلاعه، وتأليف كتبه، كما أنّ الشيخ كان يمكّن تلاميذه من مكتبته؛ حرصا منه عليهم[٦].

ولم تكن الزاوية تتلقّى إعانة من الدولة، شأنها في ذلك شأن بقية الزوايا العلمية التي أسّسها الخواصّ في أواخر الدولة المرادية، وأوائل الدولة الحسينيّة، ولمّا كان الشيخ قد

١- تنبيه الغافلين (مقدمة المحقق)، ص١٠.

٢-ذكر هذا الرقم، ح ح عبد الوهاب في ترجمة الشيخ عبد العزيز الفراتي الذي كان يعين الشخ النوري في إلقاء بعض هذه الدروس، انظر: كتاب العمر، ص١٠١.

٣- المصدر نفسه.

٤-هو أبو عبد الله محمد بن محمد الأندلسي الشهير بالحلل السندسية، مؤرخ فقيه أديب تونسي، توفي (١١٤٩هـ)؛ شجرة النور ، ص٣٢٦، الأعلام، ج٧، ص ٦٦.

٥- ج٣، ص١٢٤.

٦- المصدر نفسه.

اشتغل بالتجارة وكوّن منها ثروة كبيرة، حاز بها أملاكاً واسعة، في صفاقس وغيرها من المدن[١]؛ استطاع القيام على شؤون هذه الزاوية وتسخير قسط كبير من أمواله لخدمة طلابها، حيث كان يدفع مرتبات للقرّاء، ومنح في شكل مأكل، وملبس للطلبة المقيمين بمبيتها، وشراء الكتب له ولطلبته، كما أنّه أوقف عليها جلّ أملاكه[٢].

وقد كان لهذه الزاوية أثر طيّب في المجتمع؛ فقد سدّت فراغا علميا كبيرا، وظلّت مدّة حياة الشيخ في حركة دائبة، ومحطّاً للرّاغبين في العلم؛ فكثر طلبة الشيخ من أهل صفاقس وضواحيها، ومن الساحل، والقيروان، بل ومن خارج تونس، وقد بارك الله في هذه المدرسة "حتى أحييت العلوم الدينية في ربوع تونس وبالأخص في المحافظة على القرآن الكريم وإجادة تلاوته على الوجه الصحيح المقبول... "[٣].

وبعد وفاة الشيخ -رحمه الله- خلفه فيها تسييرا وتدريسا، ولداه محمد وأحمد، ثمّ محمد وأخوه حامد ابنا أحمد النوري؛ وبقيت الزاوية النورية محافظة على مستواها التّعليمي حتّى نهاية القرن الثاني عشر الهجري، الثامن عشر الميلادي، حيث أخذ التقهقر يبرز بصفاقس، و لم تسلم منه الزاوية النوريّة ولا غيرها؛ ولله الأمر من قبل ومن بعد وإليه ترجع الأمور[٤].

ثالثا: التأليف والتصنيف في العلوم

ألّف الشيخ كتبا ورسائل عدة و لم يحصرها في نوع واحد من العلم بل شملت غير ما فنّ من فنونه، وهي كالآتي:

١- الزاوية النورية وتأثيرها في الحركة التعليمية، ص٢٦٩، وفيه أنه صارت له أملاك واسعة في صفاقس وقرقنة وقابس؛ و لم يكن الشيخ مقتصرًا على ممارسة التجارة فقط بل كان يضم إلى ذلك مهنة الحياكة وهي مهنة شريفة ومربحة اشتهر بها أهل صفاقس منذ القدم؛ نظر: معجم البلدان، ج٣، ص٢٥٢، ٢٥٣؛ وصف إفريقية، ج٢، ص٨٧.

٢- الزاوية النورية وتأثيرها في الحركة التعليمية، ص٢٦٩؛ تراجم المؤلفين التونسيين، ج٥، ص٥٣.

٣- تنبيه الغافلين (مقدمة المحقق)، ص١٦.

٤- الزاوية النورية وتأثيرها في الحركة التعليمية، ص٢٧٣، وما بعدها، والظاهر من وصف الزاوية أن بنيانها لايزال قائما، وأما عن التعليم بها فلم يتح لي معرفة ذلك؛ انظر: المصدر نفسه، ص٢٦٧.

أ- العقيدة:

- ألّف الشيخ عقيدة اختصرها من العقيدة الصغرى للسنوسي، وقد ذكر الشيخ سبب تأليفها، ومزيّتها على الأصل فقال:" هذه العقيدة أفيد من عقيدة الشيخ الستوسي، من حيث إنّي كلّما ذكرت عقيدة أتبعها بدليلها؛ وأمّا الصغرى فإنّ الشيخ السنوسي ساق عقائده مجرّدة، وبعد استيفائها أتبعها بالأدلّة، على طريق اللفّ والنّشر المرتب"[1]، وواضح من هذا أنّ سبب اختصارها هو تسهيل الإفادة منها، عن طريق ربط العقائد بأدلّتها.

وسُمّي هذا المُؤلَّف "العقيدة النورية"، وسُمّي أيضا "العقيدة النورية في معتقد السادة الأشعريّة".

وكان تأليف هذه العقيدة في نهاية القرن الحادي عشر، سنة تسع و تسعين وألف، (١٠٩٩هـ/١٦٨٨م)، وعمر الشيخ آنذاك ست وأربعون سنة.

واشتهرت هذه العقيدة في حياة مؤلفها، فشرحها كثيرون[2]، منهم تلميذه علي المقدم كما مر ذلك في ترجمته.

ب- علوم القراءات:

- التجويد: له فيه تأليفان الأوّل سمّاه:" تنبيه الغافلين، وإرشاد الجاهلين عمّا يقع لهم من الخطأ، حال تلاوتهم الكتاب المبين"وسمّاه في شجرة النور:" تنبيه الغافلين في تجويد كلام رب العالمين"؛ حقّق هذا الكتاب ونشر، سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة وألف للهجرة(١٣٩٣هـ/١٩٧٤م)؛ وعدد صفحاته خمسون ومائة صفحة (١٥٠)، بما في ذلك مقدمة التحقيق التي قاربت الثلاثين صفحة، ولهذا الكتاب أهمّيته عند علماء التجويد، وصفه الشيخ المرصفي – وهو من المبرّزين في فنّ التجويد في هذا العصر – فقال:"...وهو

١- تراجم المؤلفين التونسيين، ج٥، ص٦٠.

٢- من هؤلاء: علي بن أحمد الحريشي الفاسي وسمّى شرحه"المواهب الربانية على العقائد النورية"، ووصل هذا الشرح إلى الشيخ النوري وكتب عليه بعض التصحيحات، وشرحها أيضا تلميذه الشيخ علي المقدّم شرحا سمّاه " مبلغ الطالب إلى علم المطالب"وغيرها من الشّروح؛ انظر: كتاب العمر في المصنفات والمصنفين التونسيين، ص١٨١؛ وتراجم المؤلفين التونسيين، ج٥، ص٦٠.

عمدة الطلاّب والمقرئين..."[١]، وقد أحال الشيخ في كتابه غيث النفع إلى هذا الكتاب فيكون تأليفه قبله[٢].

ولم يسر الشيخ في كتابه هذا على ترتيب من تقدّمه من المؤلّفين في علم التجويد، وهذا عرض مختصر لأبوابه يبيّن ذلك:

بدأ بعد المقدمة بباب مخارج الحروف وألقابها وصفاتها، ذكر فيه مخارج الحروف وصفاتها؛ ضمّ هذا الباب اثنين وثلاثين فصلا؛ الأوّل في المخارج، والثاني في الصفات، والثالث في الحروف المشربة، وبقية الفصول جعلها للحروف؛ لكل حرف فصل مستقل، تكلّم فيه عن مخرجه وصفاته، وما يقع فيه من الأخطاء بالتّفصيل؛ ثم ذكر أبوابا أخرى وهي كما يأتي:

- باب أحكام النون والميم الساكنتين.
- باب الاستعاذة.
- باب البسملة.
- باب القصر والمد.
- باب المشدد.
- باب ألفات الوصل.
- باب الوقف والابتداء.
- باب معرفة الوقف على آخر الكلمة.
- باب الوقف على المشدّد.

وهو في كلّ هذه الأبواب ينبّه على ما يقع فيها من الأخطاء؛ فالكتاب مصدر كامل لمن أراد تتبّع ذلك ليحذر ويحذّر منه.

والثاني: رسالة في الردّ على من قال بإبدال الهمزة هاء صرفة عند تسهيلها، وهي جواب سؤال ورد عليه، ذكرها الشيخ في كتابه "تنبيه الغافلين"[١].

١- ج٢، ص٦٨٧؛ والمرصفي هو عبد الفتاح السيد عجمي المرصفي أحد علماء القراءات المبرزين مولده (١٣٤١هـ/١٩٢٣م)، ووفاته(١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)؛ انظر كتابه: هداية القاري، ج١ ص٧-٩

٢- الغيث، ص١٦.

- القراءات: ألّف فيه كتابه" غيث النفع في القراءات السبع "، وهو أشهر كتبه على الإطلاق، وبه اشتهر الشيخ وعلا صيته، وسيأتي الكلام عليه بالتفصيل.

وبهذا الخصوص ذكر المؤلّف في كتابه "تنبيه الغافلين" أنّ في نيته أن يؤلّف كتابا يتتبع أوهام ابن القاصح[٢] في شرحه على الشاطبية؛ قال الشيخ:"ونيّتي إن أمهلني الله ويسر لي، أن أجعل تأليفا، أنبّه فيه على ما هو ضعيف لا يقرأ به في شرح ابن القاصح؛ لأني رأيت أكثر القراء معتنين به، وربما قرؤوا بجميع ما فيه، لعدم تفريقهم بين الضعيف وغيره؛ والله الموفق"[٣]، ولا أدري هل عمل ما نواه أم لا؟ وإلاّ فإنّ المترجمين للمؤلّف، لم يذكروا له تأليفا بهذا المعنى، ولعلّه اكتفى بكتابه غيث النفع؛ فقد نبّه فيه على كثير من أوهام المصنّفين بما فيهم ابن القاصح؛ والله أعلم.

- رسالة في وجوب كتابة المصحف بالرسم العثماني وهو جواب عن سؤال.

٣- الفقه:

- مقدمة في الفقه والتوحيد: اشتهرت هذه المقدّمة، وأقبل الناس على الإفادة منها، ثمّ اقتُرِح عليه شرحها؛ فشرحها شرحا لم يكمله و سَمَّى شرحه هذا "الهدى والتبيين، فيما فعله فرض عين على المكلّفين "؛ كما شرحها الشيخ أحمد بن غنيم بن سالم النّفراوي[٤].

- مناسك الحجّ: وقد طبع مع أحد شروحه[٥].

- له فتاوى مشهورة[٦] منها رسالة في تحريم الدّخان:

١- ص٣٨.

٢- هو علي بن عثمان بن محمد بن أحمد، أبو البقاء، يعرف بابن القاصح؛ عالم بالقراءات من أهل بغداد، له كتب منها: شرح الشاطبية، وشرح عقيلة أتراب القصائد؛ (ت٨٠١هـ)؛ انظر: غاية النهاية، ج١، ص٥٥٥.

٣- تنبيه الغافلين، ص٨٢.

٤- هو أحمد بن غنيم بن سالم بن مهنا، شهاب الدين، النفراوي، المالكي؛ ولد (١٠٤٤هـ/١٦٣٥م) وتوفي (١١٢٥هـ/١٧١٤م)، وهو صاحب "الفواكه الدواني في شرح رسالة بن أبي زيد القيرواني" وغيرها؛ انظر: تاريخ عجائب الآثار، ج١، ص١٨٣؛ والمرادي، ج١، ص١٤٨؛ والأعلام.١، ص ١٩٢.

٥- كتاب العمر، ص١٨١؛ تراجم المؤلفين التونسيين، ج٥، ص٥٩.؛ والشرح المطبوع هو لمحمد بن يوسف الكافي و اسم هذا الشرح "هبة الناسك على تأليف الشيخ النوري في المناسك"، وشرحه أيضا محمد ماضور.

٦ - كذا قال مترجموه و لم يذكروا من هذه الفتاوى سوى هذه، ووجوب كتابة المصحف، و فتوى في حكم السماع.

لم يَفُتِ الشيخَ أن يدلِيَ بدلوه في الدلاء للكلام عن هذه الآفة، فإنّ قضية الـدّخان شغلت حيّزا كبيرا من مناقشات وأقلام العلماء فألّفوا فيها وتناقشـوا حولهـا، وانتصـر بعضهم لحلّيّتها، وبعضهم لحرمتها، وكان معظمهم ميّالاً إلى تحريمـه[١]؛ فكـان الشـيخ يستنكر تناوله، استنكارا كبيرا، ويتحسّر على ما أصاب هذه الأمّة منـه، وصـوّر هـذا الإنكار في أبيات أنشأها منها[٢]:

بكت مقلتي حزنا وحُقّ لها البكا ... على أمّة الهـادي النبي محمـد
وما وقعوا فيه من الغيّ والـرّدى ... و[اسماعهم][٣] إفك الرّجيم المبعّد
فأوقعهم في مهلكات كثيـرة ... تودي إلى مقت وخزي مشـدّد
فمـنها دخـان منتن يشربـونه ... وقـدوتهم أهل العذاب الـمؤبّد

- رسالة في حكم السّماع، ووجوب كتابة المصحف بالرسم العثماني: وهي عبارة عن جواب لتلميذه عبد السلام التاجوريّ، شيخ الطريقة السّلامية بطرابلس، ويتضح منها موقف الشيخ في إنكار بعض بدع الصوفيّة، كالضّرب بالدفّ، والرقص، وغيرها؛ وهـي آخر مؤلّفات الشيخ على ما يبدو؛ إذ فرغ من كتابتها في أوائل شهر محرّم سنة سبع عشرة و مائة وألف للهجرة، (١١١٧هـ/١٧٠٦م)، طبعت هذه الرسالة بتحقيـق د. محمـد محفوظ سنة ست وأربعمائة وألف للهجرة (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)[٤].

١- تاريخ الجزائر الثقافي، ج٢، ص٤٦٢، ٤٦٣، وممن ألّف فيها من أهل صفاقس، أحمد بن عبـد العزيـز الشّـرفي، كـان حيّـا سنة(١٠٨٠هـ/١٦٧٠م)" تحفة الإخوان في الردّ على من قال بحلية الدّخان"؛ انظر: تراجم المـؤلفين التونسـيين، ج٣، ص١٦٦؛ معجم المؤلفين، ج١، ص٢٧٦.

٢- الدخان بين القديم والحديث، محمد بن جعفر الكتاني، ص٧٣؛ و لم يذكر من أين نقلها و ربّما تكون من رسالة الشيخ المذكورة.

٣- كذا وجدت، وهي غير مفهومة، ووزن البيت غير مستقيم.

٤- وقد كان بعث بعض علماء طرابلس وهو أبو الحسن علي بن عبد الصادق العيادي إلى الشيخ النوري كتابا سمّاه " تحفة الإخوان في التحذير من حضور حضرة فقراء الزمان"، فقرّضه الشيخ، ونقض التأليفين الذين أرسلهما التّاجوري وشيخه؛ انظر: تنبيه الغـافلين (مقدمة المحقق)، ص١٢؛ التذكار في من ملك طرابلس وما كان بها من أخبار، ص١٩٧؛ ومن العلماء التونسيين الذين عرفوا بمثـل موقف الشيخ النوري، الشيخ علي بن علي بن محمد الجبي، كان حيّا عام (١٠٧٦هـ/١٦٦٦م)، فقد حصر كتبه في هذا الموضوع، وأوذي كثيرا لأجل ذلك؛ انظر:حسن حسني عبد الوهاب، ص٤٢٠.

٤- الأدعية والأذكار:

- أدعية ختم القرآن: طبع بصفاقس سنة أربع وأربعمائة وألف(١٤٠٤هـ/١٩٨٤م).

- مُعين السائلين من فضل ربّ العالمين: وهو في الأدعية المأثورة، وآداب الدّعاء، وأركانه وشروطه؛ ذكره الشيخ في غيث النفع وأحال إليه فقال:"...وينبغي للدّاعي مراعاة أركان الدعاء وشروطه وآدابه؛ وقد بيّناها في كتابنا معين السائلين"[١]، وقد تصحّف اسم الكتاب في النسخ المطبوعة فصار:"مغني السائلين"، وهو في المخطوط مطابق لما قاله أصحاب التراجم[٢].

٥- علم الفلك:

ألّف فيه كتابه: "المنقذ من الوحلة في معرفة السنين وما فيها، والأوقات والقبلة"، طبع سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة وألف للهجرة، (١٣٣١هـ/١٩١٣م)[٣].

٦- الفهارس والإجازات:

- فهرسة: بناها على إجازته لتلميذه أحمد العجمي المكني، وذكر في هذه الإجازة مشايخه، والكتب التي قرأها عليهم والإجازات التي حصّلها منهم، كما ذكر الكتب التي ختمها عليه تلميذه المجاز، وهي في حكم المفقودة.

- إجازة ووصيّة لتلميذه عبد الحفيظ بن محمد الطيّب، كتبها يوم الأحد لتسعة عشر خلت من صفر، سنة إحدى عشرة ومائة وألف (١١١١هـ/١٧٠٠م)[٤].

ومن أعمال الشيخ في مجال العلم، ممارسته الطبّ؛ فقد اشتهر بذلك في بلده صفاقس، ومن مآثره في هذا المجال اكتشافه لدواء مرض الكَلَب؛ حيث أنقذ به الكثيرين من الموت بهذا الداء القاتل، واحتفظ أحفاد الشيخ بتركيبه، وكانوا يسلّمونه مجّانًا لطالبه؛

١- الغيث، ص١٩١.

٢- انظر: غيث النفع (خ)، متحف سيرتا بقسنطينة، ق.٢٣٣/أ، وأخرى بالمكتبة الوطنية بالجزائر برقم (٣٢٤٢)، ق.٢١/أ، و أخرى برقم (٣٦٩)، ق.٢٣٢/ب، وأخرى ضمن مجموع برقم (٢٢٨٠)، ق.٩٣/أ.

٣- ومنه نسخة مخطوطة بالمكتبة الوطنية بالجزائر، برقم (٢٢٤٧).

٤- فهرس الكتب العربية الموجودة بدار الكتب المصرية ج١، ص١٥؛ كتاب العمر في المصنفات والمصنفين التونسيين، ص١٨١.

ولا يعلم هل أخذ الطبّ عن شيخ أم أنّه اكتفى فيه بالمطالعة؟ و إلاّ فمكتبته تحتوي علـــى جانب من كتب الطبّ، زد إلى ذلك أنّ لشيخه ابن ناصر الدرعي تأليفاً في الطبّ، فربّما أخذه عنه[1].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

١- تراجم المؤلفين التونسيين، ج٥، ص٥٦.

المطلب الخامس:
مذهبه الفقهي و العقدي

كان الشيخ النوري رحمه الله تعالى مالكي المذهب بحكم المكان الذي ولد وعاش فيه، إذ المعروف أن الذي ساد من المذاهب في المغرب هو مذهب الإمام مالك رحمه الله تعالى، منذ عصور غابرة؛ ورغم أن الفقه الحنفي قد قدم المغرب مع مجيء الأتراك، فإنّه لم ينتشر إلا بين الأتراك أنفسهم، وبقي الأهالي على مذهبهم الأوّل.

وقد مرّ معنا فيما ألّفه الشيخ، أنّه صنّف في المذهب كتابين أحدهما في المناسك، والآخر مقدمة في الفقه، هذا إضافة لما كان يقوم به من تدريس لكتب الفقه المعتمدة في المذهب كمختصر خليل حيث، كان يختمه في كل عام مرتين[1].

أمّا عقيدته فإنّه كان على العقيدة الأشعريّة، كما يدل عليه كتابه الذي سبق ذكره"العقيدة النورية في معتقد السادة الأشعرية".

ولم أر من المترجمين للشيخ من نسبه إلى إحدى الطرق الصوفية المنتشرة آنذاك، رغم أنّ هذا الأمر كان شائعا جدّا "... لا غرابة فيه بالنسبة لمقاييس ذلك العصر،... فقد دخل التصوف المعاهد، وشاع بين طلبتها الانتساب إلى طريقة من الطرق الصوفية"[2].

إلاّ أنّ د.محفوظ قال:" ومن أجلّ شيوخه الشيخ محمد بن محمد بن ناصر الدرعي...وكان قدوة للشيخ النوري في مسلكه الصوفي، يحتجّ بمواقفه في مقاومة بدع التصوف، ويثني عليه، وربما كان من أتباع الطريقة الناصرية"[3]، وهي إحدى فروع الطريقة الشاذلية؛ ولكن يبقى ما قاله احتمالا قد يصدق وقد لا يصدق.

واشتهر عن الشيخ أنّه كان يعارض بعض بدع التصوف كالرقص والضرب بالدفوف عند السماع (الحضرة)، وألّف في ذلك رسالة أجاب فيها عن سؤال في هذا،

١- الحلل السندسية، ج٣، ص١٢٥.

٢- الزاوية النورية وتأثيرها في الحركة التعليمية، ص٢٦٨.

٣- ج٥، ص٥٢.

ورد عليه من تلميذه التّاجوري، وقرّض كتابا لأحد العلماء يردّ على هذه البدع التي أحدثها الصوفية[١].

قال محمد الشاذلي النيفر:"... المترجم معروف بأنه ينكر ما يذكره أهل الأحوال، ويحمل عليهم، حتى إنّه في آخر حياته مستمرّ على نكران ما يصدر عن فقراء الزّمان"[٢].

وقال أيضا:" فمدرسته مبنية على الرجوع إلى الإسلام الصحيح، ومعرفة أحكامه المقررة، التي ينادي بها القرآن العزيز والسنة المطهرة، كما هو مصرّح به من الذين اجتمعوا به ودرسوا عليه، وعرفوا طريقته... وهذا ما ظهر منه فعلا، فإنّ عصره مليء بالبدع وادعاء التصوف الكاذب، قد دعاه كل ذلك أن يشدّد النكير على الذين اتخذوا التصوف مرتزقا يبتزون به أموال الناس، ويجمعونهم على البدع..."[٣].

وبعض المترجمين له عدّوه من المتصوفة بحكم طبيعة العصر الذي عاش فيه، وذكروا أنه كان ينكر على أهل التصوف بدعهم إلا أنهم عمّموا القول و لم ينصوا إلا على ما ذكرت قبل، و لم يذكروا موقفه من كثير من البدع الأخرى المنتشرة عند المتصوفة خاصّة في ذلك الزمان فالله أعلم بموقفه منها.

١- راجع ذلك في مؤلفاته في المطلب السابق.

٢- تنبيه الغافلين (مقدمة المحقق)، ص١٢.

٣- المصدر نفسه، ص١٣.

المطلب السادس:

أخلاق الشيخ وثناء العلماء عليه

كان الشيخ علي النوري على جانب كبير من الأخلاق الفاضلة، والتقوى والصلاح؛ فمن ذلك:

- **سخاؤه**: عرف الشيخ بجوده وسخاءه، بما كان ينفق من أمواله على طلبته، وتلاميذه بزاويته، من مأكل وملبس، وشراء للكتب، و لم يكتف بهذا بل أوقف جلّ أملاكه على هذه الزاوية[١]؛ ومن جوده أيضا، إنفاقه أموالَه في الجهاد في سبيل الله، وصدّ عدوان الكفّار، أضف إلى ذلك ما اشتهر به الشيخ من الإحسان للفقراء، والمظلومين.

- **زهده وورعه**: كان الشيخ كما قال في الحلل:"...لا يأكل إلاّ من كدّ يمينه، يكمد الغزل يتقوّت منه، ويلبس الخشن، فيأكل ما تقوم به البنية..."[٢]، هذا والشيخ قد أقبلت عليه الدنيا، وفتح الله عليه ووسّع عليه في الرزق، فلم يعبأ بهذا، بل وجّه أمواله لخدمة العلم وطلاّبه، والجهاد في سبيل الله.

ومن زهده أيضا، أنّه لمّا ألحّ عليه الأمير محمد باي بن مراد باي، في تكبير زاويته، أوالتحبيس عليها أبى وامتنع من القبول[٣].

- **دينه وتقواه**: يظهر ذلك من قول الشيخ:"...ولّما منّ الله عليّ بالوصول إلى تلك الأماكن المشرّفة، سنة ستّ وسبعين وألف، وأردت أن أشرب ماء زمزم، فلم أجد حاجة أهمّ عندي إذ ذاك من الموت على الإيمان؛ فطلبته من الله، وشربته لذلك وعمري إذ ذاك ثلاث وعشرون سنة"[٤]؛ فالشيخ لم يسأل الله درجة عالية من العلم، أو نحو ذلك – ممّا يتبادر إلى من هو في مثل سنّه وغربته، ونهمه في طلب العلم– بل توجّه إلى الله، بسؤال ثمرة العلم، وهي الموت على الإيمان، و يزيد المقام توضيحا قوله بعد ذلك:"... ولو أردت

---

١ – الزاوية النورية وتأثيرها في الحركة التعليمية، ص٢٦٩.

٢ – ج٣، ص١٢٥.

٣ – المصدر نفسه.

٤ – تراجم المؤلفين التونسيين، ج٥، ص٤٩.

شربه الآن، لشربته لأَكُونَ عند الله من المحبوبين، حبًّا لا قطيعة بعده"[١]، وهذا أقصى ما يسعى إليه المؤمن، بل هو لبّ الإيمان وروحه، فرحم الله الشيخ رحمة واسعة،وبلّغه ما تمنّى.

أمّا عن مكانة الشيخ الاجتماعية، فقد اعتلى مكانا مرموقا، وحظي باحترام الناس وتقديرهم؛ لما كان يتمتع به من علم وأخلاق وفضائل، وكذلك بصفته شيخاً للزاوية، ومربّيا للطلبة، وقائما عليهم فيما يحتاجون إليه، هذا علاوة على ما عرف به من الشجاعة والسّخاء، فبفضله استطاع أهل صفاقس الدّفاع عن أنفسهم ضدّ هجمات القوم الكافرين؛ كلّ ذلك خوّله أن ينال مقاما رفيعا بين الناس، خاصّتهم وعامّته، وأن يشتهر عند أغلب من ترجم له بالوليّ الصّالح.

وقد أثنى على الشيخ الكثير من مشايخه منهم:محمد بن ناصر الدرعي، والمأموني، وأبو علي اليوسي، الّذي أجازه نظماً وأثنى عليه في أبيات منها[٢]:

أجزت لكم في كل مارويته ... وما قلت قبل من نظام ونثر

كذا الرفقاء الماجدون تعمّهم ... إجازتنا من قاطنين بذا المصر

كذا الماجد النحرير عين صفاقس ... أبو الحسن النوري ذوالمجد و الفخر

وحدثتكم في ذلك عن شيوخنا ... ذوي العلم والعرفان والفضل والقدر

كما أثنى عليه مترجموه، والعلماء الّذين نقلوا عنه، على اختلاف أزمانهم وأماكنهم، ووصفوه بالعلم والصلاح، وهذه بعض أقوالهم تشهد على ذلك:

• قال في الوزير السراج:"...الشيخ العالم الفاضل الإمام...كان على جانب عظيم من العلم والعمل... له الباع العظيم الطويل في كلّ فنّ، وخصوصاً فنّ القراءات، وعلوم القرآن تجويداً وتفسيرا... ومع هذا الانكباب على العلم والعمل، ما كان يأكل إلا من كدّ يمينه... وكان خشناً في دين الله..."[٣].

١- المصدر نفسه.

٢- فهرس الفهارس، ج٢، ص١١٥٨.

٣- ج٣، ص١٢٤.

• وقال أحمد بن ناصر الدرعي[١]:"... من عباد الله الصالحين، أهل العلم والعمل به، أحيا الله به العلم والسنة في هذا القطر..."[٢].

• وقال في ذيل البشائر:"...العلاّمة، شيخ مشايخ العصر والزمان، وفريد الدّهر والأوان..."[٣].

•وقال ابن أبي الضياف:"...إلى أن كانت الطبقة التي في أيّام المولى المقدّس حسين باي بن عليّ، فألقى العلم عندهم عصى التّسيار...اتّفق خروج جماعة من أئمّة الهدى، وأعلام الدّنيا، في نواحي عمله، كالإمام أبي الحسن علي النّوريّ، الّذي طبقت تصانيفه المفيدة الآفاق..."[٤].

• وقال محمد مخلوف[٥] في شجرة النور:" الإمام، المقرئ، المحدّث، المسند، العلاّمة، الفقيه، المحقق، المتقن، الحامل راية العلوم باليمين، القدوة المربّي، المتمسّك بعرى الدّين، السالك سنن المهتدين والفضلاء الصالحين...رجع إلى بلده صفاقس إماماً لكل فنّ، وأحيا العلوم بعد اندراسها، وانتفع به خلائق لا يحصون...وبالجملة فإنه جمّ الفضائل"[٦].

• وقال محمد بن جعفر الكتاني[٧]:"...الإمام العلاّمة، الوليّ الصّالح..."[٨].

• وقال في فهرس الفهارس:"...هو العلاّمة الواسع العارضة، محيي السنن وعلم القراءات بالقطر التونسي..."[٩].

١- هو أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي أبو العباس المغربي، صاحب الرحلة الناصرية، أخذ عن والده وخلفه في زاويته، وصف بأنه كان شديدا على أهل البدع قوالا للحق، ت(١١٢٩هـ)؛ شجرة النور ، ص٣٣٢؛ الأعلام، ج١، ص٢٤١.

٢- نقل ذلك الكتاني، ج٢، ص٦٧٣؛ وانظرها في: رحلة أحمد بن ناصر الدرعي، (خ) بالمكتبة الوطنية بالجزائر، برقم(٢٣٢٤)، ق.٢٢١/ب.

٣- فهرس الفهارس، ج٢، ص٣٧٣.

٤- ج١، ص١١، وليس هذا له بل نقله عن صاحب التاريخ الباشي حمودة عبد العزيز.

٥- هو محمد بن محمد بن عمر بن قاسم بن مخلوف الشريف، درس بالزيتونة ودرّس به، وتولى الفتوى والقضاء بقابس؛ (ت)، انظر: شجرة النور، ص ٤٤٦، الأعلام، ج٧، ص٨٢.

٦- ص٣٢١، ٣٢٢.

٧ - محمد بن جعفربن إدريس الكتاني الحسني، أبو عبد الله؛ مؤرخ محدث مكثر من التصنيف، من أشهر تآليفه: الرسالة المستطرفة، نظم المتناثر في الحديث المتناثر؛ توفي (١٣٤٥هـ/١٩٢٧)؛ انظر: فهرس الفهارس، ج١، ص٣٨٨؛ الأعلام، ج٦ ص٧٢، ٧٣.

٨- الدخان بين القديم والحديث، ص٧٣.

٩- ج٢، ص٦٧٣.

• وقال ابن يالوشة[١]:"...الشيخ الفقيه، الوليّ الصالح، الزاهد النّاصح، محقّق العلوم بلا نزاع، وناصح الكتاب والسنة بلا دفاع..."[٢].

وقد نظمت فيه كثير من عبارات المدح والثناء، من علماء القراءات الذين أفادوا من كتبه فوصفوه بـــ: العلاّمة النحرير، المحقق، خاتمة المحققين، محرّر الفنّ؛ إلى غير ذلك مـــن الكلمات التي تصور لنا منزلة الشيخ في قلوب هؤلاء[٣].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

١- محمد بن علي بن يوسف المعروف بابن يالوشة الشريف التونسي من علماء القراءات؛ له فيه تآليف، توفي(١٣١٤هـــ/١٨٩٤م)، من أبرز تلاميذه إبراهيم المارغني؛ انظر: هداية القاري،ج٢،ص٧١٤.

٢- الفوائد المفهمة في شرح الجزرية المقدمة، ص٣،٤.

٣- من هؤلاء: المارغني، النجوم الطوالع على الدرر اللوامع، ص٥٢، ٩٢، ١٩٥؛ وابنه إبراهيم، هامش النجـــوم، ص١٩٧؛ وعلـــي الضباع، شرح رسالة قالون؛ ص٣٤؛ محمود خليل الحصري، مع القرآن الكريم، ص٧٤؛ والفتح الرحماني شـــرح كـــنز المعـــاني، ص٢٠٢، هداية القاري، ج٢، ص٦٧٨، وقد نقل من مقدّمة تنبيه الغافلين مايلي:"كان رجلا صالحا، تقيا، عفيفا، متكلما، محـــدثا، مفسرا، واعظا، عارفا بعلوم العربية بأسرها، وبأصول الفقه وفروعه "؛ والصّحيح أنّ هذا الكلام قيل في تلميذه ابن خليفة، فيبـــدوا أنّه سبق نظر من هداية القاري رحمه الله تعالى، انظر: الشاذلي النيفر، ص١١.

المطلب السابع:

وفـــــــــــاته

بعد حياة حافلة بنشر العلم والتأليف فيه، وتربية الناس وإصلاحهم، والجهاد في سبيل الله؛ انتقل الشيخ إلى ما لا بد منه لكل مخلوق، يوم الجمعة ثاني عشر ربيـــع الأوّل، مـــن السنة الثامنة عشرة بعد المائة والألف للهجرة، (١١١٨هـــ/١٧٠٦م).

وقد قيل أنّ ذلك كان في السنة السابعة عشر[١]، ولكنّ القول الأوّل هو الذي عليه المعوّل، وهو المثبت على قبر الشيخ رحمه الله تعالى[٢].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

١- معجم المؤلفين، ج٢، ص٥٤؛ هداية القاري، ج٢، ص٦٨٧.

٢- تراجم المؤلفين التونسيين، ج٥، ص٥٧؛ تنبيه الغافلين (مقدمة المحقق)، ص٢٠.

الفصل الثاني:

التعريف بالكتاب وطريقته في التأليف

وفيه مبحثان:

الأول: التعريف بالكتاب

الثاني: الجانب المنهجي في صناعة التأليف

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول:

التعريف بالكتاب وطريقته في التأليف

وفيه ثلاثة مطالب:

الأول: اسم الكتاب. موضوعه. مخطوطاته. طبعاته

الثاني: سببُ تأليفِ الكتاب وزمنُه

الثالث: أهمية الكتاب ومنزلته

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الأول:

اسم الكتاب، موضوعه، مخطوطاته، طبعاته.

أولا: اسم الكتاب:[١]

الأصل والغالب أن يختار المؤلف عنوانا لكتابه[٢]، وعليه سارت أعراف التأليف عند العلماء، فيذكرون أسماء مؤلّفاتهم إمّا في بداية الكتاب، وهو الغالب، أوفي نهايته؛ و لم يخرج الشيخ علي النّوري عن هذا العرف، فقد ذكر اسم كتابه في المقدمة فقال:"...وسمّيته غيث النفع في القراءات السبع"[٣]، إلاّ أنّ ثمّة أشياء، يحسن التنبيه عليها، وهي:

١- لم أجد خلافًا عند كلّ من ترجم للمؤلّف، أو نقل من كتابه، في أنّ تسميته كما ذكرت، ولكن ربّما اقتصر بعضهم، عند العزو إليه على الشّطر الأوّل، من العنوان، كقولهم: "غيث النفع"؛ بل منهم من اكتفى بالكلمة الأولى من الاسم؛ وهذا منهم على وجه الاختصار، لأنّهم في مقام العزو، و أداء الأمانة، فتكفي الإشارة لرفع تهمة الخيانة[٤].

وكذلك الحال مع فهارس المخطوطات التي اطّلعت عليها، فإنّ التسمية لم تختلف عمّا ذكرت أوّلاً[٥]، ومثلها النّسخ المطبوعة من الكتاب.

١- في أسماء الكتب وأهميتها ووسائل معرفتها وأحكامها انظر: ، العنوان الصحيح للكتاب (تعريفه، أهميته، وسائل معرفته وأحكامه، أمثلة للأخطاء فيه)، الشريف حاتم بن عارف العوني.

٢- المصدر نفسه، ص٢.

٣- الغيث، ص٤، وكذلك فعل في كتابه تنبيه الغافلين، انظر: ص٣١؛ وأيضا كتاب، المنقذ من الوحلة (خ) بالمكتبة الوطنية بالجزائر، برقم (٢٢٤٧)، وهو مطبوع كما أشرت سابقا ولكني لم أظفر به.

٤- شرح مختصر بلوغ الأمنية، ص١٥، وغيرها و اقتصر على الكلمة الأولى من اسم الكتاب في ص١٩، ٢٧، ٣٠ وغيرها؛ الأوجه المقدّمة في الأداء عند القرّاء، ابن يالوشة الشريف، ص١٦، ٣٩وغيرها، النجوم الطوالع، ص٣٠، ٩٢ وغيرها.

٥- الفهرس العام للمخطوطات، جمال بن حمادة، ج٢، القسم الأول، ص٨٦-٨٧؛ وفهرس الخزانة الحسنية، مج٦، رقم ٤٤٨، ٤٤٩؛ الفهرس الشامل للتراث العربي المخطوط (علوم القرآن، مخطوطات القراءات)، ج٢، ص٥٥٨-٥٦٢؛ فهرس الكتب العربية الموجودة بدار الكتب المصرية (لغاية سنة ١٤٢١هـ)، ج١ص٢٤؛

٢- وقع شيء من التّغيير في اسم الكتاب في بعض النسخ المخطوطة، وبيان ذلك:

إنّه كُتب على طرّة الكتاب، في ثلاث مخطوطات منه، العبارة التالية: " كتاب غياث النّفع في القراءة على السّبع "[١]، ثم في الأوراق الأولى من هذه النّسخ، يأتي نصّ المؤلّف على اسم كتابه بالعبارة التالية: " غيث النفع في قراءة السبع"[٢]، إلاّ أنّ إحداهنّ كُتبت فيها كلمة قراءة بـ (ال) التعريف، فصارت "القراءة السبع "، وهذا الاختلاف وإن لم يكن له كبير أثر، في الدّلالة على موضوع الكتاب، فإنّ الالتزام بالاسم الذي وضعه المؤلّف دون زيادة فيه، أو نقصان، هو الواجب الذي لا مندوحة عنه؛ ويمكن القول عن هذا الاختلاف أنّه وقع تصحيفا من بعض النّسّاخ؛ ويدلّ على ذلك:

أ- إنّ هذه النسخ تخالف نسخاً أخرى، ومن بينها نسخة مهمّة، كُتبت في حياة مؤلّفه، وأكبر الظنّ أنّها بخطّ أحد تلامذته[٣]، وهو ممّا يُبعد الخطأ عنها، كما يمكنني القول -بناء على ما سطره أصحاب الفهارس- إنّها تخالف جميع النّسخ المخطوطة في العالم.

- إنّها تخالف ما طبع من نسخ هذا الكتاب.
- إنّ هذه النسخ الثلاث، وقع فيها تناقض، ففي طرّة الكتاب عبارة، وفي متنه عبارة مغايرة، وليس للأخذ بإحداهما دون الأخرى من سبيل.
- إنّ ما وقع في واحدة من هذه الثلاث النّسخ من عبارة: "القراءة السبع"، خطأ في العربية واضح، وهو ممّا يقوي احتمال حدوث التصحيف على الأقلّ في هذه النّسخة.
- إنّ الاسم المذكور أوّلاً، هو المشهور عند أهل العلم، بل لم أجد من ذكره بغير هذا الاسم.

فهرس كتب القراءات القرآنية(في مكتبة المصغرات الفيلمية في قسم المخطوطات في عمادة شؤون المكتبات في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنوّرة)، ص٢٣٣؛ فهرس المخطوطات بدار الكتب الوطنية التونسية، ج٤، ص١٩٦.

١- مخطوط بالمكتبة الوطنية، بالجزائر، برقم (٣٢٤٢)، ق١/أ، ونسخة أخرى بنفس المكان برقم (٣٦٩)، ق١/أ، وأخرى، أيضا بنفس المكان، في مجموع برقم (٢٢٨٠)، ق١/ب.

٢- المصدر نفسه، وصفحاتها على الترتيب: ق٣/أ، ق٢/أ، ق٤/ أ؛ وفي هذه الأخيرة كتبت هكذا "القراءة" بالألف واللام.

٣- مخطوط (نسخة مصوّرة على قرص صلب)، بمتحف سيرتا بقسنطينة، الجزائر، دون رقم، لوحة٦/أ.

٣- وقع في إيضاح المكنون نسبة هذا الكتاب للنّووي فقال: "غيث النفع في القراءات السبع، للنّووي[١] الحافظ يحيى بن شرف"[٢]؛ وهذا وهم لاشك فيه، أدّى إليه تصحّف اسم النوري إلى النووي، لتشابه حرفي الرّاء والواو في الرّسم[٣]، ولا يعرف للنّووي- رحمه الله- تأليف في القراءات، فضلا عن كتاب بهذا الاسم.

ثانيا: موضوعه:

يستطيع القارئ لعنوان الكتاب أن يميّز موضوعه، فهو في القراءات دون غيرها من العلوم، وفي السبع دون سواها من القراءات، التي اشتهر التأليف فيها، كالثلاث والعشر والأربعة عشر...إلخ

ولكن بقي شيء، لم يحدّده اسم الكتاب، وهو من أيّ الطّرق هذه السبع؛ إذ المعروف أنّ القراءات السبع وغيرها، قد تعدّدت طرقها، بحسب روايات العلماء وكتبهم، وهي كثيرة مشهورة، لذا كان لابدّ على المؤلّف ذكر ذلك، فقال:"... فاستخرت الله، في تأليف كتاب أبيّن فيه القراءات السبع، التي ذكرها الأستاذ أبو محمد القاسم الشاطبي، غاية البيان..."[٤]، فطريق كتابه إذًا هو الشاطبيّة، وأشار بقوله"غاية البيان" أنّ موضوع كتابه لن يكون مجرّد سرد هذه القراءات، بل إنّه ألزم نفسه بيانَها غاية البيان، بتحقيق ما اختلف فيه منها، وبيان الصّواب والكشف عن بعض ما وقع من أخطاء، وأوهام، من بعض المصنّفين، وِفْق ما تقتضيه قواعد الفنّ، وأقوال أئمّته المحقّقين.

١- النووي: هو يحيى بن شرف الدين بن مري بن حسن، محيي الدين، أبو زكريا، النووي الدمشقي، الشافعي؛ الفقيه المجتهد، المحدّث الحافظ، صاحب شرح مسلم، ورياض الصالحين، والأربعين النووية وغيرها، توفي (٦٧٦هـ)؛ كتاب طلقات الحفاظ، الذهبي،ج٤، ص١٤٧٠؛ وفي استقصاء مؤلفاته انظر: تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محيي الدين، علاء الدين بن علي بن إبراهيم العطار، ص٧٥-٩٦.

٢- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، إسماعيل باشا البغدادي، ج٤، ص١٥٢.

٣- نبّه إلى هذا: القراءات وأثرها في التفسير والأحكام، محمد بن عمر بازمول، ج.١، ص٢١٣؛ وصانعوا فهرس كتب القراءات بالجامعة الإسلامية، ص.٢٣٣، ومن هذا القبيل ما وقع في: الشامل في القراءات المتواترة، د محمد حبش، ص٢٩، هامش رقم ٧؛ فإنّه لما ذكر كتاب الغيث في المتن، ونسبه للصفاقسي، ترجم في الهامش لصفاقسي آخر متأخر عنه اسمه محمد بن محمد طريفة.

٤- الغيث، ص٣.

ثالثا: مخطوطاته:

ضمّت مكتبات العالم الكثير من النسخ المخطوطة لهذا المؤَلّف، فقد فاق عدد نسخه المخطوطة، خمسا وعشرين نسخة، على ما اطّلعت عليه من فهارس، وغيرها، ولست أقصد في هذا الموضع تَعداد النّسخ، وإحصاءها، وإنّما أذكر أهمّها؛ وأبدأ أوّلا بما اطّلعت عليه، وهي ستُّ نسخ:

١- نسخة مصوّرة على قرص صلب، بمتحف سيرتا بقسنطينة، عدد أوراقها (٢٦٣)، نسخت عن نسخة بخطّ مؤلّفه، عام عشر ومائة وألف للهجرة(١١١٠هـ/١٦٩٩م)، أي قبل وفاة المؤلف بثمان سنوات، وهي بخطّ مغربيّ، كتبت بيد محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد الشرفي؛ وأغلب الظنّ أنه هو نفسه ابن المؤدّب الشرفي أحد تلاميذ الشيخ-رحمه الله- وقد مرّ ذكره[١]، وفي آخر الكتاب ألحقت أبيات، في مدح الشّيخ وكتابه، يقول فيها:" شيخي"[٢]، وعلى هذه النّسخة بعض التّعليقات، وجلّها في ذكر أبيات من متن الشاطبية، إلاّ أنّ فيها تعليقا مهمّا، يدلّ على ثقة هذا المعلّق بهذه النّسخة، وهو عند قول الشيخ - في سورة آل عمران:" ﴿أَوْ مِتُّمْ﴾ معاً: قرأ نافع والأخوان بكسر الميم والباقون بضمها"[٣]، قال المعلّق:"يا عجبا لماذا لم يذكر عاصما مع من يكسر الميم، مع أنّ الشاطبي ذكره معهم، ولولا صحة هذه النسخة لقلت من قلم النّاسخ، ولا يبعد كونها من قلمه"[٤]، وهذا الاعتراض مع كونه وهماً من قائله إلاّ أنّه يثبت ثقته بهذه النّسخة[٥].

١- راجع تلاميذه المبحث السابق.

٢- والبيت بتمامه: " فَرِدْ غيث شيخي ياله من غياث *** لدى كل عطشان كليلِ العَزيمَةِ"، انظر ق٢٦٣/أ.

٣- الغيث، ص٤٦.

٤- ق٦/أ.

٥- وهذا الاعتراض غير صحيح، فإنّ هذين الموضعين قد خالف فيهما حفص قاعدته في ضم الميم، من هذه الكلمة، قال الشاطبي: "ومِتْمْ ومِتْنَا مِتُّ في ضَمِّ كَسْرِهَا***صَفا نفرٌ وِردًا وحفصٌ هُنَا احْتَلاَ "، قال ابن القاصح في شرح هذا البيت:" قال "وحفص هنا احتلا " أي وضم حفص ﴿أَوْ مِتُّمْ﴾ في موضعي آل عمران وكسر ميم البواقي"؛ انظر: سراج القاري المبتدي وتذكار القاري المنتهي، ص.١١٢؛ ولكن يبدوا أثر الضرب على ما كتبه المعلّق المذكور، وربّما يكون تراجعا من المعلّق نفسه؛ والله أعلم.

٢- نسخة بالمكتبة الوطنية بالحامّة، في الجزائر العاصمة، ضمن مجموع برقم (٢٢٨٠)، نسخت عام ثلاث وأربعين ومائتين وألف للهجرة (١٢٤٣هـ/١٨٢٨م)، وكتبت بخطّ مغربيّ، بيد الهادي بن محمّد بن ثامر البُسعادي، ولكنّها نسخة غير مرتّبة، بل هي مفرّقة في المجموع المذكور ،ويبدوا أنّها كاملة.

٣- نسخة أخرى بنفس المكان، برقم(٣٦٩)، عدد أوراقها(٢٣٦) ورقة، نسخت عام ثلاث وسبعين ومائتين وألف(١٢٧٣هـ/١٨٥٧م)، بخطّ مغربي، بيد الحاج محمد المفضّل بن عبد السّلام...الشريف العلميّ المغربي، وهي نسخة جيّدة.

٣- نسخة ثالثة بنفس المكان، برقم (٣٢٤٢)، عدد أوراقها(٣٢٣)، نسخت عام اثنتين وثمانين ومائتين وألف (١٢٨٢هـ/١٨٦٦م) بخطّ مغربي، بيد الحاج عبد القار بن محمّد.

٥- نسخة مصوّرة بقسم المخطوطات في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، برقم (٤/٤٤٨٦)، و أصلها من المكتبة العامّة بتونس، نسخت عام اثنتين وثمانين ومائة وألف (١٧٦٩/١١٨٢) بخطّ مغربيّ.

٦- نسخة مصوّرة بنفس المكان المذكور قبل، برقم (٣٦١)، وأصلها من مكتبة الأزهر، عدد أوراقها(٣٣٠)، نسخت عام ثمان وثمانين ومائتين وألف (١٢٨٨هـ)، بخطّ مشرقيّ، بيد علي بن إبراهيم الدهشوري الشافعيّ، عن نسخة كتبها أحمد بن حميد مطير، بها أوراق كتبها بعض أحفاد المؤلّف.

وممّا لم أطّلع عليه من المخطوطات[1]:

١- نسخة بجامعة إستانبول، برقم(٨٢٥/A/٣١٩)، وهي أقدم نسخة عَلِمْتُها، كتبت في حياة مؤلّفه، عام تسعين وألف (١٠٩٠هـ/١٦٨٠م).

٢- نسخة بالمكتبة الأزهريّة، برقم(١٢٩٨)، عدد أوراقها(٣١٧)، تاريخ نسخها عام اثنتين وتسعين وألف(١٠٩٢هـ/١٦٨٢م)، وهي ثاني أقدم نسخة.

١- الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط، ج٢، ص٥٥٨-٥٦٢، وقد عدّ أربعة وعشرين نسخة و ليس فيها النسخة التي بقسنطينة، وأهمل ذكر نسختين من نسخ المكتبة الوطنية بالجزائر.

٣- نسخة بالمكتبة الوطنية بتونس، برقم(٦٣)، عدد أوراقها (١٤٠)، تاريخ نسخها عام سبع وأربعين ومائة وألف للهجرة (١١٤٧هـ/١٧٣٥م).

٤- نسخة بدار الكتب بالقاهرة، برقم (٢٣١٩٣ب)، عدد أوراقها(٢٤٢)، تاريخ نسخها عام اثنتين وستين ومائة وألف (١١٦٢هـ/١٧٤٩م).

٥- نسخة ذكرها محقّق كتاب "تنبيه الغافلين"، تاريخ نسخها عام تسع وخمسين ومائة وألف (١١٥٩هـ/١٧٤٧م)، كتبت بيد حسين بن محمد بن علي الجبنياني، امتلكها وصححها بعض تلامذة تلاميذ الشيخ، قال عنها المحقّق المذكور: "وهي نسخة في غاية الصّحة...والظّاهر أنّ ناسخها من تلاميذه حيث يقول: قال شيخنا سلطان العارفين"[١].

هذا، وهناك نسخ أخرى كتبت في تواريخ مختلفة، بدمشق، ومصر، وتونس، والمغرب، ولندن، وغيرها[٢].

رابعا: طبعاته:

طبع هذا الكتاب مرّات كثيرة، وكان أُولاها عام ثلاث وتسعين ومائتين وألف (١٢٩٣هـ/١٨٧٧م)، على هامش سراج القاري، بمطبعة بولاق، ثمّ طبع بالمطبعة الشّرفية، ومطبعة عبد الرزّاق عام أربع وثلاثمائة وألف(١٣٠٤هـ/١٨٨٧م)[٣]، ثمّ تواصلت طبعاته بعد ذلك، ومن هذه الطبعات:

- طبع بشركة التمدن الصناعية، سنة ثلاثين وثلاثمائة(١٣٣٠هـ/١٩١٢م)، على نفقة دار الكتب العربية الكبرى(مصطفى البابي الحلبي وأخويه)، مصححة بمباشرة محمد القليقيلي[٤].

١- الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط، ج٢، ص٥٥٨-٥٦٢.

٢- انظرها في المصدر نفسه.

٣- معجم المطبوعات، يوسف إلياس سركيس، ج٢، ١٨٧٣؛ كتاب العمر، ص١٨٠؛ تراجم المؤلفين التونسيين، ج٤، ص٥٨.

٤- انظر آخر صفحة من الكتاب في الطبعة المذكورة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

● طبعة في السنة الأولى من هذا القرن(١٤٠١هـ/١٩٨١م) بدار الفكر، بهامش سراج القاري أيضا، وكتب في آخر هذه الطبعة: " مصحَّحاً بمعرفة لجنة التّصحيح برياسة الشيخ أحمد سعد عليّ، من علماء الأزهر، ومراجعة فضيلة الشيخ علي محمّد الضّباع"[١]، ثم أعادت الدار طبعه عام خمس عشرة وأربعمائة (١٤١٥هـ/١٩٩٥م)، وهي منقولة عن الطبعة السابقة، وبها أخطاء كثيرة، وليس المجال هنا مجال حصرها، وإنّما أذكر هنا أبرز خطأ اطّلعت عليه، وذلك أن منظومة الشيخ الأفراني في أحكام آلان، والتي ذكرها الشيخ النوري، قد غُيِّر ترتيبُ أبياتها، فلم يبق للنظم معنى، وسبب هذا هو غموض ترتيب الأبيات في الطبعة السابقة[٢].

● طبع بعناية بعض المحققين منها: طبعة بتحقيق أحمد محمود الشافعي الحفيان، وأخرى بتحقيق محمد شاهين، ولكنّها لا تدخل ضمن التحقيق العلمي بأي شكل من الأشكال[٣]، وإنما هي طبعة تجارية لم يخدم فيها الكتاب، إذ لم تذكر فيها النسخ المخطوطة المعتمدة، بل هي منقولة عما سبقها من الطبعات، وبالتّالي ستقع حتما في نفس الأخطاء، و في الجملة فإنّ هذه الطبعات لا تعدو أن تكون إخراجا للنص، دون مقابلة بين النسخ المخطوطة، مع افتقارها لِكثير من عناصر التحقيق العلمي، من توثيق الأقوال من

١- الغيث، ص٤٢٠.

٢- الغيث، ص٧٨، وانظر أخطاء أخرى، ص:١١، ٢٩، ٤٤، ٤٥، وغيرها.

٣-فقد وقع في هذه الطبعة أخطاء كثيرة فمن ذلك: ص٣٠"الأقراني"صوابه الأفراني، ص٣٩"المهدي" صوابه المهدوي، ص٥٢"وأبي عبد الله عبد الواحد بن أبي السداد المالقي صاحب الدر الشنثير، وشارح التيسير"صوابه صاحب الدر النثير شارح التيسير، ص٦١"الفارسي" صوابه الفاسي، ص٢٢٢" ومكي وابن أبي طالب" صوابه مكي ابن أبي طالب، ص١١١"﴿قل العفو﴾ قرأ علي بروم الواو" صوابه برفع الواو، ص" وقد نظم العلامة ابن غلبون" صوابه ابن غازي؛ وهو في كثير من هذه الأخطاء متابع للطبعات السابقة، مما يدل على أنه مجرّد ناقل عنها، وانظر أمثلة أخرى:ص٢٥، ٢٩، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٣، ٥٧، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٦، ٧٠، ٧٣، ١٠٥، ١١٦، ٣٩٢، ٤٠٤، ٤٠٩ وغيرها، هذا سوى الأخطاء في الصف وتمييز الآيات من كلام المؤلف.

مصادرها، وترجمة الأعلام، ونحو ذلك، بل غاية ما في الأمر أن يذكر في الهامش أبياتا من الشاطبية[١].

وعلى أية حال فالكتاب لا يزال ينتظر شخصا جادّا يقوم بهذه المهمّة بما يناسب مقامه وسمعته.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

١- انظر: غيث النفع، ت أحمد محمود عبد السميع الشافعي الحفيان، ط.١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤، د. الكتب العلمية، بيروت، لبنان. وأخرى بتحقيق عيد القادر شاهين.

المطلب الثاني:
سبب تأليف الكتاب وزمنه

أولا: سبب تأليفه

لا يظهر من الكتاب ما يشير إلى سبب مباشر في تأليفه، كأنْ يكون وقع جوابا لسؤال ملتمس، كما في بعض مؤلّفات الشيخ الأخرى[1]، ونحو ذلك من الأسباب.

ولكن لا يخلوا الأمر، من وجود سبب عامّ، وهو أنّ الشيخ -رحمه الله- أراد تصحيح بعض الأخطاء الّتي وُجدت في كتب سابقة، اشتهر اعتمادها، ودراستها في عصره وقبله، وقد ذكر الشيخ في تنبيه الغافلين أن في نيته تأليف كتاب ينبه فيه على ما هو ضعيف لا يُقرأ به في شرح ابن القاصح على الشاطبية، فلعلّ هذه النية انصرفت إلى تأليف كتاب شامل في القراءات هو" غيث النفع"، يتتبع فيه أوهام ابن القاصح وغيره تصريحا أو تلميحا، والله تعالى أعلم.

قال المؤلّف في بيان بعض ما دعَاه إلى تأليف الكتاب: "...قد ابتلي كثير من النّاس، للتّصدّر للإقراء قبل إتقان العلوم المحتاج إليه فيها...بعضهم يعتقد أنّ كلّ ما يجده في كتب القراءات صحيح يُقرأ به، وليس الأمر كذلك، بل فيها ما لا تحلّ القراءة به، وصدر منهم -رحمهم الله- على وجه السّهو، والغلط أو على وجه القصور، وعدم الضّبط... وقد وقع ذلك في الكتب التي انكبّ أهل العصر عليها، كشرّاح الشّاطبيّة، وإنشاد الشّريد للعلاّمة أبي عبد الله ابن غازي، والمكرّر، والبدور، كلاهما للشّيخ أبي حفص عمر بن قاسم الأنصاري[2]، شيخ العلاّمة القسطلاّني[1]، وقد أخذ الله العهد على العلماء، ألاّ يكتموا ما

١- مثل رسالته في الرد على من يقول بجواز إبدال الهمزة هاء، ورسالته في حكم السماع، وكذلك كتابه الهدى والتّبيين الذي لم يكمله، وراجع ما تقدم في مؤلّفاته في الفصل السابق.

٢- هو أبو حفص عمر بن قاسم بن محمد الأنصاري، المصري، المعروف بالنشار، قرأ على علي الخبازي الضرير وعنه أخذ القسطلاني وغيره، من تآليفه: " المكرر فيما تواتر من القراءات السبع وتحرر "، وله أيضا البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة"، وكلاهما مطبوع؛ انظر: الضوء اللامع، ج٦، ص١١٣؛ هداية القاري ج٢، ٧٥٢؛ ومقدمة تحقيق البدور الزاهرة، لعلي محمد عوض وعادل أحمد عبد الموجود لكتاب النشار.

علّمهم، ويبيّنوه غاية جهدهم، ... فاستخرت الله في تأليف كتاب، أبيّن فيه القراءات السبع... غاية البيان"[٢].

فبهذا يظهر أنّ الدّافع إلى تأليف الكتاب، هو تصحيح بعض الأخطاء الّتي انتشرت بين المتصدّرين، أوفي الكتب المتداولة؛ والمؤلّف ليس بِدْعًا في هذا، بل هو يطرق مقصداً من مقاصد التأليف الّتي ذكرت عند العلماء، وقد عدّ ابن خلدون هذا المقصد منها، فقال:"...أن يعثر المتأخّر على غلط، أو خطأ في كلام المتقدّمين، ممن اشتهر فضله، ويستوثق في ذلك بالبرهان الواضح، الذي لا مدخل للشكّ فيه، فيحرص على إيصال ذلك لمن بعده"[٣]، وكذلك فعل الشيخ النّوري رحمه الله تعالى.

وينبغي التنبيه على أنّ شغف الشيخ بهذا العلم، والرغبة في نشر ما أفاده من معارف فيه، جعله يثبت هذا في كتاب، يحفظ به تحقيقاته، وأقوال مشايخه وآراءهم، وأيضا يدخل هذا في سعيه في نشر العلم بالدّرس والتأليف، فكلّ هذه الأمور لم تكن بمعزل عن سبب تأليف الكتاب، هذا فضلا عن المقصد الأعظم الّذي يرجوه كل مسلم، وهو حصول الزّلفى عند الله جلّ وعلا، والدّخول في قول النّبي ﷺ «**إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثٍ: وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُوا لَهُ، أَوْ صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ، أَوْ عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ**»[٤]، و هذه الثلاث قد اجتمعت للشّيخ إن شاء الله تعالى[٥].

ثانيا: زمن تأليفه

إن معرفة تاريخ تأليف الكتب ليس مجرد ترف زائد بل له أكثر من فائدة تجعل معرفته من الأهمية بمكان، فمن هذه الفوائد أنها تساهم في معرفة القول الذي استقرّ عليه

١- القسطلاني هو: أحمد بن محمد بن أبي بكر، شهاب الدين، القسطلاني، المصري؛ كان مقرئا، ومحدثا مسندا؛ من أشهر كتبه: إرشاد الساري شرح صحيح البخاري، ولطائف الإشارات إلى فنون القراءات، وغيرها؛ توفي(٩٢٣هـ) انظر: البدر الطالع، ج١، ص١٠٢-١٠٣، معجم المؤلفين، ج٢، ص٨٥-٨٦.

٢- الغيث، ص٣.

٣- الغيث، ص٦٠٨.

٤- أخرجه مسلم، في الوصية، (١٤/١٦٣١)وغيره.

٥- فقد ترك العلم النافع، والأولاد الصالحين، والصدقة الجارية المتمثلة في زاويته وما وقفه عليها.

مؤلّف ما في حال اختلفت أو تعارضت أقواله، وبه يفرّق بين ما ألّفه بعض العلماء عند نهاية الطلب فيرجّح عمّا ألّفوه في بداية طلبهم[١]، ويساعد أيضا على معرفة الناقل من المنقول عنه، في حال وجود عبارة أو معان مشتركة في كتب متعاصرة، فتنسب إلى الأسبق منهما.

ولهذه الفوائد أتطرق هنا لهذا الموضوع فأقول:

لم ينصَّ المؤلّف، ولا مترجموه على تاريخ تأليف الكتاب، ولكن من الممكن تحديد الفترة التي أُلّف فيها بالتقريب، وذلك أنّ الشيخ -رحمه الله تعالى- ذكر في أوّل كتابه شيخَه الأفراني، وأرّخ وفاته بعام إحدى وثمانين وألف (١٠٨١هـ/١٦٧١م)، فيكون ابتداءُ تأليف الكتاب بعد هذا التّاريخ.

أمّا إنهاء العمل فيه فهو قبل سنة تسعين (١٠٩٠هـ/١٦٨٠م)، كما يدلّ على ذلك ما أُرّخَتْ به بعض النسخ المخطوطة، التي أشرت إليها من قبلُ.

فالحاصل أنّ تاريخ تأليف الكتاب كان بين هاتين السنتين، وأكثر من ذلك لا يمكن الجزْم به، إلاّ أنّه يستبعد جدّا، أن يستغرق تأليفه - وهو بهذا الحجم - هذه المدّة كلّها[٢].

ثم وجدت ما يستأنس به في تحديد أكثر دقة من هذا، وذلك هو ماقاله الشيخ - رحمه الله - في الغيث، عن شيخه الشبراملسي: "... وأمعن هو - رحمه الله - النظر..."، وقد علمْنا أن وفاة الشبراملسي كانت عام (١٠٨٦هـ/١٧٧٦م)، والعرف أن عبارة الترحم تقال لمن توفّي، فإن راعينا هذا العرف يكون تأليف الكتاب بعد هذا التّاريخ، أي بين سنتي (١٠٨٦هـ) و(١٠٩٠هـ)؛ والله أعلم.

١- وأنسب مثال هنا كتاب " التمهيد في علم التجويد" لابن الجزري فقد قال الشيخ علي النوري الصفاقسي" وقول...أبي الخير ابن الجزري في تمهيده لما ذكر تفخيم الخاء:"واحذر إذا فخمتها قبل الألف أن تفخم الألف معها" فإنه خطأ لا يجوز...والتمهيد من أوّل تواليف ابن الجزري رحمه الله تعالى ألفه في سن الحداثة و البلوغ، فالصواب ما في النشر والتعويل عليه لا على ما في التمهيد والله الموفق"، فأنت ترى كيف استعمل الشيخ النوري هنا التاريخ في كشف رأي ابن الجزري رحمه الله تعالى وأنه لا يعول عليه؛ نبيه الغافلين، ص٥٦، ٥٧، وانظر : التمهيد في علم التجويد، ص١٢٥؛ والنشر،ج١، ص٢١٥.

٢- الغيث، ص٢٤.

وبهذا التحديد النسبي للتاريخ الذي أُلِّف فيه هذا الكتاب، يمكن القول أنه لم يؤلفه في بداية الطلب، وإنما كان تأليفه بعد مضي سبع سنوات منذ رجوعه من رحلته العلمية إلى المشرق، أي بعد العقد الثالث من حياته، ويستفاد أيضا من هذا أن الفترة التي بين تأليفه هذا وتعليمه الذي تلقاه بالمشرق لم تكن طويلة جدا، بحيث تؤثّر على المؤلف في ضبط أقوال مشايخه وما قرأه عليهم.

ومما ينبه عليه هنا أن هذا التأليف سبق بثلاثة تآليف هي: تنبيه الغافلين، ومعين السائلين، ورسالته في حكم تسهيل الهمزة؛ فالأولين أحال عليهما في هذا الكتاب، والأخير ذكره في تنبيه الغافلين، وتقدم ذلك في مؤلفات الشيخ.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الثالث:
أهمية الكتاب ومنزلته

معلوم أنّ الكتب في فنّ القراءات كثيرة ومتنوعة، بين منظوم ومنثور، ومختصر أراد منه مؤلّفه الإشارة إلى القراءات دون بسط ولا تحرير، وبين مطوّل أتى فيه صاحبه بما صح وما شذّ، ولم يترك شيئا؛ هذا فضلا عن اختلاف موضوعاتها، فمنها ما هو في السبع، أوفي العشر دون غيرها، ومنها المفردة لقراءة إمام بعينه، ومنها ما عني بالأصول دون الفرش، ومنها ما هو في الشاذّ دون المتواتر، وكل مؤلّف رأى نفسه يسدّ ثغرة من الثغرات في هذا العلم، فلكلّ مقصد فيما فعل، وأهمّية فيما قصد.

أمّا أهمية كتابنا فهي تتوزع على مواضيع متباينة تفصيلها كالآتي:

– مكانة المؤلِّف في علم القراءات، ورسوخ قدمه فيه؛ إذ هو من أعلام هذا العلم في عصره – رحمه الله تعالى–؛ والتنويه بهذا قد مضى في المبحث الأوّل فلا أطيل به، وإذ الأمر كذلك فلا ريب أن لهذه الحيثية أثرا على الكتاب، وأثرا كبيرا، من حيث تحقيق المسائل وكشف خبايا هذا العلم، وبسط ما استعصى فهمه على المبتدئين، بل والتنبيه على بعض ما زلت فيه أقدام المُقَدَّمِين.

– ما حواه الكتاب من مادة علمية غزيرة، لمباحث هذا الفن وقواعده، نثرها المؤلّف في مواضعها من القرآن الكريم، آية آية، مع التأصيل والتفصيل فيما أشكل منها، وبيان الصواب فيما اختلف فيه بالدليل والبرهان، وذلك لأن مبنى الكتاب على البسط والتفصيل، وفي هذا يقول المؤلف:"...فاستخرت الله تعالى في تأليف كتاب أبين فيه القراءات السبع التي ذكرها الأستاذ أبو محمد القاسم الشاطبي غاية البيان... ماشيا في ذلك على طريقة المحققين..."[1]، وهذا يؤكد أن الكتاب ليس مجرد سرد لمسائل هذا العلم بل هو كتاب تحقيق وتحرير.

١– الغيث، ص٣.

- إنّ هذا الكتاب أخذ أهمية بالغة من أصله، أعني قصيدة الإمام الشاطبي "حرز الأماني"، ولا تخفى أهميتها عن عامّة طلاّب العلم، فضلا عن المتخصّصين، ويكفيها شهرتها بين كتب العلم، حتّى قال الإمام ابن الجزري في ذلك :"ولقد رزق هذا الكتاب من الشهرة والقبول ما لا أعلمه لكتاب غيره في هذا الفنّ، بل أكاد أن أقول ولا في غير هذا الفن"[١]؛ ولا ريب أن يكون لغيث النّفع نصيبا من هذه المكانة، لتعلّقه بها وأخذه منها بالسبب الوثيق، ولقد عدّ بعض الباحثين هذا الكتاب-أعني غيث النفع- من بين كتب القراءات التي نسجت حول هذه القصيدة المباركة، فقال: "فالكتاب إذن محاذ للشاطبية، وهو أشبه بالحاشية عليها"[٢]، وهذا قول ليس بالبعيد من الصواب إذا لاحظنا كثرة ما يورده المؤلف من أبيات هذه القصيدة، مستدلاّ بها ومنبّها على ما فيها تارة، ومناقشا أو معارضا تارة أخرى في مواضع لا تحصى كثرة، هذا فضلا عن أصل هذه القراءات المعروضة في هذا الكتاب، إذ هي لم تؤخذ إلاّ من طريق هذه القصيدة دون غيرها من الطرق.

- إنّ المؤلف اعتنى بنقل كلام الإمام ابن الجزري وتحقيقاته، وشرحها وتفصيل بعض ما في كلامه من إجمال، بحيث لم تكد تخلوا صفحة من صفحات الكتاب عن هذا؛ وهذا لاشكّ أنّه يضفي على الكتاب أهمية، بقدر ما لكلام ابن الجزري من عراقة في التحقيق والتحرير، حتى إنّ المؤلّف نفسه لا يصفه في كتابه إلاّ بالمحقّق ومما قاله عنه:"... الإمام العلاّمة محقق هذا العلم بلا نزاع"[٣]، والشيخ لا يقول ذلك تقليدا، بل عن خبرة ودراية يبين ذلك في قوله:"... لأنّي تتبّعته في كثير من المواضع، فوجدته في غاية من الصدق، والضبط والإتقان ..."[٤].

- استشهاد المؤلّف فيما كتب وحرّر بأقوال أئمة القراءات، من مختلف العصور من المشارقة والمغاربة، وهذا يعطي ثقة بالكتاب، على قدر ما لكتب أولئك الأئمة من المكانة،

١- غاية النهاية، ج٢، ص٢٢.

٢- قراءة الإمام نافع عند المغاربة، ج٢، ص٢٢٩.

٣- الغيث، ص١١.

٤- الغيث، ص١١.

هذا إضافة أنّه حفظ لنا نقولا، وأقوالاً، عن كتب هي في حكم المفقود، أو قد أصابها النسيان في خزائن المخطوطات، و لم تخرج بعد إلى عالم المطبوعات ومن أمثلة ذلك بعض مؤلفات مشايخه كمقصورة شيخه الأفراني، ومنظومته في حكم آلان، وكتاب شيخ شيخه سلطان المزاحي "أجوبة المسائل العشرين"، وبعض شروح الشاطبية والدرّة غير ذلك.

٥- التنبيه في كثير من الأحيان، عمّا يقع فيه الخطأ و الالتباس، كإمالة بعض الألفاظ التي لا تمال، أو إدغام مالا يدغم، ونحو ذلك[١].

- إنّ المؤلف قد اعتنى كثيرا بذكر أجزاء القرآن الكريم، ممّا جعله يعدّ أهمّ مصدر-في هذه الجزئية- اعتمده المشرفون على طباعة المصاحف، على اختلاف طبعاتها وكثرتها[٢].

هذا وممّا يؤكد أهميته ويزيد في بيان منزلته، عظيم اشتهاره و ذكره في الأقطار، والاستشهاد به، والاقتباس منه، والنسج على منواله؛ فقلّما تجد كتابا أُلّف بعده لم يفد منه، و ليتضح الأمر أكثر، أنقل بعض ما قال العلماء و المؤرخون من عبارات المدح والثناء الجميل على هذا الكتاب:

- قال في شجرة النّور:"غيث النفع في القراءات السبع رزق فيه القبول"[٣].
- وقال المؤرّخ حسن حسني عبد الوهاب:"...وهو أشهر مصنفاته، وعمدة أهل الفنّ، ومرجعهم في عهده، ومن أتى بعده"[٤].
- وقال المرصفي:"وهو عمدة المقرئين في الدنيا، ومن جاء بعده فعالة عليه، ومردّه إليه"[٥].

١- انظر أمثلة عن هذه التنبيهات في: ص٧٣،٦٦،٥٩،٥٧،٥٥،٥٤، وغيرها كثير جدا.

٢- تنبيه الغافلين، ص١٨، وإن شئت فانظر صفحة التعريف، التي وضعت في آخر المصاحف المطبوعة، فإنّك تجد ذكر هذا الكتاب على رأس مصادر بيان أرباع و أحزاء وأحزاب القرآن الكريم.

٣- الغيث، ص٣٢٢.

٤- كتاب العمر، ص١٨٠.

٥- ج٢، ص٦٧٨.

بل قد عُدّ الغيث هو وكتاب أحمد البنا إتحاف فضلاء البشر، أهمّ كتابين في علم القراءات التي ألفت في القرن الحادي عشر[١]، وبالجملة فقد كان غيثا كاسمه وصدق من قال فيه:"غيث النفع الذي كثر الانتفاع به أينما وقع، وكان كالغيث حيثما حلّ نفع"[٢].

وأختم بما قاله أحد تلاميذ الشيخ في الإشادة بهذا الكتاب:

ألا يا مريد العلم فاقبل نصيحتي ... وشُدّ نطاق العزم واصغ لقولتي

فإنْ رُمت تحقيق المعاني بأسرها ... وتوضيحَ صعبٍ زلّ عن بعضِ قدوتي

فَرِدْ غيث شيخي ياله من غياثة ... لدى كل عطشان كليل القريحةِ

فيالك من غيث به النّفعُ صادعٌ ... ويالك من كنز فَنِعْمَ الذّخيرةِ

كتاب جليل القدر ياصاحِ فاعلمنْ ... كَبُسْتَانِ زَهْرٍ قُلْ به كلُّ ثمرةِ"[٣]

جمعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

١- انظر: الضياء اللامع في بيان رواية ورش عن نافع، محمّد عوض زايد الحرباوي، ص١٦؛ القراءات وأثرها في التفسير والأحكام، ج١، ص٢١٣.

٢- القراءات القرآنية (تاريخها، ثبوتها، حجيتها أحكامها)، عبد الحليم بن محمد الهادي قابة، ص٢٣٨.

٣- انظر، غيث النفع (خ)، بمتحف سيرتا، بقسنطينة، الجزائر، ق٢٦٣/أ، وانظر فيه بقية الأبيات إن أردت.

المبحث الثاني

الجانب المنهجي في صناعة التأليف

وفيه ثلاثة مطالب:

الأول: طريقة تقسيم الكتاب وتبويبه

الثاني: اصطلاحاته

الثالث: منهجه في عرض القراءات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الأول:

طريقة تقسيم الكتاب وتبويبه

يمكن للقارئ في كتاب غيث النفع، تمييز ثلاثة أقسام متفاوتة في الحجم، تشكل مقدمة وخاتمة، وبينهما لبّ الكتاب وصلبه.

القسم الأول[١]:

وهو مدخل، ذكر فيه المؤلّف إضافة إلى التقديم بعض القضايا المهمّة، وتعريفا عاماً بمنهجه، و ضمّ هذا القسمُ، مقدّمة ذكر فيها المؤلّف بعد الديباجة مقصده من تأليف الكتاب، ثم ثنّى بذكر فوائد عبّر عنها بقوله:"...ونذكر قبل الشروع في المقصود، فوائد تشتد الحاجة إلى معرفتها"[٢].

وهذه الفوائد هي:

- الأولى: حديث الأحرف السبعة، وما اختاره الشيخ من الأقوال، في تفسيره.
- الثانية: في أركان القراءة المقبولة، وقضية تواتر القراءات، وقولي العلماء في ذلك، وكمّلها بحكم القراءة بالشاذ، والصلاة به.
- الثالثة: في شروط المقرئ.
- الرابعة: في النية في القراء والإقراء، وحكم أخذ الأجرة على ذلك.
- الخامسة: في ذكر بعض آداب المقرئ.
- السادسة: في حكم جمع القراءات.
- السابعة :في كيفيات الجمع، وشروطه.
- الثامنة: في طريقة الإقراء، والمقدار المطلوب في القراءة في كل مجلس.
- التاسعة: في الفروق بين الخلاف الجائز والواجب، وبين الطريق والرواية والقراءة؛ وأثر معرفة ذلك في القراءة.

١- انظر هذا القسم، ص٢-١١.

٢- الغيث، ص٤.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثمّ شرع المصنّف في بيان مصطلحه في الكتاب، وعرض طريقته التي سلكها في ترتيب مباحثه.

القسم الثاني:

وهو الذي يبدأ به المقصود، والمؤلّف لم يسر فيه على الطريقة المشهورة عند أهل الفنّ، من تقسيم مسائل هذا العلم إلى أصول وفرش[١]، بل مشى فيه على ترتيب المصحف، ولم يكتف المؤلف بمجرد هذا الترتيب، بل جعل كلّ ربع من القرآن الكريم بابا مستقلاّ عن غيره، قال الشيخ النوري:"...فأذكر كل ربع بانفراده..."[٢] ثم إنّه قسّم الربع إلى مباحث هي:

الأول:

يذكر فيه أحكام الفرش والأصول في الربع، فأمّا الفرش فقال إنّه لا يترك منه شيئا إلا ما تكرّر كثيرا، وصار من البديهيّات، وأمّا الأصول فيذكر المهمّ، وما يحتاج إلى تحقيق لا يترك منه شيئا، فعنايته بالفرشيات والمهمّ من الأصول أوسع وأكثر منه بالنسبة إلى غيرها؛ ولا أدري ماذا يعني بالمهمّ من الأصول، وقطعا هو لا يعني أنّ هناك أصولا لا يذكرها مطلقا، ولعلّه يقصد أنّه يكتفي بذكرها في أول مواضعها، كما فعل مع الكثير من أحكام المدود المتكررة، وأحكام النون والميم الساكنتين، وما اتفق عليه القراء من أحكام الراء واللام، وبعض الإدغام الواجب.

وعند انتهاءه من هذا، يذكر آخر كلمة من الربع، مع ذكر الخلاف في كونها آخر الربع إن وجد، وحكم الوقف عليها، وكونها من الفواصل أم لا.

الثاني:

١- الأصل: هو الحكم الكلّي، الجاري في كل ما تحقق فيه شرط ذلك الحكم، كالمدّ، والقصر، والإدغام، والإظهار،...ونحوذلك.

والفرش: هو ما يذكر في السور، من كيفية قراءة كلّ كلمة قرآنية مختلف فيها بين القراء، مع عزو كل قراءة لصاحبها، ويسمّى أيضا بالفروع، مقابلة للأصول؛ انظر: النجوم الطوالع، ص١٨٣، سراج القارئ، ص٩٢.

٢- الغيث، ص٩.

يصدره بعبارة "الممال"، يذكر فيه الألفاظ الممالة في الربع ناسباً كل لفظة إلى قارئها، و لم يفرّق بين من يميل ومن يقلل، بل ساقهم مساقا واحدا، واكتفى بما نبّه عليه من قاعدة كل قارئ في مقدمة الكتاب، ومن خرج عن قاعدته منهم بيّنه؛ إلاّ أنّ هذا التّرتيب يتغير شيئا ما عند السور الإحدى عشر؛ إذ فرّق فيها بين ما هو رأس آية و غيره، تمشّيا مع ما تقتضيه أصول القرّاء في هذه السّور، فبعد قوله "الممال" يقول: "فواصله "، ويعدّد رؤوس الآي التي يدخلها الإمالة بنوعيها، ثم يقول: "ما ليس برأس آية"، ويعدّد الألفاظ الممالة التي ليست برأس آية[1].

الثالث:

يصدره بقوله"المدغم"، ويذكر فيه المدغم بقسميه الصّغير والكبير[2]، يبدأ بالأوّل ناسبا كل لفظ لقارئه، ثم يصدّر الكلام عن الكبير مشيرا إليه بحرف الكاف (كـ)، وراويه واحد وهو السوسي عن أبي عمرو.

وهذه المباحث التي ذكرت، ثابتة في الكتاب، متكرّرة في الأرباع، وإذا لم توجد في الربع ألفاظ ممالة أو مدغمة أشار إلى ذلك.

وفي الكتاب مباحث أخرى تتكرّر عند بداية كلّ سورة ونهايتها، وذلك أنّ المؤلّف التزم أن يذكر فيها عدد آيها إجمالا، دون تفصيل مواضع الخلاف بين علماء العدد فيها، ثم مكان النزول، وفي بعض الأحيان سببه، ويذكر عدد ماورد في السورة من ألفاظ الجلالة فيقول" وجلالتها كذاوكذا".

أمّا عند نهاية السورة، فيذكر عدد ياءات الإضافة، ويسرد مفرداتها دون نسبة إلى أصحابها؛ إذ قد مرّ ذكرها في المبحث الأوّل من الربع منسوبة، ويتلوها ياءات الزوائد مثلها تماما، أمّا المدغم فيذكر عدده فقط، لأنّه قد خصّص له مبحثا مستقلاّ كما سبق.

١- الغيث، ص١٠، ١٠٥.

٢- الإدغام الكبير: هو ما كان فيه أوّل الحرفين متحركا.

والصغير:هو ما كان فيه أوّل الحرفين ساكنا؛ انظر: النشر، ج١، ص٢٧٤، ٢٧٥؛ الغيث، ص١٠؛ النجوم الطوالع، ص٩٧.

وفي بعض الأحيان يذكر المؤلّف في نهاية السورة الأوجه الأدائية الجائزة والممنوعة، بين السورتين، و لم يلتزم ذلك في كل موضع.

ويتخلّل هذه المباحث الثابتة فوائد وإشارات، خارجة عن مقتضى الخطّة المرسومة، وكثيرا ما يصدّرها بقوله:" فائدة" أو "تنبيه"أو "تذييل"، وإن كانت كثيرة قال تنبيهات، وتتوزّع هذه الفوائد والتنبيهات، على المباحث السابقة فتارة تكون في مبحث الإدغام، وأخرى في الممال وهكذا، وهي في عمومها تعقّبات لبعض الأخطاء، أو حلّ لبعض الإشكالات، أو إجابات عن بعض الاعتراضات.

القسم الثالث:

وهو خاتمة الكتاب- وهو لا يتعدّى بضع صفحات- احتوى على مسائل في ختم القرآن، وما يستحبّ فيه، ثم أتبعها بمجموعة من الأدعية التي اختارها من القرآن، وممّا هو مأثور؛ وختم كتابه بالاعتذار عمّا وقع فيه من سهو أو خطأ وسأل من قارئه الاسغفار له.

وبهذا يظهر أنّ طريقة المؤلف في ترتيبه، قد خالفت طريقة من تقدّمه من علماء القراءات، من حيث إنّه لم يعتمد اصطلاحهم المعروف، في تقسيم مسائل هذا العلم إلى أصول وفرش، ولا يأخذنّك الظنّ بعيدا فتصنّفَ طريقة المؤلّف مع طريقة المتقدّمين، زاعمًا أنّهم أيضا لم يعرفوا هذا التقسيم (الأصول والفرش)، وإنّما أوّل من فعل ذلك هو الحافظ الدّارقطني[1]، في كتابه الذي صنّفه في القراءات.

وليتضح التمايز بين الطريقتين، هذه بعض الفروق المهمّة:

● طريقة المؤلّف تشبه طريقة المتقدمين من حيث مشيهم على ترتيب المصحف، إلا أنّ المؤلف زاد فقسّم المصحف على أرباع القرآن، و لم يكتف بذلك بل زاد فجزّأه إلى مباحث كما سبق بيانه، بينما لم يفعل ذلك المتقدّمون، بل ساروا على مجرّد ترتيب المصحف.

١- الدارقطني: هو علي بن عمر بن أحمد بن مهدي، البغدادي؛ الحافظ الناقد، إمام في القرّاء، وإمام في المحدّثين، توفي (٣٨٥هـ)؛ انظر: غاية النهاية، ج١، ص٥٨٨؛ قال ابن الجزري:"ألّف في القراءات كتابا جليلا لم يؤلّف مثله، وهو أوّل من وضع أبواب الأصول قبل الفرش، و لم يعرف مقدار هذا الكتاب إلا من وقف عليه، و لم يكمل حسن كتاب جامع البيان إلا لكونه نسج على منواله".

● لا يكتفي المؤلف بذكر حكم ما في أول مواضع وروده، بل يكرّره في كلّ مناسبة، إلاّ في القليل النّادر، بينما اكتفى المتقدّمون بذكر قاعدته في أوّل موضع يرد فيه.

● المتقدمون إذا وصلوا إلى حكم أصليّ ذكروا القاعدة العامة، و لم يعدّدوا كل مفرداتها، بينما صاحب الغيث يذكر القاعدة في أوّل موضع، ثم ينصّ على مفرداتها في مواضعها من سور القرآن الكريم، كما فعل في مبحث الممال وغيره.

● إنّ جلّ مباحث الأصول عند المتقدّمين ينقضي الكلام عليها في بداية الكتاب، لأنّ أغلب مسائل الأصول موجودة في أول القرآن الكريم، بينما سارت الأصول و الفرشيات عند المصنّف في توازن حتى نهاية الكتاب.

وإذا أردت معرفة المزيد فارجع إلى كتابَيْ:"السبعة في القراءات" لابن مجاهد، و"الغاية في القراءات العشر" لابن مهران[1]، فإنهما على طريقة المتقدّمين، و لم أعلم من سلك هذه الطريقة في الكتب المطبوعة في القراءات غيرهما، والله أعلم.

ومما ينبه عليه، أن النشار ألّف كتابه "المكرّر فيما تواتر من القراءات السبع وتحرر" على طريقة تشبه طريقة الشيخ النوري، من حيث مشيه على ترتيب المصحف، وعدم اقتصاره على ذكر الحكم في أول موضع ورد فيه؛ يقول النشار في بيان طريقته:"... وأن أذكر ما لكل شيخ أو راو من الخلف، وإن تكرر ... إلا أن يكون الخلاف مما يكثر دوره، كالمدّ والقصر والإدغام الكبير، وصلة ميم الجمع، وهاء الكناية، والنقل، وترقيق الراءات، وتغليظ اللامات، والسكت لحمزة، وعدم الغنة لخلف، والفتح والإمالة بين اللفظين، وأحكام النون الساكنة والتنوين، ووقف حمزة وهشام على الهمزة، ووقف الكسائي على هاء التأنيث، وما أشبه ذلك فيكفي فيه [أولا ما يذكر][2]..."[3].

وأنت إذا أنعمت النظر في هذا الكلام، وما ذكر في طريقة تقسيم الشيخ النوري للكتاب، تبين لك الفرق بين الطريقتين، ولا حاجة للتفصيل، إلاّ أن ثمة ملاحظة هامّة

١- ابن مهران هو أحمد بن الحسين بن مهران، أبوبكر الأصبهاني النيسابوري؛ إمام عصره في القراءات (ت٣٨١هـ)؛ معرفة القراء، ج١، ص٣٤٧؛ غاية النهاية، ج١، ص٤٩.

٢- كذا في المطبوع؛ وهو يقصد أنه يكفي ذكره في أول موضع.

٣- المكرر فيما تواتر من القراءات السبع وتحرر، أبو حفص عمر بن قاسم الأنصاري النشار، ص٣.

وهي أنّ الشيخ النوري قد تأثّر بهذه الطريقة، فنسج على منوالها، مع ما زاده عليها من تهذيب وترتيب وحسن عرض.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الثاني:
اصطلاحاته

ضمّن المؤلف كتابه الكثير من الاصطلاحات، ذكرها في مقدمة كتابه، وأفاض في بيانها وتوضيح قصده منها، وهي كالتّالي[1]:

١- مصطلحاته في تسمية القراء:

المكي: ابن كثير.

الشامي: ابن عامر.

الكوفيون: قراء الكوفة عاصم وحمزة والكسائي.

الحرميان: نافع وابن كثير.

الابنان: ابن كثير وابن عامر.

الأخوان: حمزة و الكسائي.

النحويان: أبو عمرو البصري و الكسائي.

علي: الكسائي إذا انفرد.

الدوري عند الإطلاق: فهو من روايته عن أبي عمرو.

دوري علي عند التقييد: فرواية الدوري عن الكسائي، إلاّ إذا كان معطوفا على البصري فلا يقيّده.

الضّمير المفرد الغائب مثل: الهاء في " قوله " "كلامه " أو "هو" أو المستتر، مثل: "ذكر"و"قال"، فالمعنيُّ به هو الشاطبي.

شيخنا: يعني به الأفراني.

المحقق: هو ابن الجزري.

١- ذكر مصطلحاته، الغيث، ص٩-١١.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إذا قصر حكما على السبعة فمعناه أنّ غيرهم اختلفوا، وإذا أطلق الحكم للقراء دون تقييده بالسبعة فيعني أن من وراء السبعة لم يختلفوا أيضا.

وفي مبحثي الممال و المدغم له اصطلاح آخر في تسمية القراء:

لهم: يعني به ورش وحمزة والكسائي.

لهما: يعني به ورش وأبو عمرو البصري.

٢- اصطلاحاته في عدّ الآي:

مدنيّ: عدّ علماء المدينة كيزيد، ونافع، وإسماعيل.

مدني أول: إن وافق يزيد أصحابه.

مدني آخِر: إن انفرد أصحاب يزيد عنه.

بصري: علماء البصرة، كعاصم الجحدري [١].

شامي: علماء الكوفة، عبد الله بن حبيب السلمي، وعاصم، وحمزة، والكسائي.

حرمي: إذا اتّفق المكيّ والمدنيّ.

عراقي: إذا اتّفق البصري والكوفي.

دمشقي: إذا خالف شريح[٢] صاحبيه، (ابن عامر، والذماري[٣]).

حمصي: إذ انفرد شريح عن صاحبيه.

٣- اصطلاحاته في مواضع متفرقة أيضا:

حرف الكاف (كـ): يعني به الإدغام الكبير.

---

١ عاصم بن أبي الصباح العجاج، وقيل ميمون أبو المجشر، الجحدري البصري، قرأ على الحسن، (ت١٢٨هـ)؛ غاية النهاية، ج١، ص٣٤٩.

٢ شريح بن يزيد أبو حيوة الحضرمي صاحب القراءة الشاذة، ومقرئ الشام، قرأ على الكسائي، (ت٢٠٣هـ)؛ غاية النهاية، ج١، ص٣٢٠.

٣- يحيى بن الحارث بن عمرو بن يحيى بن سليمان بن الحارث أبو عمر الغساني الذماري ثم الدمشقي إمام الجامع الأموي وشيخ القراءة بدمشق بعد ابن عامر، يعد من التابعين، (ت١٤٥هـ)؛ غاية النهاية ج٢، ص٣٦٧.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

حرف العين(ع): ويعني به القطع، عكس الوصل، ولا يعني به قسيم الوقف والسكت[١]، وقد نبّه المؤلّف على هذا فقال:"...وكثير من المتقدّمين يطلقون القطع على الوقف، ويأتي مثله في كلامنا في باب التكبير، إن شاء الله تعالى "[٢].

حرف(ل): يعني به الوصل والمصطلحان الأخيران ذكرهما عند الكلام عن التكبير من سورة الضحى حتى آخر القرآن.

وتنبغي الإشارة إلى قيدين ذكرهما المؤلّف:

الأوّل: إنّه في مبحث المدغم، إنّما يعني به الإدغام الجائز، أمّا الواجب[٣] فلا يذكره، إلاّ إذا كان ظاهرا في الرّسم، فإنّه يذكره في المدغم، ولكن لا يعدّه في آخر السورة.

الثاني: لم يفرّق بين من يميل ومن يقلل، واكتفى بما ذكره أولا من قاعدة كل قارئ.

و لم يدع المؤلّف هذه الاصطلاحات مبهمة، بل بيّنها بيانًا شافيًا، حتى إنّه اعتذر عن الإطالة في ذلك فقال:"وإنّما ذكرت ما ذكرت وإن كان أيضا لا يخفى على أولي الألباب، لأنّي بإبرازه أحرى، وخازن الملوك بما في خزائنهم أدرى"[٤].

وهو في كثير من هذه الاصطلاحات مسبوق بمن قبله من علماء القراءات، المتقدّمين خاصة ما كان منها في تسمية القرّاء[٥].

١- القطع: هو ترك القراءة رأسا، أي تكون نية القارئ ترك القراءة، والانتقال منها إلى أمر آخر.
والوقف: هو قطع الصوت عن الكلمة، زمانا يتنفس فيه عادة، بنية استئناف القراءة.
والسكت: هو عبارة عن قطع الصوت زمنا، دون زمن الوقف عادة، من غير تنفس؛ انظر النشر، ج١، ص٢٤٠؛ و الغيث، ص١٢.

٢- الغيث، ص١٢.

٣- الإدغام الجائز: هو ما اختلف القراء في إظهاره وإدغامه.
والواجب هو ما اتفقوا على إدغامه، انظر: النجوم الطوالع، ص٩٧.

٤- الغيث، ص١١.

٥- ممن استعمل بعض هذه الاصطلاحات: ابن مهران، الغاية في القراءات العشر، أبو عمرو الداني، التيسير، في مواضع منها: ص ٦، ٣٦، ٦٨، ٧٤؛ وابن بليمة، تلخيص العبارات بلطيف الإشارات في القراءات السبع؛ و ابن الباذش، الإقناع في القراءات السبع، ص٩٢؛ و أبو العلاء الهمذاني العطار، غاية الاختصار في قراءة العشرة أئمة الأمصار، ج١، ص٤؛ وابن الوجيه الواسطي؛ الكنز في القراءات العشر؛ ص.٣٦؛ وابن الجزري في النشر في مواضع، وغيرهم.

المطلب الثالث:

منهجه في عرض القراءات

سبق أن تكلّمت عن تقسيم المؤلف لكتابه، على أرباع القرآن الكريم وأجزاءه، وأنّه قسّم الربع إلى مباحث، مزج فيها بين الأصول والفرش، وضّح فيها القراءات السبع بمنهج متميّز، اهتمّ فيه بتسهيل هذا العلم، وإيضاح المبهم من مسائله، وقد مشى في عرض مباحثه على الطريقة التالية:

يذكر المؤلّف الكلمة، أو الجملة من القرآن الكريم، فإن كانت مما لم يختلف فيه القراء السبع ولا غيرهم، قال "لا خلاف بينهم" أو "أجمعوا" أو "اتفقوا"، ونحو ذلك من العبارات، ومن أمثلة هذا:

قوله:"...ولا خلاف بينهم في فتح دال ﴿مُسْتَوْدَعٌ﴾[الأنعام/٩٩]"[١].

وقوله:"﴿ كَلِمَتُ﴾[الأعراف/١٣٦] لا خلاف بينهم في قراءتها بالإفراد"[٢].

وقوله:"﴿ بِمَيِّتٍ﴾ [إبراهيم/٢٠]، أجمعوا على قراءته بالتشديد"[٣].

وإن كانت هذه الكلمة، أو الحكم ممّا اتفق فيه السبعة فقط، قيّد هذا الاتفاق بقوله "اتّفق السبعة "، ونحوها من العبارات ومن الأمثلة في هذا:

قوله:﴿الْمَيْتَةَ﴾[النحل/١١٥]، لا خلاف بين السبعة في تخفيف يائه وإسكانها"[٤].

وقوله:" ﴿حُلِيِّهِمْ﴾:[الأعراف/١٤٨]، لا خلاف بين السبعة في كسر اللام وتشديد الياء وكسرها"[٥].

١- الغيث، ص٦١؛ وانظر: النشر، ج٢، ص٢٦٠.

٢- الغيث، ص٦٩؛ وانظر: البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، عبد الفتاح القاضي، ص١٩٢.

٣- الغيث، ص٩١؛ وانظر: البدور الزاهرة، عبد الفتاح القاضي، ص٢٤٥.

٤- الغيث، ص٩٦.

٥- الغيث، ص٧٠.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وهاتين الكلمتين وقع فيهما الخلاف بين القراء العشر، فقد شدّد أبو جعفر ياء﴿الْمَيْتَةَ﴾[١]؛ ويعقوب فتح الحاء وسكّن اللام، وخفّف الياء من ﴿حُلِيِّهِمْ﴾[٢]؛ وفي هذا أمثلة لا تحصى كثرة.

والحكم إن اختلف فيه فإنّه يذكر وجه القراءة، وينسبه إلى أصحابه، ويسمّيهم على حسب اصطلاحه الذي ذكر في المقدّمة، ثمّ يقول:"والباقون"، ويذكر وجه قراءتهم.

فإن كان لِواحد من القرّاء، أو الرواة أكثر من وجه، فإنّه يذكره مع من وافقهم في أحد وجهيه، ويقول:"وفلان في أحد وجهيه" أو "وفلان بخلف عنه"، فإذا ذكر أصحاب الوجه الثاني يقول: "وهو الطريق الثاني لفلان"، ومن أمثلته:

قوله:﴿ يُوقَدُ مِن ﴾ [آل عمران/٧٥]معًا، قرأ البصري وشعبة وحمزة بسكون الهاء، وقالون وهشام بخلف عنه بكسره من غير صلة؛ وهو مرادهم بالاختلاس هنا، والباقون بكسره مع الصلة، وهو الطريق الثاني لهشام..."[٣].

وقوله:" ﴿أَيْنَكُمْ﴾[الأنعام/٢٠] قرأ الحرميان والبصري بتسهيل الهمزة الثانية، والباقون بتحقيقها، وأدخل بين الهمزتين ألفًا قالونُ والبصريُّ، وهشامٌ بخلف عنه؛ والباقون بلا إدخال، وهو الطريق الثاني لهشام"[٤].

وقوله:" ﴿بَصْطَةً﴾ [الأعراف/٦٨] قرأ خلاّد بخلاف عنه، ونافع و البزي وابن ذكوان وشعبة وعلي بالصاد؛ والباقون بالسين، وهي الرواية الثانية لخلاّد"[٥].

والمؤلّف لا يكتفي بالضدّ عن ضدّه في أغلب الأحيان، فهو لم يصطلح في ذلك اصطلاحا خاصّا، مثل فعل أصحاب المنظومات، كالشاطبي، وابن الجزري[٦] ومن الأمثلة في هذا:

١- إتحاف فضلاء البشر، ج٢، ص١٩٠.

٢- المصدر نفسه، ج٢، ص٦٢، ٦٣.

٣- الغيث، ص٤٤.

٤- الغيث، ص٥٨.

٥- الغيث، ص٦٧.

٦- قال الشاطبي: " وَمَا كان ذَا ضِدٍّ فَإِنِّي بِضِدِّهِ *** غَنِيٌّ فَزَاحِمْ بِالذَّكَاءِ لِتَفْضُلاَ "؛ الشاطبية، ص٥.

قوله:"﴿مِنِّيٓ إِلَّا﴾ [البقرة/٢٤٧] فتحها نافع والبصريّ، وسكّنها الباقون"(١).

وقوله:"﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [آل عمران/٨٢]قرأ حفص بياء الغيب، والباقون بتاء الخطاب"(٢).

قوله:" ﴿فَلۡيُمۡلِلۡ﴾ [البقرة/٢٨٢] قرأ ورش بإبدال همزه واوا، والباقون بالهمز"(٣).

فقد كان من الجائز أن يكتفي بقوله:"قرأ ورش بإبدال همزه واوا"، فإنّه يفهم منه تلقائيا حكم البقيّة، وكذلك الحال مع المثالين السابقين.

إلاّ أنّ المصنّف خالف هذه الطريقة في بعض الأحيان، وخاصّة فيما يكثر دوره من الأصول والكلمات، كأحكام الراء واللام، وبعض أحكام الهمز لورش، ووقف حمزة وهشام، ونحو ذلك؛ ومن أمثلته:

قوله:" ﴿بَأۡسُنَا﴾معا [الأعراف/٣ ،٤]، و﴿شِئۡتُمَا﴾ [الأعراف/١٨]، إبدالهما للسوسي جلي"(٤).

وقوله:" ﴿يُصَلَّبُوٓاْ﴾ [المائدة /٣٤] يفخمه ورش على أصله"(٥).

قوله:"﴿ صِرٌّ﴾ [آل عمران/١١٧] ترقيقه لورش لا يخفى"(٦).

وإن تكرّرت الكلمة في الربع أكثر من مرّة، فإنّه كثيرا ما يجمعها في موضع واحد، ويذكر عددها من ذلك:

قوله:"﴿وَلَدًا﴾ [مريم/٧٨، ٨٩، ٩٢، ٩٣] الأربعة؛ قرأ الأخوان بضم الواو وإسكان اللام، والباقون بفتح الواو واللام"(٧).

= وقال ابن الجزري: "وأَكْتفِي بضدِّها عن ضِدِّ *** كَالحَذْفِ والجَزْمِ وَهَمْزِ مدِّ "، انظر: طيبة النشر، ص٣٤.

١- الغيث، ص، ٣٦.

٢- الغيث، ص٤٤.

٣- الغيث، ص٣٨.

٤- الغيث، ص٦٦.

٥- الغيث، ص٥٥.

٦- الغيث، ص٤٥.

٧- الغيث، ص١٠٣.

وقوله: ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾[مريم/ ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥]الأربعة، قرأ الشامي بفتح التاء فيهنّ، والباقون بالكسر"[١].

ويبرز هذا بكثرة في مبحث الممال من الكتاب.

ونفس الشيء يفعله مع الكلمات التي تشترك في حكم واحد، وتتكرر في الربع فمن ذلك:

قوله:"﴿تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ [الأنعام/٩٢]، قرأ المكي والبصري بياء الغيب في الثلاثة، والباقون بتاء الخطاب فيهنّ"[٢].

وقوله:" وخمسة﴿ٱلسَّمَآءِ﴾[إبراهيم/٣٤، ٤٠]، و ﴿ٱلدُّعَآءِ﴾ [إبراهيم/٤١]، ﴿دُعَآءِ﴾ [إبراهيم/٤٢]..."[٣].

وإن كان الخلاف في موضع دون الآخر، نبّه إليه بتقييده باللّفظ الذي قبله، أو الذي بعده؛ ولا يكتفي بذلك في أكثر الأحيان، بل يشير إليه ومن أمثلته:

"﴿فَعَمِيَتْ﴾ [هود/٢٨]...واتفقوا على الفتح والتخفيف في﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ﴾ في القصص[الآية/٦٦]"[٤].

" ﴿ٱلَّذِى يَنصُرُكُم﴾ [آ عمران/١٦٠]...وهذا بخلاف﴿إِن يَنصُرْكُمُ﴾ [آل عمران /١٦٠] قبله"[٥].

فهو لم يكتف بتقييده بكلمة ﴿ٱلَّذِى﴾ فإنّ التي قبلها ليس فيها الاسم الموصول "الذي".

وفي الكلمات الّتي كثر دورها، وصارت من البديهيات، مثل أحكام المدّ، والرّاء، واللاّم، ووقف حمزة وهشام، وغيرها؛ فإنّه إمّا أن يذكرها كغيرها من الأحكام، أو يضيف

١- الغيث، ص١٠٣.

٢- الغيث، ص٦١.

٣- الغيث، ص٩٢.

٤- الغيث، ص٨٢.

٥- الغيث، ص٤٦.

إليها قوله" لا يخفى" أو "جليّ"؛ وربّما ذكر الكلمة و لم يذكر حكمها، وإنّما ينسبها لقارئها فقط، و يقول "لا يخفى"، أو يكتفي بقوله"لا يخفى"، دون نسبة لقارئها، ولا بيان لحكمها؛ وأمثلته كثيرة جدّا.

والمؤلف في عرضه للقراءة يضبط الكلمة الخلافية، ضبطا دقيقا لحركاتها، بل إنّه في كثير من الأحيان لا يقتصر على ذكر اسم الحرف وحركته، بل يضبطه بالحروف فيقول مثلا "بالمثناة التحتية"، أو"موحدة فوقية"، ونحو ذلك من العبارات، وقد يضبطها بذكر وزنها، أو كلمة أخرى بنفس الوزن، أو بذكر معناها، ومن أمثلة ذلك:

"﴿نُنشِزُهَا﴾ [البقرة/٢٥٨]؛ قرأ الشامي والكوفيون بالزاي المعجمة، والباقون بالراء المهملة..."[١].

ومن ضبطه بكلمة لها نفس الوزن قوله:" ﴿يَصَّعَّدُ﴾[الأنعام/١٢٦]...وتخفيف العين من غير ألف كيَصْعَقُ،...، والباقون بتشديد الصاد والعين، كيَذَّكَّرُ"[٢].

وبالوزن قوله:" ﴿مِنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ﴾ [الأنفال/٧١]، قرأ البصري بضم الهمزة وبألف بعد السين بوزن فُعَالَى؛ والباقون بفتح الهمزة وإسكان السين من غير ألف بوزن فَعْلَى"[٣].

ومن ضبطه بالمعنى قوله:"﴿ٱلسَّلْمِ﴾ [البقرة/٢٠٦]...بفتح السين بمعنى الصلح ...بكسرها بمعنى الإسلام"[٤].

ومن ضبطه بالحروف والمعنى قوله: "﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [النساء/٩٣]معًا، قرأ الأخوان بثاء مثلّثة بعدها باء موحدة بعدها مثنّاة فوقية من التثبّت، وهو الاحتياط من زلل السرعة؛ والباقون بياء موحدة وياء مثناة تحتية ونون، من التبيّن"[٥].

١- الغيث، ص٣٦-٣٧.

٢- الغيث، ص٦٢.

٣- الغيث، ص٧٣.

٤- الغيث، ص٣٤.

٥- الغيث، ص٥٠.

هذا هو منهجه العام في عرض القراءات، ويتخلّل هذا تنبيهات، وتحقيق لبعض المسائل، وتوضيح لبعض الإشكالات، في تنبيهات، وفوائد، واعتراضات والإجابة عنها، وغيرها وهي كثيرة متنوعة فمن ذلك:

١- تنبيهات على بعض أوهام المصنّفين في القراءات بما في ذلك الشاطبي[١].

٢- تنبيهات على المقدم من أوجه خلاف القراء والرواة، و لم يلتزم ذلك مطلقا بل أهمل منها أشياء ومن أمثلته:

قوله:"﴿ ذِكۡرًا ﴾ [البقرة/١٩٩]، فيه لورش وجهان التفخيم، وهو المقدّم في الأداء لقوّته..."[٢].

وقوله:" ﴿فِصَالًا﴾[البقرة/٢٣١]، اختلف عن ورش في تفخيم اللام وترقيقها، والوجهان صحيحان والتفخيم مقدّم"[٣].

وفي قوله تعالى:﴿ أَلَمۡۚ أَحَسِبَ ﴾[العنكبوت/١-٢] ذكر أن القصر مقدم أداء.

٣- التنبيه على الأوجه الضعيفة التي لا يقرأ بها، مثل بعض مسائل وقوف حمزة وهشام وغيرها.

٤- التنبيه على الأوجه الأدائية بين السور، الجائز منها والممنوع.

٥- تنبيهات على بعض المواضع التي يقع فيها الزلل والاشتباه، فالمصنّف لا يكتفي بمجرد النصّ على الألفاظ التي تدخل في أصول معيّنة، بل إنّه اعتنى كثيرا بالتّنبيه على ما خرج عن هذه الأصول، وخاصّة في الأماكن التي يصعب فيها التمييز بين ما تشمله القاعدة وما لا تشمله، ويكثر هذا في مبحثَيْ الممال و المدغم ويوجد في غيره أيضا ومن أمثلته:

قوله:" ﴿فَطَلٌّ﴾ [البقرة/٢٦٤]، رقق ورش لامه...وجرى تفخيمه على بعض الألسنة، وهو لحن"[١].

١- انظر مثلا: ص١٦، ١٧، ١٩، ٢٠، ٢٣، ٢٤، وغيرها كثير جدّا. وسيأتي تفصيل بعض ذلك.

٢- الغيث، ص٣٣.

٣- الغيث، ص٣٦.

وقوله:"لا يميل البصري﴿مَشۡجَٰ﴾ [النساء/٠٣]، لأنّه مفعل"[٢].

وقوله:"لا إدغام في ﴿وَأَحَلَّ لَكُمۡ﴾ [النساء/٢٤]، لأنّه مشدّد"[٣].

وقوله:"لا إمالة في﴿بَدَا﴾ [الأنعام/٢٩]، لأنّه واويّ "[٤].

وقوله:"﴿ ٱلۡأَقۡصَا﴾ [الإسراء/٠١]مرسوم بالألف على، فلا تتوهم أنّه لا إمالة فيه"[٥].

والمصنّف -رحمه الله- يكثر من هذه الطريقة، ويبدوا أنّه شديد الاهتمام بتتبّع الأخطاء -التي تقع في القراءة- والتحذير منها، حتّى إنّ كتابه الآخر "تنبيه الغافلين" مبناه على هذا الاتّجاه[٦].

٦-تنبيهات على كيفية قراءة كثير من الآيات بطريقة الجمع، خاصّة فيما يصعب منها وسيأتي أمثلة لهذا لاحقا.

٧- يقرن المؤلّف كثيرًا بين القراءات وتوجيهها، أو إعرابها، ولكن بعبارة وجيزة ولا يطيل إلاّ في مواضع القراءات المشكلة، التي طعن فيها بعضهم، وسيأتي مزيد تفصيل لهذا.

٨- التنبيه على كيفيّات وقف حمزة وهشام على الهمز، وقد التزم أن يذكر ذلك حيث يصحّ الوقف، ولكنّه ربّما ذكَر غيره مع التنبيه على أنه ليس بمحلّ وقف، ويحيل في كثير من الأحيان إلى ما تقدّم من نظائر.

٩- فرّق المؤلّف في مبحث الممال بين ما يمال وقفا وما يمال وصلا ووقفا، وهو منه نظر جيّد، فإن ضبط المصحف لا يبيّن هذا؛ فيقع فيه الخطأ من حيث عدم وجود علامة الإمالة في المصحف، لأنّ الضبط -كما هو معروف بعكس الرسم- مبنيّ على الوصل، إلاّ مواضع معدودة [٧].

١- الغيث، ص٣٧.

٢- الغيث، ص٤٨.

٣- الغيث، ص٤٩.

٤- الغيث، ص٥٩.

٥- الغيث، ص٩٧.

٦- راجع: تنبيه الغافلين، فستجد أنه في أغلب مباحثه يقول: " ويقع الخطأ في هذا..."، ثم يعدّد الأخطاء.

٧- سمير الطالبين في رسم وضبط الكتاب المبين، علي محمد الضباع، ص١١٩.

فهذا ما استطعت تمييزه من منهج المؤلّف وطريقته التي اتبعها في عـــرض القـــراءات وتناول مسائل هذا العلم، أما عرض هذا العلم وطريقة مناقشة مسائله وتوضيح مشكلاته فهو ما سيأتي في الفصل التالي إن شاء الله تعالى.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثالث:

مصادر المؤلف ومنهجه في عرض المادة العلمية

وفيه مبحثان:

الأول: مصادر المؤلف وموقفه منها

الثاني: المادة العلمية في الكتاب ومنهجه في عرضها

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول:

مصادر المؤلف وموقفه منها

وفيه مطلبان:

الأول: مصادره

الثاني: طريقة تعامله مع المصادر وموقفه منها

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الأول:

مصـــــــادره

أولاً: مصادره السماعية

إنّ المشافهة في علم القراءات من الأهمية بمكان، فإن الأخذ من أفواه المشـــايخ هـــو أحد أركان القراءة الثلاثة[١]، التي يجب على القارئ معرفتها، فلا بدّ في هذا العلـــم مـــن الجلوس إلى شيخ متقن متفطّن لم يتطرق إليه اللحن، واتصل سنده برسول الله ﷺ، وهذا معنى ما اشتهر عند كثير من السلف "القراءة سنة متبعة يأخذها الآخر عن الأول"[٢]، فلا يجوز للقارئ أن يعتمد على مجرد ما يجده في الكتب، وفي هذا يقول الشيخ علي النوري – رحمه الله –:"... أنّ إتقان كتاب الله وقراءته كما أنزل من عظيم الطاعات... بعد التلقي من أفواه المشايخ المتقنين، المتلقين قبلك من مشايخهم المتقنين، ومن تأمّل مـــا صـــحّ أنـــه ﷺكان يعرض القرآن على جبريل عليه الصلاة والسلام كل عام مرّة[٣]... وقراءتـــه ﷺ على أبيّ سورة﴿لَمْ يَكُنِ﴾[٤] ليعلّمه ﷺ طريقة التلاوة، وكيفية القراءة، ليكون ذلك ســـنة للمقرئين والمتعلمين؛ وما كان الصحابة يفعلونه من قراءتهم عليه ﷺ، وسماعهم منه، وقراءة بعضهم على بعض...وكذلك التابعون وتابعوهم، حتى وصل الأمر إلينا مسلسلاً...علِـــم

١- وهذه الأركان هي قال فيها ابن الجزري في النشر،ج١، ص٩:" كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحـــد المصـــاحف العثمانية ولو احتمالا، وصح سندها فهي القراءة الصحيحة"، وهو معنى قوله في الطيبة، ص٣٢ فقال:

فما وافق وجه نحـــــو * * * وكان للرسم احتمالا يحوي

وصح إسنادا هو القرآن* * * فـــــهذه الثلاثة الأركـــــان

٢- روى هذه الجملة عن بعض الصحابة والتابعين كثير من العلماء منهم ابن مجاهد بسنده في:كتاب الســـبعة في القـــراءات، ص٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢ وهي فيه بألفاظ متقاربة.

٣- الحديث أخرجه البخاري(الفتح) ج٩، ص٤٣، كتاب فضائل القرآن، باب كان جبريل يعرض القرآن على النبيﷺ برقم٤٩٩٧، ٤٩٩٨؛ ومسلم ج٥، ص٤٢٩، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي بن كعب.

٤- الحديث أخرجه البخاري(الفتح) ج٨، ص٧٢٥، كتاب تفسير القرآن، باب تفسير سورة ﴿لم يكن﴾، بأرقـــام:٤٩٥٩، ٤٩٦٠، ٤٩٦١؛ ولفظه" قَالَ النَّبِيُّ لِأُبَيٍّ إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ، ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، قَالَ: وَسَمَّانِي؟ قَالَ نَعَـــمْ، فَبَكَـــى"؛ وأخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب قراءة القرآن على أهل الفضل والحذق فيه، برقم٧٩٩.

علم يقين أنّ من اجترأ بما تعلّم من الكتب، واتّكل على فهمه وعلمه، فقد أساء وخالف وابتدع، وربما وقع في أمرٍ عظيم وخطر جسيم..." [١].

ولمّا كان الأمر كذلك لقيت المشافهة من المؤلف العناية اللائقة، ويبرز ذلك في أمرين اثنين:

الأول: قراءة الكتب المؤلّفة في هذا الفن على مشايخه، قراءة تفحص وتدبر، وشرح لما أبهم من كلام علماء الفن فيها، وقد نصّ الشيخ ومترجموه -كما سبق- على قراءته لكتاب النشر على شيخيه الجليلين أبي عبد الله الأفراني، وأبي الضياء الشبراملسي، ويلحق بهذا أيضا حفظه وقراءته لمتون الفنّ الثلاثة: الشاطبية، والدرة، والطيبة [٢]، وكذلك قراءته لمقصورة شيخه الأفراني ومنظومته في آلان[٣].وربّما قرأ على مشايخه كتبا أخرى في القراءات لم يذكرها مترجموه.

الثاني: قراءته القرآن العظيم برواياته على مشايخه، وقد نصّ رحمه الله، في غير ما موضع من كتابيه: الغيث، والتنبيه، على قراءته للسبع، والعشر الصغرى والكبرى، وكذلك الشاذّ من القراءات كما سبق التنبيه على ذلك.

والمؤلّف رحمه الله تعالى شديد العناية بمصدر التلقّي، والاحتكام إليه في الخصومات لذلك تراه كثيرا ما يقول:"وبذلك قرأت"، وما في معناها من العبارات المتكررة في كتابه، وإليك بعض الأمثلة:

- في قوله تعالى:﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾:[البقرة/ ٠١] ذكر إدغام النون في اللام والراء، وأنّ هذا الإدغام محض أي بغير غنة، ثم قال: "... وبه قرأنا وبه نأخذ" وأشار إلى صحة الغنّة ولكن من طريق النشر[٤].

- وفي قوله تعالى: ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ [البقرة /٠٥] قال : "... وبعدم المد - يعني في ألف الإدخال - قرأت على جميع شيوخي "[١].

١- تنبيه الغافلين، ص٣٠.

٢- ولم أجد نصّا على هذا، ولكن يؤخذ ذلك من إجازاته في القراءات من طرق هذه المتون، ولا بدّ في ذلك من الحفظ والقراءة على الشيخ، وهو أمر لا يخفى إن شاء الله تعالى.

٣- انظر ما سبق في الفصل الأول.

٤- الغيث، ص١٥.

- وذكر عند قوله تعالى:﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ ﴾ [البقرة/٣٦]، أوجه الأداء لورش، وأنها ستة بالضرب الحسابيّ، وأنّ الصحيح منها أربعة أوجه فقط، وقال:"...ولم نقرأ على شيخنا من طريق الشاطبيّة إلا بها، وقرأ هو بذلك على شيخه سلطان بن أحمد"[٢].

ثانيا: مصادره المكتوبة

تكررت في الكتاب كثير من أسماء كتب القراءات، ومؤلّفيها من عصور مختلفة، فكان منهم المتقدّم ومنهم المتأخّر، ولم يقتصر الأمر على أصحاب الكتب المؤلّفة في القراءات السبع، كما يتبادر من موضوع الكتاب، ولا على الشاطبي وشرّاح قصيدته؛ بل شملت الكثير من الكتب، في القراءات العشر وغيرها، وبعض فروع علم القراءة، كالتجويد والرسم، والوقف والابتداء وغير ذلك؛ إلاّ أنّ الشيخ لم يحتفي بكتاب مثلما احتفى بكتاب النشر، فلا تكاد تخلوا من ذكره صفحة من صفحات الكتاب؛ ولهذا سأجعل هذا المؤلّف أعني الإمام ابن الجزري، معلما أحدّد به مصادر المؤلّف، فأذكر مصادره قبل عصر ابن الجزري على حدة، ثم مصادره من هذا الإمام على حدة، ثم التي بعده أيضا أذكرها على حدتها، ونظرا لأهميّة الشاطبية وكونها عمدة الكتاب، سأخصصها هي أيضا بالكلام عنها وعن شروحها في مصادره.

أولا:مصادره ممّا ألّف قبل الإمام ابن الجزري

يأتي على رأس هذه المصادر، كتب الإمام أبي عمرو الداني، وفي الواقع لا يستغني أحد عن كتب هذا الإمام في علم القراءات وفروعه؛ ومكانة هذا الإمام في الفنّ في أعلى مقام، جودة وكثرة في التأليف؛ وقد أخذ الشيخ النوري منها بالحض الوافر، نقلا واقتباسا، ولا ننسى أن مأخذ كتاب "غيث النفع"، هو أحد كتب هذا الإمام، فلا بدّ أن يكثر الكلام عنه وعن مؤلّفه، وهذا باختصار بيان لأهمّ ما اعتمد عليه من كتبه:

أ- كتاب التيسير في القراءات السبع:

١- الغيث، ص١٧.

٢- الغيث، ص٢٣، ٢٤؛ وانظر أمثلة أخرى ص:٢٥ ،٧٤،٦٥،٦١،٦٠،٤٥،٤٣،٣٨،٣٥،٣٠.وغيرها.

هذا الكتاب من أهمّ كتب الداني، وقد تردّد كثيرا في الغيث، ولاغَرْوَ، فإنّ هذا الكتاب هو أصل قصيدة الشاطبيّ، التي اعتمد المؤلف طريقها في ذكر القراءات، ومن أمثلة ما نقله عنه:

- قوله في حكم الاستعاذة:"وأما الجهر بها فقال الداني: لا أعلم خلافا بين أهل الأداء في الجهر بها عند افتتاح القرآن، وعند الابتداء برؤوس الأجزاء أو غيرها، في مذاهب الجماعة؛ اتّباعا للنص، واقتداء بالسنّة "[١]

- وقوله:"...وقد ذكر الداني عن ابن مجاهد أنه كان يختار عدم الإدغام في هذا الضرب - يعني نحو﴿جَاوَزَهُۥ هُوَ﴾[البقرة/٢٤٧]،﴿لِعِندَتِهِۦ هَلۡ﴾[مريم /٦٥]- وذكر حجته وبين فسادها "[٢].

- وقوله: " قال في التيسير: فأمّا قوله تعالى:﴿وَلۡتَأۡتِ طَآئِفَةٌ أُخۡرَىٰ﴾[النساء/١٠١] فقرأته بالوجهين، وابن مجاهد يرى الإظهار؛ لأنّه معتلّ، وغيره يرى الإدغام "[٣].

ولم يلتزم الصفاقسي ذكر عبارة التيسير بنصّها في كلّ المواضع، بل اقتصر في كثير منها على مجرّد المعنى، خاصّة إذا ما تعلّق الأمر بعزو بعض وجوه القراءة، فإنّه ينسبها إليه في جملة من نسبها إليهم من المصنفين.

ولم يقتصر الصفاقسي في نقله عن الدّاني على هذا الكتاب فحسب، بل نقل عن كتبه الأخرى ومنها:

أ-كتاب جامع البيان في القراءات السبع[٤](مطبوع).

ب-كتاب مفردات القراء السبع[٥](مطبوع).

ج-كتاب الموضّح في الإمالة[٦](مطبوع).

د-المكتفى في الوقف والابتداء[١](مطبوع).

١- الغيث، ص.١١؛ وانظر: التيسير، ص١٦، ١٧.

٢- الغيث، ص٢٥؛ وانظر: التيسير، ص.٢١

٣- الغيث، ص٥١؛ وانظر: التيسير، ص٣١.

٤- الغيث، ص٢١، ٢٣، ٤١، ٥٥، ٧٢، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١١٩، ١٣٦، ١٥٩.

٥- الغيث ص٤٩، ٧٢، ٧٤، ٩٨، ١٠١.

٦- الغيث ص١٠، ١٠٠، ١١٣.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

هـ- كتاب المقنع في رسم مصاحف الأمصار[٢](مطبوع).

و- كتاب الأرجوزة المنبهة[٣](مطبوع).

فأما الكتب الأربع الأولى، فيرِدُ ذكرها بكثرة عند مناقشة الشاطبيّ في بعض الوجوه التي خرج فيها عن طرق التيسير، فيردّ الصفاقسي بالنصوص الواردة في هذه الكتب، موضّحا بعض العبارات الموهمة في "كتاب التيسير".

أمّا كتاب المكتفى فيرد عند نصّه على أحكام الوقف على رؤوس الأرباع، وربما ورد في غيرها من المواضع؛ وبقية الكتب ذكرها في مواضع قليلة، وليس لها مواضع مخصوصة.

هذا ما يخصّ كتب الداني أمّا كتب غيره من الأئمة، فإنّ الشيخ الصّفاقسي - رحمه الله- اكتفى في الكثير منها بأسماء مؤلّفيها فقط، وأغلبهم له أكثر من كتاب في هذا العلم؛ ولهذا إذا لم يعيّن الصفاقسيّ كتابا من كتب هؤلاء الأئمة، فسأكتفي بما ذكره لهم الإمام ابن الجزري في مقدمة كتابه النشر، لأنّ جلّ اعتماد الصفاقسي في هذا الباب عليه؛ وهي على الترتيب كالآتي:

- موسى بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان أبو مزاحم الخاقاني (ت٣٢٥هـ)[٤]؛ "القصيدة الخاقانية في التجويد"[٥].

- أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس ابن مجاهد (ت٣٢٤ هـ)؛ " كتاب السبعة في القراءات"[٦](مطبوع).

- أبو بكر محمد بن القاسم بن الأنباري (ت٣٢٨ هـ)[٧]؛ "إيضاح الوقف والابتداء"[٨](مطبوع).

١- الغيث ١٤، ١١٣، ١٥٢، ١٧٢، ١٨٣، ١٨٨.

٢- الغيث ص١١٨، ١٤٦، ١٥٤، ١٦٣.

٣- الغيث ص٦١.

٤- انظر ترجمته في: معرفة القرّاء، ج١، ص٢٧٤.

٥- الغيث، ص٨، ٢٠.

٦- الغيث، ص١٧، ١٨، ٢٠، ٣٨، ٥٢، ٨٢، ١١٩، ١٣٦.

٧- انظر ترجمته في: معرفة القراء، ج١، ص٢٨٠.

٨- الغيث، ص١٨٢.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- أبو بكر أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني ثمّ النيسابوري(ت ٣٨١هـ)؛ "الغاية في القراءات العشر"[١](مطبوع).

-أبو الطيّب عبد المنعم بن غلبون الحلبي نزيل مصر (ت٣٨٩ هـ) ؛ "الإرشاد في القراءات السبع"[٢].

- أبو الحسن طاهر بن الإمام أبي الطيب عبد المنعم بن غلبون (ت٣٩٩هـ) [٣]؛ "التذكرة في القراءات الثمان "[٤](مطبوع).

- العماني(ت في حدود ٤٠٠ هـ) "المرشد في الوقف والابتداء"[٥](طبع مختصره" المقصد لتلخيص ما في المرشد" لزكريا الأنصاري).

- أبو عبد الله محمد بن سفيان القيرواني (ت٤١٥هـ) [٦]؛ "الهادي في القراءات السبع "[٧].

- أبو العباس أحمد بن عمّار المهدوي (ت بعد٤٣٠ هـ)؛ " الهداية في القراءات السبع"[٨](طبع شرحه).

- مكي ابن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧ هـ)؛ "التبصرة في القراءات السبع"، و"الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها"، و"الرعاية لتحويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة"[٩](جميعها مطبوعة).

-أبو الفتح عبد الواحد بن الحسين بن أحمد بن عثمان بن شيطا البغدادي (ت٤٤٥هـ) [١٠]؛ " التذكار في القراءات العشر"[١].

١- الغيث، ص٤٤، ٨٦.

٢- الغيث، ص٣٨، ١٠٠، ١٠٢، ١٢٥، ١٦١، ١٦٥، ١٧١.

٣- انظر ترجمته في: غاية النهاية، ج١، ص٣٣٩.

٤- الغيث، ص٣٨، ١٠٠، ١٠٦.، ١٦١.

٥- الغيث، ص١٤، ٤٤، ١١٣، ١١٥، ١٤٩، ١٥٢، ١٨٧، ١٨٨.

٦- انظر ترجمته في: معرفة القراء، ج١، ص٣٨٠.

٧- الغيث، ص ١٦، ٢٣، ٣٢، ٣٨، ٦٩، ١٠٠، ١٥٧، ١٦١، ١٦٥، ١٦٨، ١٧١.

٨- الغيث، ص١٦، ٢١، ٢٣، ٣٢، ٤٢، ٦٩، ١٠٠، ١٥٧، ١٦١، ١٦٥، ١٦٨، ١٧١.

٩- الغيث، ص١٦، ٢٠، ٢٣، ٢٨، ٣٢، ٣٨، ٤٢، ٤٥، ٦٩، ٧٩، ٩٩، ١٠٠، ١٢٥؛ وصرّح بالنقل عن الكشف في الصفحات: ٢٠، ٢٤، ٦٣، ٨٧، ١١٣، ونصّ على كتاب الرعاية ص١٧٠.

١٠- انظر ترجمته في: معرفة القراء، ج١، ص٤١٥.

- أبو علي الحسن بن علي بن إبراهيم بن يزداد بن هرمز الأهوازي (ت٤٤٦هـ)[٢]؛ "الوجيز في القراءات"[٣].

- أبوالحسن علي بن محمد بن علي بن فارس الخيّاط البغدادي (ت في حدود ٤٥٠هـ)[٤]؛ "كتاب الجامع في القراءات العشر"[٥].

- أبو الطاهر إسماعيل بن خلف بن سعيد بن عمر الأنصاري (ت٤٥٥هـ)؛ "العنوان في القراءات السبع"[٦](مطبوع).

- أبو القاسم يوسف بن علي بن جبارة بن محمد بن عقيل الهذلي المغربي البسكري (ت٤٦٥)[٧]؛ "الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها"[٨].

- أبو الحسن علي بن عبد الغني الحصري (ت٤٦٨هـ)[٩]؛ "القصيدة الحصرية في قراءة نافع"[١٠](مطبوع).

- أبو عبد الله محمد بن شريح الرعيني الإشبيلي (ت٤٧٦هـ)؛ "الكافي في القراءات السبع"[١١](مطبوع).

- أبو معشر عبد الكريم بن عبد الصمد بن أحمد بن علي بن محمّد الطبري الشافعي (ت٤٧٨هـ)[١٢]؛ "كتاب التلخيص في القراءات الثمان"[١٣](مطبوع).

١- الغيث، ص١٠٢، ١٢٧، ١٦٥.

٢- انظر ترجمته في: معرفة القراء، ج١، ص٤٠٢.

٣- الغيث، ص٤٢، ٥٢، ٦١، ١٣٦، ١٥١.

٤- انظر ترجمته في: غاية النهاية، ج١، ص٥٣٧.

٥- الغيث، ص١٧٥.

٦- الغيث ص٣٨، ٧٧، ١٠٢، ١١٣، ١٣٦، ١٣٨، ١٦٨، ١٧١.

٧- انظر ترجمته في: معرفة القراء، ج١، ص ٤٢٩؛ غاية النهاية، ج٢، ص٣٩٧؛ وقد تصحفت نسبته في الغاية فصار "اليشكري"، والصواب البسكري بالباء الموحدة التحتانية، كما في معرفة القراء للذهبي وهي مدينة مشهورة بالجزائر.

٨- الغيث، ٨٦، ٨٩، ١٠١، ١٠٦.

٩- انظر ترجمته في: غاية النهاية، ج١، ص٥٥٠.

١٠- الغيث، ص٢٨، ١٣٢، ١٥٧، ١٦٩.

١١- الغيث، ص١٦، ١٧، ٢٣، ٢٨، ٤٢، ٦٩، ١٠٠، ١٣٢، ١٥٧، ١٦١.

١٢- انظر ترجمته في: معرفة القراء، ج١، ص٤٣٥.

١٣- الغيث، ص٢١.

- أبوطاهر أحمد بن علي عبيد الله بن عمر بن سوار البغدادي (ت ٤٩٦هـ)[١]؛ "المستنير في القراءات العشر"[٢].(مطبوع).

- أبو داود سليمان بن نجاح(ت ٤٩٦هـ)[٣]؛ "مختصر التبيين في هجاء التنزيل"[٤](مطبوع).

- أبوعلي الحسن بن خلف بن عبد الله ابن بلّيمة الهواري القيرواني (ت٥١٤هـ)؛ "تلخيص العبارات في القراءات"[٥](مطبوع).

- أبوالقاسم بن عبد الرحمن بن أبي بكر عتيق بن خلف الصقلي، المعروف بابن الفحّام (٥١٦هـ)؛ "التجريد في القراءات السبع"[٦](مطبوع).

- أبو العز محمد بن الحسين بن بندار القلانسي الواسطي (ت٥٢١هـ) [٧]؛ "الإرشاد في القراءات العشر"، و" الكفاية الكبرى في القراءات العشر"[٨](مطبوع).

- أبو منصور محمّد بن عبد الملك بن الحسن بن خيرون العطار (ت٥٣٩هـ)[٩]؛ "الموضح في القراءات العشر"، و" المفتاح في القراءات العشر"[١٠].

- أبو جعفر أحمد بن علي بن أحمد بن خلف بن الباذش الأنصاري الغرناطي (ت٥٤٠)؛ "الإقناع في القراءات السبع"[١١](مطبوع).

- أبو محمّد عبد الله بن علي بن أحمد بن عبد الله المعروف بسبط الخياط(ت٥٤١هـ)[١]؛ "المبهج في القراءات الثمان وقراءة بن محيصن واختيار خلف واليزيدي"[٢](مطبوع).

١- انظر ترجمته في: معرفة القراء، ج١، ص٤٤٨.

٢- الغيث، ص٢١، ٢٢، ٨٩، ٩٧، ١٠٠، ١٤٥، ١٦١، ١٦٥، ١٦٨، ١٧٥.

٣- انظر ترجمته في: معرفة القراء، ج١، ص٤٥٠.

٤- الغيث، ص٣٤، ١١٨، ١٥٤.

٥- الغيث، ٣٨، ٤٢، ٩٣، ١١٣، ١٧١.

٦- الغيث، ص١٩، ٢٢، ٢٣، ٦٩، ١٠٠، ١٥١.

٧- انظر ترجمته في: معرفة القراء، ج١، ص٤٧٣.

٨- الغيث، ص٢٢، ٨٩، ١١٥، ١٦١.

٩- انظر ترجمته في: معرفة القراء، ج١، ص٤٩٣.

١٠- الغيث، ص١٢٥.

١١ ص٦٩، ١٦٤.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- أبو العلاء الحسن بن أحمد بن الحسن بن أحمد بن محمّد العطّار الهمذاني (ت٥٦٩هـ)[٣]؛ "غاية الاختصار في القراءة العشر أئمة الأمصار"[٤](مطبوع).

- أبو محمد عبد الواحد بن محمد بن علي بن أبي السداد الباهلي المالقي الأندلسي(ت٧٠٥هـ)[٥]؛ "الدرّ النثير شرح التيسير"[٦](مطبوع).

- أبو القاسم بن عثمان بن يوسف الصفراوي (ت ٦٣٦هـ)[٧]؛ "كتاب الإعلان"[٨].

-أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجيّاني الأندلسي النحويّ[٩] (ت٦٧٢)؛ " الدالّية " أو "المالكية في القراءات السّبع"[١٠].

- علم الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد السخاوي[١١] (ت٦٤٣هـ)؛ "جمال القراء وكمال الإقراء"[١٢](مطبوع).

- أبو عبد الله محمّد بن محمد بن إبراهيم الأموي الشريشي المعروف بالخرّاز[١٣]؛ "مورد الظمآن في رسم القرآن"[١٤](مطبوع).

١- انظر ترجمته في: معرفة القراء، ج١، ص٤٩٤.

٢- الغيث، ص١٩، ٣٢، ٨٩ن ١٠٠، ١٢٧، ١٤٥، ١٦٨.

٣- انظر ترجمته في: معرفة القراء، ج٢، ص٥٤٢؛ غاية النهاية، ج١، ص١٢٣.

٤- الغيث، ص ١٩، ٢٨، ٣٢، ٣٤، ٥٢، ٩٦، ١٠١، ١٢٧، ١٤٥، ١٥١.

٥- انظر ترجمته في: غاية النهاية، ج١، ص٤٧٧.

٦- الغيث، ص١٧.

٧- انظر ترجمته في: غاية النهاية، ج١، ص٣٧٣.

٨- الغيث، ص٢١، ١٦٣.

٩- غايةالنهاية ج٢، ص١٨٠.

١٠- الغيث، ٢١، ١٥١، ١٥٧.

١١- معرفة القراء، ج٢، ص٦٣١؛ غايةالنهاية ج١، ص٥٦٩.

١٢- الغيث، ص١٣، لم يصرح الصفاقسي أنها من جمال القراء بينما صرح بها بن الجزري، انظر: النشر، ج١، ص٢٦٦؛ وانظر أيضا الغيث، ص١٨٩.

١٣- الخرّاز: هو ممّن أدرك أوّل القرن الثامن، انظر: غاية النهاية، ج٢، ص٢٣٧، الأعلام، ج٧، ص٣٣؛ دليل الحيران على مورد الظمآن، المارغني، ص ١١.

١٤- الغيث، ص١١٨.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- أبو إسحاق إبراهيم بن عمر الجعبري (ت٧٣٢ هـ)[١]؛ "شرح العقيلة في الرسم"[٢].

فهذه هي الكتب التي نقل عنها في كتاب الغيث، أو عزا إليها؛ وليست كلّها في درجة واحدة من اعتماد الشيخ الصفاقسي عليها، فإنّ منها من لم يرد إلا مرة واحدة، وأغلب ما تذكر هذه الكتب عند عزو بعض الوجوه إلى روّاتها؛ وقليلا ما يذكر المؤلف منها عبارات ونصوص صريحة.

وأغلب الظنّ أنّ كثيرا من هذه الكتب، لم ينقل عنها المؤلّف مباشرة، بل اعتمد على كتاب النشر لابن الجزري - رحمه الله تعالى - ويدلّ على ذلك قوله:" وربّما أعتمد في العزو عليه"[٣].

كما أنّك بتتبع المواضع التي ذكرها تجد أنّ الصفاقسي، ذكرها بنفس ترتيب النّشر مما يدلّ على ما قلت، ولا ينفي ذلك أن يكون اعتمد نصّها في بعض الأحيان والله أعلم.

ثانيا: الشاطبية وشروحها

إنّ قصيدة الشاطبي المسماة بـ:"حرز الأماني ووجه التهاني"، والتي اشتهرت بأسماء أخرى كالشاطبية، أو الشاطبية الكبرى، أو القصيد؛ تعتبر أهمّ نظم في القراءات على الإطلاق؛ إذ لم يظهر بعدها ولا قبلها ما يدانيها، على كثرة ما ظهر من المنظومات في الفنّ، حاشا الجزريّتين: الدرة والطيبة؛ وشهرة هذه القصيدة تغني عن إطالة الكلام عنها.

وهذه القصيدة هي من أهمّ مصادر الكتاب، بل أهمّ مصادره، إذ مبناه إنّما هو عليها؛ فقد قال المؤلّف:" فاستخرت الله في تأليف كتاب، أبيّن فيه القراءات السبع التي ذكرها الأستاذ أبو محمد القاسم الشاطبي غاية البيان"[٤]؛ ولهذا فإنّ المؤلف كثيرا ما يورد أبياتا من هذه القصيدة بنصّها، وفي بعض الأحيان يشير إلى معانيها دون نصها.

١- انظر ترجمته في: معرفة القراء، ج١، ص٧٤٣.

٢- الغيث، ص١١٣، ١١٨، ١٧٢.

٣- الغيث، ص١١.

٤- الغيث، ص٣.

وقد تعاقب أئمة القراءة على شرح هذه القصيدة، بل إنّ التأليف فيها لم يتوقف من ظهورها إلى يومنا هذا؛ وقد ذكر بعض الباحثين لهذه القصيدة حسب ما تتبعه مائة وسبعة عشر تأليفا، ما بين شرح وحاشية، سوى ما كتب في زوائدها وتكملاتها.

وقد أفاد الشيخ النوري - رحمه الله تعالى- من شروح الأئمة لهذه القصيدة، وجملة ما صرح به من هذه الشروح ثماني شروح، وهي:

١-"فتح الوصيد في شرح القصيد"[١]؛ لعلم الدين أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد السخاوي أجل تلاميذ الشاطبي (ت٦٤٣هـ)[٢](مطبوع).

٢-"اللآلئ الفريدة في شرح القصيدة"[٣]؛ لأبي عبد الله محمد بن الحسن الفاسي نزيل حلب (ت٦٥٦هـ) [٤](مطبوع).

٣- إبراز المعاني من حرز الأماني[٥]؛ لعبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي المعروف بأبي شامة(ت٦٦٥هـ)[٦] (مطبوع).

٤- "كنز المعاني في شرح حرز الأماني"[٧]؛ لأبي إسحاق إبراهيم بن عمر الجعبري (ت٧٣٢هـ)[٨] (مطبوع).

٥- شرح باب وقف حمزة وهشام من الحرز[٩]، للحسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي المعروف بابن أمّ قاسم (ت٧٤٩هـ)؛ وله أيضا شرح على الشاطبية.

٦- سراج القاري المبتدي وتذكار القاري المنتهي[١]؛ لعلي بن محمد بن عثمان المعروف بابن القاصح العذري (ت٨٠١هـ) (مطبوع).

١- الغيث، ص١٩، ٢٠، ٢١..

٢- انظر ترجمته في: معرفة القراء، ج٢، ص٦٣١؛ غايةالنهاية، ج١، ص٥٦٨.

٣- الغيث، ص٢١، ٣٠، ٨٧، ٩٩.

٤- انظر ترجمته في: معرفة القراء، ج٢، ص٦٦٨؛ غاية النهاية، ج٢، ص١٢٣.

٥- الغيث، ص ١٢، ٥٠، ١٠٤٣، ١٠٨، ١٢٣، ١٣٩، ١٥٢، ١٦٤، ١٦٧.

٦- معرفة القراء، ج٢، ص٦٧٣؛ غاية النهاية، ج١، ص٣٦٥.

٧- الغيث، ص١٢، ١٣، ١٤، ١٦، ٢١، ٢٤، ٢٥، ٣٢، ٣٧، ٤١، ٤٤، ٥٢، ٥٩، ٦١، وغيرها؛ أما ذكره عند آخر السور في عد المدغم فهو في كل سورة تقريبا.

٨- انظر: غاية النهاية، ج١، ص٢١.

٩- الغيث، ص٢٩، ٤١، ٥١، ٥٥، ١١٩؛ وكل هذه المواضع أوردها عند كلامه على وقف حمزة وهشام، وصرّح في موضع منها أنها من شرحه المفرد على باب وقف حمزة وهشام.

٧- شرح الشاطبية[٢]؛ لشهاب الدين أبي العباس أحمد بن أسد الأسيوطي المعروف بابن أسد، أحد تلاميذ ابن الجزري (ت٨٧٢هـ)[٣].

٨- "إنشاد الشريد من ضوالّ القصيد".لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن غازي العثماني المكناسي (ت٩١٩هـ)[٤] (مطبوع).

والملاحظ أنها كلها قبل ابن الجزري إلا الأخيرين، وقد أسند ابن الجزري الشروح الأربع الأولى في مقدمة كتابه النشر، ممّا يدل على أهميتها ومكانتها من بين الشروح الكثيرة.

وأكثر هذه الشروح تكررا في الكتاب هو شرح الجعبري؛ فقد تكرّر اسمه في الكتاب أكثر من عشرين مرّة، تارة ينقل عنه بالنّص وأخرى بالمعنى، هذا سوى المواضع التي يذكره فيها في أواخر السور، عند ذكر عدد المدغم، وأغلبها في نقده، وقد أفاد الشيخ من هذا الشرح مباشرة، ولم يعتمد في ذلك على ابن الجزري؛ كما يظهر من تتبّعه في عدد المدغم وردّ الكثير من أقواله، في آخر كل سورة من القرآن؛ وهو شيء لم يفعله ابن الجزري.

ويليه شرح أبي شامة، وهو سابق لابن الجزري أيضا، إلاّ أن احتمال وساطته فيه ضعيف لقول المؤلّف:" ﴿ فُؤَادَ ﴾[القصص/١٠] لا يبدله ورش لأنّه عين؛ ووقع في بعض نسخ أبي شامة عدُّه من أمثلة ما يُبدَل، وهو وهم"[٥]، فهذا يؤكّد اطّلاعه على هذا الشرح؛ وكذلك الحال مع شرح ابن القاصح، فإنّ المؤلّف نبّه إلى شهرته، وتداوله بين الطلبة في عصره؛ بل إنّه همّ بوضع تأليف خاصّ في تتبّع أوهامه، كما مرّ ذلك عند ذكر مؤلّفاته في الفصل الأول؛ وهذا ما يؤكّد أنّ الإفادة منه كانت مباشرة أيضا؛ والله أعلم.

١- الغيث، ص٥٩، ٦٩، ٢٤.

٢- الغيث، ص٨٠.

٣- الضوء اللامع، ج١، ص٢٢٧، هداية القارئ، ج٢، ص٧٨٧.

٤- الغيث، ص٣، ١٧، ٥٩، ١٠٥.

٥- الغيث، ص ١٢٣.

أمّا السخاوي فليس هناك ما يؤكّد، أو ينفي أخذه منه مباشرة؛ و إلاّ فإنّ المواضع التي ذكرها على قلّتها مذكورة في النشر، إلاّ موضعا واحدا، وهو مذكور في شرح ابن القاصح[١].

هذا والظاهر من بعض كلام المؤلّف، أنّه اعتمد غير هذه الشروح؛ مثل قوله:"...وتابعه الكثير من شرّاحه"[٢] ونحوها من العبارات، ثمّ هو لم يصرّح بأغلب هذه الشروح إلاّ في مواضع قليلة جدّا؛ ولا يمكن القول أنّ الإفادة من تلك الشروح اقتصرت على تلك المواضع التي صرّح بها فقط.

ثالثا:كتب الإمام ابن الجزري

لم يكن المؤلف أوّل من اعتمد أقوال ابن الجزري وتحقيقاته، بل إنّ جل المصنّفين بعده اعتمدوا كلام هذا الإمام، مع التّفاوت بينهم في قوّة اعتماده، وكثرة الإفادة والنقل عنه؛ وذلك نظرا لما يتمتّع به هذا الإمام، من الدقّة والتحقيق والغوص في هذا العلم؛ فهو حقّاً إمامه، وقد نوّه الشيخ الصفاقسي بما لهذا الإمام من المكانة فقال عنه:" محقق هذا العلم بلا نزاع بين العلماء"[٣]؛ و لم يقتصر المؤلّف في اعتماده على ابن الجزري فيما اختاره وحقّقه، بل جاوز إلى اعتماده كمصدر، لنقل أقوال من تقدّمه من المصنّفين، أصحاب الكتب والشّروح؛ يقول الشيخ النّوري رحمه الله تعالى:" وربما أعتمد في العزو عليه"؛ و لم يكن هذا من الشيخ عن تقليد لمن سبقه، بل عن تتبّع منه لهذا الإمام قال:" لأنّي تتبّعته في كثير من المواضع، فوجدته في غاية من الصدق، والضبط والإتقان "[٤].

وقد عوّل الصفاقسي من بين كتب هذا الإمام، على كتاب النشر في القراءات العشر، "الذي عزّ على الزمان أن يأتي بمثله، و عجزت الأقلام عن حصر فضله وكان

١- قارن ص١٣، ١٩، ٢٠، من الغيث، بالنشر ج١، ص٤٤٣، ج٢، ص٧٥ على الترتيب، والغيث، ص٢١، سراج القاري، ص٧١.

٢- الغيث، ١٠٤.

٣- الغيث، ص١١.

٤- الغيث، ص١١.

حقيقا أن تشدّ إليه الرحال، لما حواه من صحيح المنقول وفصيح الأقوال "[١]؛ واعتماده عليه كما قلت من ناحيتين:

الأولى : في نقل أقواله وتحقيقاته في مسائل هذا العلم.

الثانية: في عزو الأقوال والمذاهب الأدائية إلى أصحابها، وروّاتها من المصنفين في هذا العلم.

ولست في حاجة هنا إلى ضرب أمثلة عن ذلك لكثرتها البالغة.

وقد ورد في الغيث ذكر لبعض الكتب الأخرى لابن الجزري، ولكنّها في مواضع معدودة لم تبلغ ما بلغه النشر؛ وهي: طيبة النشر في القراءات العشر، وتقريب النشر، والدرّة المضية في القراءات الثلاث المرضية، وتحبير التيسير في القراءات السبع، وغاية النهاية في طبقات القرّاء[٢].

رابعا: مصادره ممّا كتب بعد الإمام ابن الجزري

ذكر المؤلف منها عدة كتب، وهي على ترتيب وفيات أصحابها كالآتي:

-"شرح طيبة النشر في القراءات العشر"؛ لأبي القاسم محمد بن محمد بن محمد بن علي النويري (ت٨٥٧هـ)[٣] (مطبوع).

- "شرح الدرّة"[٤]؛ لمحمد أبي القاسم النويري (ت ٨٩٧هـ)[٥] (مطبوع).

-" المكرّر في ما تواتر من القراءات السبع وتحرّر"، و" البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة"[٦]؛ كلاهما لسراج الدين عمر بن قاسم الأنصاري الشهير بالنّشار(ت٩٠٧هـ) (مطبوعان).

١- من مقدمة الشيخ علي الضباع لكتاب النشر، الصفحة: ب.

٢- الغيث، ص٢١، ١٤١، ١٤٥.

٣- الغيث، ص٥.

٤- الغيث، ص١٥.

٥- النويري هو من كبار المقرئين، والفقهاء المالكيين في وقته؛ أخذ عن الشيخ محمود الإسفراييني عن ابن الجزري؛ وشرحه مطبوع بتحقيق عبد الرافع بن رصوان، انظر: هداية القاري، ج٢، ص٧٨٢،٧٨١.

٦- الغيث، ص٣، ٧٤.

- "لطائف الإشارات إلى فنون القراءات"[١]؛ لأبي العبّاس أحمد بن محمّد بن أبي بكر القسطلاني(ت٩٢٣هـ) (جزء منه مطبوع).

- "مسعف المقرئين ومعين المشتغلين بمعرفة الوقف والابتداء "[٢]؛ لمحمد القادري[٣].

- "أجوبة المسائل العشرين"، و" الجوهر المصون في جمع التكبير من الضحى إلى قوله تعالى﴿وأولئك هم المفلحون﴾[البقرة/٠٤]"[٤]؛ كلاهما لسلطان بن أحمد بن سلامة المزاحي(ت١٠٧٥هـ) (مطبوعان).

-" علم النصرة في قراءة إمام البصرة"[٥]؛ لأبي زيد عبد الرحمن ابن القاضي(ت١٠٨٢هـ) (مطبوع).

ويضاف إلى هذا أيضا، ما ذكره من مؤلّفات شيخه التي قرأها عليه؛ وهي تأليفان منظومان: مقصورته[٦]، ومنظومته في أحكام آلان، وقد ورد ذكر الأخيرة بتمامها في موضعها من سورة يونس[٧]، أما الأولى فقد ذكر منها الشيخ في كتابه ثلاثة وعشرين بيتا في مناسبات مختلفة.

هذه مصادره في فنّ القراءات، وهي المصادر الأوليّة في تكوين مادة الكتاب، هذا مع تفاوتها في درجة اعتماد الشيخ عليها كثرة وقلّة؛ وهناك مصادر ثانوية لم يكن منها بدّ في إكمال المصادر الأوليّة، ومدّها بما تحتاج إليه، مثل بعض كتب علوم القرآن والحديث والفقه والتفسير واللغة؛ وهي قليلة ذكرت في مواضع مخصوصة من الكتاب؛ أشار إليها المؤلف بإيجاز شديد، ومن هذه المواضع القليلة:

اقتباسه من بعض كتب الفقه، عندما تكلّم عن حكم القراءة بالشاذّ من القراءات، وحكم الاستعاذة والبسملة، وعند الكلام عن دعاء ختم القرآن في آخر كتابه؛ ومن

١- الغيث، ص٦، ١٣، ١٤، ٦٤، ١١٨، ١٤٩، ١٨٣.

٢- الغيث، ص٤٨، ٥٢، ٨٦، ٩١، ٩٤، ٩٦.

٣- لم أجد له ترجمة، وذكر هذا الكتاب وصاحبه، الأبياري، تأريخ القرآن، ص١٥٣.

٤- الغيث، ص٢٤، ٣٠، ٤٢، ٩٥، أما رسالته في التكبير فورد ذكرها، ص١٧٨.

٥- الغيث، ص٢١، ٥٣، ٦١، ٩٦، ١١٣، ١٢٤.

٦- الغيث، ص ٩، ٢٠، ٤١، ٦٠، ٩٣، ١٠١، ١١٣، ١٦٠، ١٦١.

٧- الغيث، ص ٧٨، ٧٩، وأبياتها في هذه الطبعة مبعثرة كما سبق التنبيه على ذلك في الفصل السابق.

الكتب التي اقتبس منها في هذه المواضع: المدوّنة[١]، ومختصر ابن الحاجب[٢]، وشرح المنهاج في الفقه الشافعيّ للمحلّي[٣]، التبيان في آداب حملة القرآن"للنووي[٤]، وغيرها.

أما اقتباسه من بعض كتب اللّغة والتفسير؛ فقد ذكر المؤلّف بعضها عند تصدّيه لتوجيه بعض القراءات المشكلة، والردّ على من طعن فيها؛ أذكر من هذه الكتب:

البحر المحيط[٥] لأبي حيان الأندلسي[٦]، والكشّاف[٧] للزّمخشري[٨]، وهو لا يذكره إلا للردّ عليه، لموقفه السلبي من بعض القراءات، وإعراب القرآن المجيد لبرهان الدّين الصفاقسي[٩]، و جمع الجوامع وشرحه للسيوطي، والاقتراح في أصول النحو له أيضا[١٠]، والقاموس المحيط[١١] لمجد الدّين الفيروز آبادي[١٢]، وغير ذلك.

وعلى العموم فإن مصادر المؤلّف في غير فن القراءات قليلة، وهي مع قلّتها لم ترد إلا في إشارات وجيزة، وهذا لأنّ المؤلّف لم يطوّل كتابه بالمناقشات الخارجة عن صميم هذا العلم، مثل بعض المسائل اللّغوية والفقهية.

١- الغيث، ص٥.

٢- هو عثمان بن عمر بن ابي بكر بن يوسف أبو عمرو جمال الدين ابن الحاجب مقرئ فقيه مالكي من كبار علماء العربية والأصول (ت ٦٤٦هـ)؛ معرفة القراء، ج١، ص ٦٤٨.

٣- الغيث، ص١٣، و هو وشارحه المحلّي هو: محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم المحلي، الشافعي أصولي مفسر، من مصنفاته: التفسير الذي أكمله السيوطي، شرح المنهاج للنووي ، البدر الطالع في حلّ جمع الجوامع، وغيرها؛ (ت ٨٦٤هـ)، انظر: الأعلام، ج٥، ص٣٣٣.

٤- الغيث، ص١٢٠.

٥- الغيث، ص ١٧، ١١٣، ١٢١، ١٤٨، ١٥٢، ١٦٦.

٦- هو: محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، الغرناطيّ الأندلسيّ؛ المفسّر المحدّث اللّغوي النّحوي المقرئ؛ صاحب البحر المحيط، ومختصره النهر الماد، وصاحب عقد اللآلي في القراءات السبع العوالي منظومة في القراءات على وزن الشاطبية ودون رمز، (ت٧٤٥هـ)؛ انظر: معرفة القراء، ج٢، ص٧٢٣؛ غاية النهاية،ج٢،ص٢٨٥.

٧- الغيث، ص١٧، ٦٣، ٦٤، ١٣٥.

٨- الزمخشري هو: محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي، الزّمخشري، أبو القاسم، الملقّب بجار الله؛ لغويّ، مفسّر معتزليّ؛ ممن أشهر كتبه: تفسيره الكشّاف، ومعجم أساس البلاغة؛ (ت ٥٣٨هـ)؛ انظر: السير، ج٢٠، ص١٥١.

٩- الغيث، ص٥٠، ١٢٦، ١٤٨، ١٥٢.

١٠- الغيث،ص٦٣،٣٣.

١١- الغيث، ص٤، ١٠٩.

١٢- والفيروز آبادي هو: محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر أبو طاهر مجد الدين الشيرازي الفيروزابادي؛ من أئمة اللّغة والأدب والتفسير؛ أشهر كتبه القاموس المحيط، (ت٨١٧هـ)، انظر: السيوطي، بغية الوعاة، ج١، ص٢٧٣.

المطلب الثاني:

طريقة إفادته من المصادر وموقفه منها

لاشك أن لطريقة التعامل مع المصادر أهمية بالغة، خاصّة فيما يتعلق بالأمانة العلمية، والدقّة في نقل النصوص وعزوها، وقد اتُّهِم بعض العلماء بالسرقة لإهمالهم آداب النقل والإفادة، من عزو الأقوال والآراء إلى أصحابها، والدقّة في النقل إن كان حرفيا، و في الاختصار إن كان نقلا لمعنى أو فكرة، وسأحاول هنا بيان ما كان من منهج الشيخ النوري في هذا.

أولا: طريقته في النقل من المصادر

١- النقل الحرفي:

نقل المؤلف كثيرا من الأقوال حرفيا، ونصّ على ذلك في كثير من المواضع، وكان أغلب استعماله لهذه الطريقة مع كلام ابن الجزري في نشره، فقد حرص المؤلف على نقله بتمامه، ويلحق به أيضا أقوال الإمام أبي عمرو الداني في التيسير وغيره من الكتب، أما المناسبات التي يورد فيها هذه الأقوال، فأكثر ما كانت عند تحقيق المسائل التي يقع فيها الخلاف، وعند تحرير أوجه القراءات، وخاصة إذا ما تعلق الأمر بمناقشة الشاطبي في بعض كلامه، فإن المؤلّف يكثر من إيراد النصوص عن ابن الجزري والداني، بل وغيرهما إن استدعى الأمر ذلك، ومن أمثلة ما نقله عن غير الداني وابن الجزري في هذا الباب :

-"-﴿ءَأَمَنتُم﴾[الأعراف/١٢٢]،... وقول ابن القاصح تبعا للجعبري وغيره:"من أبدل لورش الهمزة الثانية في نحو﴿ءَأَنذَرتَهُم﴾[البقرة/٠٥]، ألفا أبدلها أيضا هنا، يعني في ﴿ءَأَمَنتُم﴾ ألفا، ثم حذفها لأجل الألف التي بعدها فتبقى قراءة ورش بوزن قراءة حفص بإسقاط الهمزة الأولى، فلفظها متحد، ومأخذهما مختلف،ولا تصير قراءة ورش بوزن قراءة حفص إلا إذا قصر ورش أما إذا قرأ بالتوسط أو بالمد فيخالفه انتهى. مردود بالنص والنظر

....قال ابن الباذش في الإقناع:ومن أخذ لورش في :﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾[البقرة/٥٠]بالبدل[١] لم يأخذ هنا إلا بين بين"[٢].

-"قال الجعبري: والتعميم أثبت لقول خلف لم يستثن الكسائي شيئا"[٣]يعني في إمالة هاء التأنيث.

-قال الصفاقسي في حكم إمالة كلمة ﴿تَتْرَا﴾[المومنون/٤٤] للبصري:"قال شيخ شيوخنا[٤] في علم النصرة: والعمل عندنا على الإمالة في الوقف، وبه الأخذ كما ذهب إليه الشاطبيّ"[٥].

وهذا كثير جدّا يصعب استقصاؤه، واستعمل المؤلّف هذه الطريقة أيضا عند نقل النصوص المراد نقدها وبيان ما فيها بتفصيل.

والمؤلّف لا يكتفي في بعض الأحيان بمجرّد نقل الكلام عمن تقدّمه، بل يزيد فيوضّح بعض ما في الكلام من إبهام، ويفسّره، أو يعلّق عليه ويبين وجه الاستشهاد به، ومن أمثلة ذلك:

١- قوله:"قال المحقق[٦]: والعارض المشدد نحو﴿أَلَّيْلَ لِبَاسًا﴾[النبأ/١٠]، و﴿فَعَلَ رَبُّكَ﴾[الفجر/٠٦]،﴿أَلَّيْلُ بَرَءَا﴾[الأنعام/٧٧]، ﴿بِالْخَيْرِ لَقُضِىَ﴾[يونس/١١] عن أبي عمرو في الإدغام الكبير هذه الثلاثة الأوجه سائغة فيه كما تقدم آنفا في العارض..." قال الشيخ النوري:" وقوله تقدّم هو قوله: وأما الساكن العارض غير المشدد... فقد حكى فيه الشاطبي وغيره من أهل الأداء، ثلاثة مذاهب الإشباع والتوسط والقصر "[٧].

١- يعني إبدال الهمزة الثانية ألفا.

٢- الغيث، ص٦٩، وانظر، الإقناع، ج١، ص٣٦٢؛ سراج القاري، ص٤٠، ٤١.

٣- الغيث، ص٢١.

٤- هو أبو زيد ابن القاضي

٥- الغيث، ص١١٣.

٦- سبق أنه يعني به ابن الجزري.

٧- الغيث، ص٢٤، ٢٥.

٢-قوله:" قال المحقق فيه: وروى بعضهم عنه أي: عن هشام، الحذف في الحالين، ولا أعلمه نصّا من طرق كتابنا لأحد من أئمتنا وكلا الوجهين، يعني: الحذف والإثبات، صحيحان عنه، أي: عن هشام، نصا وأداء حالة الوقف؛ وأمّا حالة الوصل فلا آخذ بغير الإثبات من طرق كتابنا "[١].

- وقال:"وقد نظم جميع ذلك العلاّمة ابن أم قاسم المعروف بالمرادي، في شرح باب وقف حمزة وهشام على الهمز من الحرز، فقال:

فِي شَيْءٍ المَرْفُوعِ سِتَّةُ أَوْجُهٍ ... نَقْلٌ وَإِدْغَامٌ بِغَيْرِ مُنَازِعِ
وَكِلاَهُمَا مَعْهُ ثَلاَثَةُ أَوْجُهٍ ... وَالحَذْفُ مُنْدَرِجٌ فَلَيْسَ بِسَابِعِ
وَيَجُوزُ فِي مَجْرُورِهِ هَذَا سِوَى ... إِشْمَامِهِ فَامْنَعْ لأَمْرٍ مَانِعِ
وَالنَّقْلُ وَالإِدْغَامُ فِي مَنْصُوبِهِ ... لاَ غَيْرُ فَافْهَمْ ذَاكَ غَيرَ مُدَافِعِ

وقوله: "والحذف مندرج" أي: وجه سكون الياء على تقديرين: إمّا أن نقول نقلت الحركة إلى الياء ثم سكنت للوقف، أو حذفت الهمزة على التخفيف الرسمي فبقيت الياء ساكنة، فاللفظ متّحد؛ و[إن كان السكون][٢] فيه على القياسي غيره على الرسميّ، إذ هو على القياسي عارض للوقف، وعلى الرسميّ أصليّ..."[٣].

وإذا تصرّف المؤلّف في كلام المصدر بحذف أو بزيادة، فإنّه ينبّه إلى ذلك، ومن أمثلته:

-قوله:" قال المحقق:أجاز النحاة النقل بعد الساكن الصحيح مطلقا، ولم يفرقوا بين ميم الجمع وغيرها، ولم يوافقهم القرّاء على ذلك، فأجازوه في غير ميم الجمع؛ وهذا هو الصحيح الذي قرأنا به وعليه العمل. انتهى مختصرا"[٤].

٢- النقل بالمعنى والفكرة:

١- الغيث، ص٧١، ٧٢.

٢- مخطوط (نسخة مصوّرة على قرص صلب)، بمتحف سيرتا بقسنطينة ، الجزائر ،دون رقم، لوحة ٣٩/أ؛ وهو في المطبوع بهذه العبارة:"وأن السكون".

٣- الغيث، ص٢٩.

٤- الغيث، ص٤٤، وانظر أمثلة أخرى :ص٦٠، ٨٦.

يظهر اعتماد هذه الطريقة بوضوح عند عزو الأوجه إلى روّاتها من أصحاب الكتب، كابن مهران، ومكي، والمهدوي، وأبي العلاء الهمذاني، وغيرهم ممن اعتمدت مؤلفاتهم في هذا الفنّ، وهو موضع يصعب فيه العزو بغير هذه الطريقة، لكثرة من يعزو إليهم، وتواردهم في الموضع الواحد.

وأمثلته:

١- "...و إلاّ فالإدغام ثابت كما ذكره الداني في جامعه، والطبريّ، والصفراويّ وغيرهم"(١).

٢- قال عن إبدال ثاني الهمزتين من كلمة لورش:" وقطع به غير واحد منهم، كابن سفيان، والمهدوي، وصاحب التجريد، وقال مكي وابن شريح إنّه الأحسن"(٢).

٣- وفي قوله تعالى:﴿مَرۡيَمَ﴾[آل عمران/٣٦] قال الصّفاقسي:" الذي عليه جمهور المحقّقين، وعليه العمل في سائر الأقطار، وهو القياس الصحيح، وغلّط الداني من قال بخلافه؛ تفخيم الرّاء، وذهب مكّي والمهدوي وابن شريح والأهوازي وغيرهم إلى الترقيق؛ وذهب ابن بليمة وغيره إلى التفصيل، فيأخذون بالترقيق من طريق الأزرق، وبالتفخيم لغيره"(٣).

وقد يستعمل هذه الطريقة في غير هذا الموضع ومن أمثلته:

١-قال:"ومن المعلوم كما ذكره الجعبري والأهوازي وغيرهما، أنّ الثّابت من الحركة حال الاختلاس أكثر من الثابت حال الرَّوم..."(٤).

٢- قال:"وأما ما ذكره الشيخ سلطان بن أحمد المزاحي من منع بعض هذه الوجوه، ففيه مخالفة لما ذكره هو نفسه في نظائرها، فليتأمّل"(٥).

٣- قال:"والمراد بالإشمام هنا ضمّ الشّفتين عقب النطق بالدال الساكنة على ما ذكره مكّي والدّاني وعبد الله الفاسي وغيرهم..."(١).

١- الغيث، ص٢١.

٢- الغيث، ص٢٣.

٣- الغيث، ص٤٢.

٤- الغيث، ص٦١.

٥- الغيث، ص٩٥.

٤- قال:"... وهو معنى قوله:

ولكن رؤوس الآي قد قلّ فتحها.....

أي: فتحها ورش فتحا قليلا أي: بين بين؛ وعلى هذا حمله أبو شامة وكثير من حذّاق شراحه"[٢].

ولم يقتصر استعماله لهذه الطريقة على ما ذكرت، فقد كان يعزو بهذه الطريقة في مناسبات أخرى، كأن يكون المصدر المنقول منه سيق في جملة مصادر لها نفس الفكرة والمعنى.

أمّا طريقة نقله من حيث كونه مباشرا عن المصدر، أو بوسائط؛ فقد استعمل المؤلف كلتا الطريقتين، وأكثر المصادر التي استعملها في هذا كتاب النشر، وقد نبّه المؤلّف إلى هذا في المقدمة فقال: "وربما أعتمد في العزو عليه، لأنني تتبعته في كثير من المواضع فوجدته في غاية من الصدق، والضبط، والإتقان؛ فما لم يوجد في الأصول التي نقلنا منها ولا في كلامه، فالدّرك عليَّ؛ وما هو في كلامه دون أصوله فالدرك عليه لا عليَّ، ولا أظنّ ذلك يوجد أبدا"[٣]؛ وتحديد نوعي النقل ممّا يصعب إلاّ في بعض المواضع، لأنّ ذلك يحتاج إلى مقارنة دقيقة بين المصادر الأصلية والفرعيّة.

ومن أمثلة نقله المباشر ما نقله عن الإمام الداني، و ابن الجزري في النشر فقد أكثر من هذا.

أمّا ما استعمل فيه الوسائط فهو أيضا كثير ومن أمثلته:

١- في حكم الإدغام في قوله تعالى:﴿طَلَّقَكُنَّ﴾[التحريم/٥]قال:" على أحد الوجهين وهو مختار الداني، قال:"لأنّه اجتمع فيه ثقلان ثقل الجمع، وثقل التأنيث، فوجب أن يخفف بالإدغام"؛ والطريق الآخر الإظهار، وهو رواية العراقيين عن السوسي، لأنّ الإدغام يؤدّي إلى اجتماع ثلاث مشدّدات: اللام، والكاف، والنون؛ وبالوجهين قرأ

١- الغيث، ص٩٩؛ وانظر: مكي القيسي، ج٢، ص٥٤.

٢- الغيث، ص١٠٤، الشاطبية، ص٢٦.

٣- انظر الغيث، ص٤٧، من الطبعة المصححة من الشيخ الضباع، أما طبعة د الفكر، لسنة: ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، فقد وقع في العبارة سقط لا يفهم الكلام من دونه. انظر ص١١.

الداني"[١]، فقد نقلها من النشر مختصرة بهذا الشكل[٢]، وأمّا نصّ الداني فهو:"لثقل الجمع والتأنيث"[٣].

٢- قوله:" قال المحقق:لا خلاف في استثناء ﴿يُؤَاخِذُ﴾ ورواة المد مجمعون على استثناءه قال الداني في إيجازه: أجمع أهل الأداء على ترك زيادة التّمكين للألف في: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ﴾[البقرة/٢٢٣] و﴿لَا تُؤَاخِذْنَا﴾،[البقرة/٢٨٥] و﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ﴾[فاطر/٤٦] حيث وقع، وكأنّ ذلك عندهم من واخذت غير مهموز، وقال في المفردات: وكلّهم لم يزد في التمكين الألف في قوله تعالى:﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ﴾ وبابه؛ وكذلك استثناها في جامع البيان و لم يحك فيها خلافا؛ وقال الأستاذ أبو عبد الله القصّاع: وأجمعوا على ترك الزيادة للألف في ﴿يُؤَاخِذُ﴾ حيث وقع، نصّ على ذلك الدّاني ومكّي وابن سفيان وابن شريح"[٤].

ثانيا: طريقته في عزو الأقوال إلى أصحابها

لم يتبع المؤلف طريقة واحدة في ذلك، بل كان كلامه في ذلك عشوائيا فتارة يذكر المؤلف وكتابه، وتارة يقتصر على الأول، وتارة على الثاني؛ وربما أبهم المصدر تماما، فيقول قال بعضهم ونحوها من العبارات؛ وإليك مثالا لكل حالة:

- فمما ذكر فيه الكتاب ومؤلّفه:" ابن أم قاسم المرادي في شرح باب وقف حمزة وهشام من الحرز"[٥]؛ "سبط الخياط في مبهجه و أبو العلاء في غايته"[٦]؛ "قال شيخ شيوخنا في علم النصرة "[٧]؛ " قال مكي في الكشف"[٨]، وغيره ذلك.

١- الغيث، ص١٦٤، ١٦٥

٢- النشر، ج١، ص٢٨٦.

٣- التيسير، ص٣٠.

٤- الغيث، ص٣٥؛ النشر، ج١، ص٣٤٠.

٥- الغيث، ص٢٩.

٦- الغيث، ص٣٢.

٧- الغيث، ص١١٣.

٨- الغيث، ص١١٣.

- وممّا ذكر فيه الكتب دون مؤلّفيها:"قال في النزهة"[١]؛ "صاحب الإرشاد"[٢]؛ "المسعف"[٣]؛ "المرشد"[٤].

- وممّا ذكر فيه المؤلفين دون مؤلّفاتهم:" قال القسطلاني"[٥]؛ "نظم المرادي"[٦]؛ "أبوحاتم والزجّاج والعماني"[٧]؛ " قال القيسي"[٨]؛ "قال الجعبري"[٩].

إلاّ أنّ هنا أمرا ينبّه إليه، وهو أنّ المؤلف إذا ذكر ابن الجزري بالإطلاق فإنّما يعني به النّشر، وكذا الحال مع الداني فإنّه يعني به التيسير.

وعندما يطلق الداني عند الكلام في الوقف فيعني به المكتفى، وهذا في غالب الأحوال وربّما وقع خلاف هذا.

وكثيرا ما يذكر المؤلّف كلاما بنصّه، أو بشيء من الاختصار دون عزو لأحد، ممّا يوهم أنّه من كلامه مثل كلامه في مقدّمات كتابه، فقد نقل من النشر و لم يصرح بكثير ممّا أخذه، وهذا مخل بالأمانة العلمية في نظر الكثيرين، ولكن يمكن الاعتذار له بأنه قد تصرف فيه فلذلك لم يعزه.

ثالثا: موقفه من المصادر

اختلفت مواقف المؤلف من مصادره، فكان لبعضها متوجّها بالتّعظيم، والإجلال، والتّأييد لما فيها من أقوال، وللبعض الآخر ناقدا وممحّصا، لما اكتنفها من خروج - في بعض المواضع- عن سواء السبيل؛ فكان يؤيّد هذا وينصر قوله، وينقد هذا ويُبِينُ عمّا في قوله من خطأ، ماشياً في ذلك على أساليب بيانها كالتّالي:

١- الغيث، ص٣٢.
٢- الغيث، ص٢٨.
٣- الغيث، ص٥٢.
٤- الغيث، ص٨٢.
٥- الغيث، ص٦٤.
٦- الغيث، ص٥٤.
٧- الغيث، ص ٤٥.
٨- الغيث، ص ٤٠.
٩- الغيث، ص١٠٦، ٩٧، ٩٣.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- قد يذكر المؤلّف القول الذي يختاره، ثمّ يتبعه بما قاله الأئمّة من قبل، ليقوّي به كلامه ومن أمثلته:

-قوله:" لا وجه لتخصيص الدّاني ومتابعيه إمالة﴿يُوَارِي﴾ [المائدة/٣٣] و﴿فَأُوَارِيَ﴾ [المائدة/٣٣] على طريقة الضرير بالعقود؛ بل الذي بالأعراف وهو﴿يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ﴾[الأعراف/٢٥]كذلك؛ قال المحقق: تخصيص المائدة دون الأعراف، هو ممّا انفرد به الداني..."[١].

-قوله:"﴿كِتَابِيَهْ إِنِّي﴾[الحاقة/ ١٨-١٩]...فروى الجمهور عنه إسكان الهاء، وترك النقل كالجماعة، وهو الأصحّ القويّ في الرواية والعربية، واقتصر عليه غير واحد قال الدّاني: وبه قرأت على مشيخة المصريين وبه آخذ "[٢].

-قوله:"﴿مَالِيَهْ هَلَكَ﴾[الحاقة/٢٨-٢٩]...قال فيه الكثير من الأئمّة بالإظهار، لأنّ الساكن هاء سكت، ولا تثبت إلاّ في الوقف، ولا إدغام مع الوقف، وإثباتها في الوصل لثبوتها في المصحف بنية الوقف؛ وهذا هو الجاري على المختار من عدم النقل في﴿كِتَابِيَهْ إِنِّي﴾؛ لكن قال أبو شامة: ومعنى الإظهار أن يوقف على ﴿مَالِيَهْ﴾ وقفة لطيفة ..."[٣].

-﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾ [البقرة/١٨٤]...فنقول الذي قرأ به الإدغام المحض، وهو الحقّ الذي لا مرية فيه، والصحيح الذي قامت الأدلّة عليه"، ثم نقل ما يؤيّد قوله من كلام الأئمّة ابن الجزري، وابن الحاجب، وابن المنيّر[٤]، والفخر الرّازي[٥]، والسيوطي وغيرهم[٦].

١- الغيث، ص٥٦؛ التيسير، ص٤٨.

٢- الغيث، ص١٦٦؛ التيسير، ص٣٨.

٣- الغيث، ص١٦٧.

٤- هو أحمد بن بن محمد بن منصور بن أبي القاسم بن أبي بكر الجروي الجذامي الإسكندراني المالكي، ناصر الدين أبو العباس؛ من شيوخ أبي حيان الأندلسي، إمام في النحو والأدب والأصول والتفسير، من كتبه الانتصاف من الكشاف، الكواكب الدراري في مناسبات تراجم البخاري؛ (ت٦٨٣هـ)؛ بغية الوعاة، ج١، ص٣٨-٤.

٥- هو محمد بن عمر بن الحسين القرشي البكري الطبرستاني، أصولي مفسر متكلم فيلسوف، (ت٦٠٦هـ)، السير، ج٢١، ص٥٠٠.

٦- الغيث، ص٣٢.

- "﴿كَلَّآ﴾[المعارج/١٥]تامّ، وعليه اقتصر الدّاني، وقال العماني: هو الجيّد والأشهر ومذهب الأكثر..."[١].

-﴿طَلَّقَكُنَّ﴾ [التحريم/٠٥]على أحد الوجهين وهو مختار الدّاني، قال:"لأنّه اجتمع فيه ثقلان ثقل الجمع، وثقل التأنيث، فوجب أن يخفّف بالإدغام، والطّريق الآخر الإظهار، وهو رواية العراقيين عن السوسي، لأن الإدغام يؤدّي إلى اجتماع ثلاث مشددات: اللام، والكاف، والنون؛ وبالوجهين قرأ الداني "[٢].

- وقد يورد كلام المصدر، ثم يؤيّده بما يفيد صحّته، وربّما استدلّ لهذا القول ووجّهه.

ومن أمثلة الأوّل :

- قوله:"واختلف المتأخرون في أجزاء﴿بَرَآءَةٌ﴾ هل هي كأجزاء سائر السور أم لا؟ فقال السخاوي هي كهي، وجوز البسملة فيها؛ وجنح الجعبري إلى المنع، وقال المحقّق: الصوّاب أن يقال أن من ذهب إلى ترك البسملة في أواسط غير ﴿بَرَآءَةٌ﴾ لا إشكال في تركها عنده في وسط ﴿بَرَآءَةٌ﴾، وكذلك لا إشكال في تركها فيها عند من ذهب إلى التفصيل؛ إذ البسملة عندهم في وسط السورة تبع لأولها، ولا يجوز البسملة أولها، فكذلك وسطها؛ وأمّا من ذهب إلى البسملة في الأجزاء مطلقا، فإن اعتبر بقاء أثر العلة التي من أجلها حذفت البسملة أوّلَها وهي نزولها بالسيف، كالشاطبي ومن سلك مسلكه، لم يبسمل؛ وإن لم يعتبر بقاء أثرها، ولم يرها علة بسمل بلا نظر." انتهى، وهو كلام نفيس بيّن ظاهر"[٣].

ومن أمثلة الثاني:

- قوله في حكم الجهر بالتعوذ:"ويؤخذ منه أنّه إذا قرأ سرًّا فإنّه يسرّ، وبه صرّح المحقّق...ويدلّ عليه أمور منها: أن الله أمر بالاستعاذة ولم يعيّن سرّا ولا جهرا، ولا خلاف

١- الغيث، ص١٦٧.

٢- الغيث، ص١٦٤، ١٦٥؛ التيسير، ص٢٩.

٣- الغيث، ص١٣.

أعلمه أن من تعوّذ سرّا فقد امتثل أمر الله جل وعزّ، كمن ذكر سرّا فقد امتثل أمره بالذكر؛ ومنها أنّ المطلوب من الاستعاذة الالتجاء والاعتصام والاستجارة بالله جل وعلا من ضرر الشيطان...وطلب هذا من الله يحصل بالسرّ كما يحصل بالجهر...؛ ومنها أنّ الإجماع منعقد على أنّها ليست من القرآن وإنّما هي من الدعاء، والدّعاء من آدابه ومستحبّاته الإخفاء ..."[١].

-قوله:" ﴿بَارِيكُمْ﴾[البقرة/٥٣]...ولا يبدله السوسي، وقوله في باب الهمز المفرد[٢]:

"..... وَقَالَ ابْنُ غَلْبُونٍ بِيَاءٍ تَبَدَّلاَ"

يشير به لقول أبي الحسن طاهر بن غلبون ...ونقله المحقّق، وقال: إنّه غير مرضيّ، لأنّ إسكان هذه الهمزة عارض تخفيفا، فلا يعتدّ به، وإذا كان الساكن اللازم حالة الجزم والبناء لم يعتدّ به، فهذا أولى؛ وأيضا فلو اعتدّ بسكونها، وأجريت مجرى اللازم، كان إبدالها مخالفا لأصل أبي عمرو، وذلك أنّه يشتبه بأن يكون من البراء، وهو التراب، وهو قد همز ﴿مُّوصَدَةٌ﴾ ولم يخففها من أجل ذلك، مع أصالة السكون فيها، فكان الهمز في هذا أولى، وهو الصوّاب. انتهى" قال الشيخ النوري مؤيّدا لابن الجزري:" ويرشّحه أنّا لو وقفنا على ما آخره همزة محرّكة، نحو﴿أَنشَأَ﴾، و﴿يَسْتَهْزِئُ﴾، و﴿إِمْرَؤٌاْ﴾، وسكنت للوقف فهي محقّقة في مذهب من يبدل الهمزة الساكنة لعروض السكون؛ وهذا ممّا لا خلاف فيه، ومن قال فيه بالإبدال خطّؤوه "[٣].

-"ومدغمها ستّ وأربعون، وقال الجعبري: خمس وأربعون، ولم يعدّ ﴿بَيَّتَ طَّآئِفَةٌ﴾[النساء/٧٨]، وكأنّه لم يجعلها من الكبير، وقال عند قوله:

..... إِدْغَامُ بَيَّتَ فِي حُلاَ

١- الغيث، ص١٢، وانظر: النشر، ج٢، ٢٥٢وما بعدها.

٢- الشاطبية، ص١٨.

٣- الغيث، ص ٢٥.

إن أبا العلاء ذكرها من الكبير، وردّ على من قال إنها من الصغير.اهـ، والحق أنّ لكلّ من القولين مدركا صحيحا قويّا "[١] ثم وجّه كلاًّ من القولين.

- وفي قوله تعالى:﴿قُلۡ ءَآنتُمۡ﴾[البقرة/١٢٩]قال:"...فلو وقف عليه، وليس بموضع وقف، بل الوقف على﴿أَمِ ٱللَّهُ﴾[البقرة/١٢٩]، جاز فيه لحمزة خمسة أوجه...وقد نظم ذلك شيخنا، وتلقّيته منه حال قراءتي عليه لكتاب النشر، فقال:

فِي قُلْ أَأَنْتُمْ إِنْ وَقَفْتَ لِحَمْزَةٍ خَمْسٌ مُحَرَّرَةٌ بِنَصِّ نَشْرِهِمُ
فَالنَّقْلُ بِالتَّحْقِيقِ لَيْسَ مُوَافِقًا وَتَنَافِيًا فَالْمَنْعُ مِنْهُ بِنَصِّهِمُ

والحاصل أن فيها ستة أوجه، حاصلة من ضرب ثلاثة النقل والسكت وعدمهما، في وجهي التحقيق والتسهيل؛ لأنّه من باب المتوسط بزائد، لدخول همزة الاستفهام على همزة ﴿ءَآنتُمۡ﴾ يمنع منها واحد، والخمسة جائزة؛ فنبّه الشيخ على الممنوع خوفا من الوقوع في الخطأ، ولم يذكر الجائز لظهوره، وفهم من قوله: "محرّرة"، أنّ ثَمّ غيرها، وهو كذلك، إذ قيل فيها بإبدال الثانية ألفاً مع الثلاثة، وحذف إحدى الهمزتين على صورة اتّباع الرسم مع الثلاثة أيضا، ولا يصحّ سوى الخمسة"[٢].

- وقد يورد ذلك عريّا عمّا ذكر، ولا شكّ أنّ ذلك موافقة منه للمصدر.

هذا فيما كان من الأقوال التي يراها المؤلّف صحيحة لا غبار عليها؛ أمّا ما انتقده المؤلف من المصادر فله في ذلك طرق:

الأوّل: النّقد المجمل، بذكر بعض الكتب والمصادر التي وقع فيها الخطأ والوهم، ومن أمثلته ما ذكره في مقدّمة الكتاب حين قال:" بل بعضهم يعتقد أن جميع ما يجده في كتب القراءات صحيح يقرأ به، وليس كذلك؛ بل فيها ما لا تحلّ القراءة به، وصدر منهم - رحمهم الله- على وجه السّهو والغلط، أو القصور وعدم الضبط؛ ويَعرف فسادَ ذلك الأئمةُ المحققون، والحفّاظ الضابطون، تحقيقًا لوعده الصادق: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[الحجر/٠٩].

١- الغيث، ص٥٢؛ الشاطبية، ص٤٨.

٢- الغيث، ص ٣٠،٣١.

وقد وقع ذلك في الكتب التي انكبّ أهل العصر عليها، كشُرّاح الشّاطبية، وإنشاد الشّريد، للعلاّمة أبي عبد الله محمّد بن غازي، والمكرّر والبدور الزّاهرة، كلاهما للشيخ أبي حفص عمر بن قاسم الأنصاري شيخ العلاّمة القسطلاني."[١].

وهذا الكلام الذي ذكره عقّب عليه بعضهم مدافعا عن ابن غازي فقال:" بيد أنّنا نجد أبا الحسن السفاقسي...يقلّل من أهمية هذا الكتاب ويرمي ابن غازي باللوم والخطأ، وهو انتقاد وإن كان يحمل بعض الحقيقة – ففيه كثير من المبالغة- وهو تحامل لا مبرّر له... ولو طبّقنا قاعدة السفاقسي على كلّ من وهم وأخطأ لنبذنا كثيرا من مؤلفات الأئمّة..." [٢].

فهو يظن أن الشيخ النوري يحطّ من شأن هذا الكتاب وينبذه؛ والواقع خلاف هذا، فإنّ الشيخ النّوري وإن انتقد هذا الإمام، فإنّه يبجّله ويجلّه كما يظهر من وصفه بالعلاّمة؛ ثمّ إنّ مجرّد النّقد لا يكون انتقاصا وحطّا من قيمة الكتاب، و إلاّ للزم القول أنّ الصفاقسي متّهم بالحطّ على الإمامين: الدّاني، والشاطبي وغيرهما، فإنّ كتابه لم يخل من انتقاد لهما، بل إنّ نقده لهما أكثر من نقده لابن غازي؛ وقوله:" ولو طبّقنا قاعدة الصّفاقسي ... نبذنا كثيرا من مؤلّفات الأئمّة"، أقول فقد طبّق العلماء قاعدة الصفاقسيّ هذه على الدّاني والشاطبيّ؛ وغيرهما وأحسن مثال عن هذا هو شرح ابن القاصح، الّذي وصفه الصفاقسي بأكثر ممّا وصف به ابن غازي، لدرجة أنّه همّ بتأليف خاصّ يتتبّع فيه أوهامه؛ ورغم ذلك فإنّ شرح ابن القاصح بقي –كما كان في زمن المؤلف- من أشهر الشّروح اليوم، وأقول لازالت الكتب التي انتقد فيها الصفاقسي بعض المواضع كالبدور الزاهرة والمكرّر للنّشار من أشهر الكتب في هذا الفنّ؛ ثمّ أين في عبارة الصّفاقسي ما يوحي بطرح هذا الكتاب ونبذه، بل لو قيل إنّ الأمر بالعكس لكان أقرب إلى الصّواب، فإنّ النّقد إنّما يتوّجه إلى ما هو مهمّ ومنتشر رجاء تفادي أخطائه حال الإفادة منه، لا إلى ما هو مطروح ولا فائدة ترجى منه؛ وإذا كان الأمر كذلك، فإنّ التّحامل ليس من الصّفاقسيّ على ابن غازي، وإنّما هو منه على الصّفاقسيّ رحم الله الجميع رحمة واسعة.

١- الغيث، ص٣.

٢- سعيد أعراب، ص٧٤.

- ومن نقده المجمل أيضا قوله:"وباب الإمالة باب مهمّ، يقع فيه لكثير من القرّاء الخطأ من حيث لا يشعرون؛ ولذلك أفرده كثير من علمائنا، كالداني والكركي[١] بالتّأليف؛ وهذا الطّريق الغريب، والأسلوب العجيب، الذي ألهمني الله إليه، مع فرط اختصاره، هو أكثر مما ألّفوه جمعا، وأقرب نفعا، ويقع - إن شاء الله - معه الأمن من الخطأ، ولو لمن له أدنى ملكة... "[٢].ففي كلامه هذا شبه نقد لطرق المؤلّفين قبله.

الثاني : النقد المفصل

ولم يمش في ذلك على طريقة واحدة، فتارة يذكر المصدر وكلامه بنصه ويرده، وتارة يسمي المصدر دون ذكر نصه، وأخرى يهمل ذكرهما معا فيقول: " بعضهم " ونحو ذلك من العبارات المبهمة، ومن الأمثلة في هذا الباب:

-﴿مَثْوَايَ﴾[يوسف/٢٣]... ولا التفات إلى ما قاله بعضهم، من أنّ ورشا ليس له إلا الفتح؛ متعلّقا بظاهر عبارة التيسير، فقد ذكر الدّاني في باقي كتبه له التقليل أيضا، وهو الصّواب وعليه المحقّقون والله أعلم"[٣].

-"ولو وقفت على﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾[البقرة/٥٨] فلا إمالة له فيه ومن زعم إمالته عنه فقد أخطأ، لأنّه سكت وهاء السكت لا إمالة له فيه، لأنها إنما جيء بها لبيان الفتحة قبلها ومن ضرورة الإمالة كسر ما قبلها، فتنتفي الحكمة التي من أجلها اجتلبت هاء السكت، ولما بلغ ابن مجاهدٍ أنّ الخاقاني يميله ويجريه مجرى هاء التأنيث، أنكر عليه أسد الإنكار، والنص عن علي، والسماع من العرب إنما جاء في هاء التأنيث خاصة"[٤].

-قال:" تنبيه: ذهب جماعة من القراء كأبي عبد الله ابن شريح الإشبيلي، وأبي عبد الله عبد الواحد بن أبي السداد المالقي، صاحب الدرّ النثير شارح التيسير؛ إلى أنّ من له الإدخال بين الهمزتين كقالون له المدّ بينهما من قبيل المتصل

١- برهان الدين إبراهيم بن محمد الكركي الشافعي المقرئ، له كتاب الآلة في معرفة الوقف والإمالة، (ت٨٥٣هـ) انظر: كشف الظنون، ج١، ص ١٤٨.

٢- الغيث، ص٩.

٣- الغيث، ص٩٧؛ قال الداني في التيسير، ص٤٧:"...تفرد الكسائي في رواية الدوري بالإمالة في...و﴿مَثْوَايَ﴾ ".

٤- الغيث، ص٣٧؛ وانظر، النشر، ج٢، ص٨٩.

كـ:﴿خَايِفِينَ﴾[البقرة/١١٣] وحجّتهم اجتماع شرط المدّ - وهو الألف- وسببه الهمز بكلمة، والألف وإن كانت عارضة فقد اعتدّ بها من أبدل، ومدّ لسببيّة السّكون، فَعَلى هذا فمن له التّحقيق كأحد وجهي هشام فله المدّ فقط، ومن له التسهيل فله المدّ والقصر، عملا بعموم قوله:

وإن حرف مدّ قبل همز مغيّر يجُز قصره والمدّ ما زال أعدلا

وذهب الجمهور إلى عدم الاعتداد بهذه الألف، لعروضها، ولضعف سببيّة الهمز عن السّكون... وبعدم المدّ قرأت على جميع شيوخي، وهو الّذي يقتضيه القياس والنظر، ولا أظنّ أحدا يقرأ الآن بالمدّ إلاّ المقلّدين لابن غازي وغيره؛ والله أعلم"[1].

ومن طريقة المؤلّف في النقد، أنه يورد القول الصحيح ثم يتبعه بما يفهم منه ردّ ما خالفه، كقوله:"وهو الصحيح"، أو"والصحيح من ذلك"، أو"ولا يصح سواه"، ونحوها، ومن أمثلة ذلك:

-﴿عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ﴾[النساء/٧٦]، و﴿بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾[البقرة/١٦٥]، لأنّه الأصل في التقاء الساكنين، ولأجل كسر الهاء قبلها، فتبع الكسر الكسر، وما ذكره ابن مهران، وتبعه الجعبري من جواز النقل، فهو خلاف الصّحيح والمقروء به كما ذكره غير واحد"[2].

-﴿ءَأَمَنتُم﴾[الأعراف/١٢٢]،... وقول ابن القاصح تبعا للجعبري وغيره:"من أبدل لورش الهمزة الثانية في نحو﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾[البقرة/٥]، ألفا أبدلها أيضا هنا، يعني في ﴿ءَأَمَنتُم﴾ ألفا، ثم حذفها لأجل الألف التي بعدها فتبقى قراءة ورش بوزن قراءة حفص بإسقاط الهمزة الأولى، فلفظها متحد، ومأخذهما مختلف،ولا تصير قراءة ورش بوزن قراءة حفص إلا إذا قصر ورش أما إذا قرأ بالتوسط أو بالمد فيخالفه انتهى. مردود بالنص والنظر..."[3].

١- الغيث، ص١٧؛ وانظر أيضا: ص١٦٩.

٢- الغيث، ص٤٤؛ النشر، ج١، ص٤١٨، ٤١٩.

٣- الغيث، ص٦٩؛ سراج القاري، ص٤٠، ٤١.

ومن طريقته أيضا أن يقتصر على ذكر القول الصحيح، وينصّ على أنّه هو الصحيح، ويكثر من استعمال هذا الأسلوب فيما تكرّر من المسائل ومن أمثلته:

-﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ﴾ إلى ﴿شَيْئًا﴾[النساء/٢٠] ففيها لورش من طريق الأزرق، وهو طريقنا على ما يقتضيه الضرب اثنا عشر وجها... والمحرّر منها من طريقنا ستة"(١).

-﴿أَجِبَتُؤُهُ﴾ [المائدة/٢٠] فيه لحمزة إن وقف، على ما قالوا، ستة وثلاثون وجها... والصّحيح منها اثنا عشر وجها " فبيّنها ثمّ قال:" وما سوى هذه الاثنا عشر لا يصحّ، ولا يجوز القراءة به، و اتّباع الرسم حاصل فيه بين بين "(٢).

ومن طريقته أيضا أنّه إذا ذكر القول الضعيف قد يعطي مقابله الصحيح، وإذا انتقد بعض المنظومات بالتطويل، أو الحشو الزائد أعطى البديل ومن أمثلته:

- قوله:"وقد جمع القيسي ما كان من باب فَعْلى، ونبه أن﴿مَوْلَيٰ﴾ ليس منه"وذكر له المؤلف اثنا عشر بيتا ثم قال:"ونظمت ذلك مختصرا فقلت:

فَعْلَى بِفَتْحٍ تَقْوَى مَرْضَى نَجْوَى مَوْتَى وَشَتَّى ثُمَّ قَتْلَى سَلْوَى
مَرْعَى وَطَغْوَى ثُمَّ دَعْوَى أَسْرَى يَحْيَى كَذَا إِنْ لَمْ تُنَوَّنْ تَتْرَى."(٣)

- وقال عند ذكر الخلاف في الفواصل الممالة:"وقد نظم ذلك العلاّمة ابن غازي رحمه الله..." وذكر ما قاله ابن غازي، ثمّ قال:" لكن لا تظهر ثمرة هذا الخلاف إلاّ في كلمتين: موسى من قوله تعالى:﴿وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ﴾[٨٦] بطه، وبالنازعات من قوله تعالى:﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ﴾[٣٧]، وقد ذيّلت بهذه الفائدة كلام ابن غازي فقلت:

وثمرة الخلاف ليست تظهر إلا بموسى مع إله يذكر
كذاك قوله فأما من طغى بالنازعات خاب سعي من بغى"(٤)

١- الغيث، ص٤٨.

٢- الغيث، ص٥٥،٥٤.

٣- الغيث، ص٤١،٤٠. وانظر: ص٢٦ أيضا.

٤- الغيث، ص١٠٥.

- وذكر قول من فرق بين السور الأربع في البسملة وبعد أن ردّ هذا القول وضعفه أعطى البديل منه فقال"وإذا قلنا بها تبعا للجماعة القائلين بها، لثبوت البشاعة مع تركها، فلا نحتاج في دفعها إلى ما ذكروه، بل السّاكت يجري على أصله، والواصل له السّكت، والمبسمل يسقط له من أوجه البسملة وصلها بأوّل السورة..."[1].

وأما الأمانة العلمية للمؤلف فتظهر فيما يأتي:

١- في العزو للمصادر، وقد سبق بيان طريقته في ذلك.

٢- تتبعت بعض النقولات للمؤلّف عن ابن الجزري -رحمه الله- التي أكثر منها ورغم هذا كانت كل نقوله سليمة وتامّة، حسبما تتبعت.

٣- إنّ المؤلّف لم يعتمد على نقل ابن الجزري إلاّ بعدما تأكّد بنفسه من صدقه وضبطه وإتقانه، و لم يكتف بشهرة ابن الجزري وكتبه بين الناس.

٥- أغفل المؤلّف في بعض الأحيان عزو مسائل نقلها عمّن تقدّمه؛ كما في المقدّمات التي جعلها لكتابه، فإنّها تكاد تكون مختصرة من النّشر وغيره، ولعلّه فعل ذلك لتصرّفه فيها فهو لم ينقلها بلفظها؛ وكذلك فعل في كثير من نقوله عن الإمام ابن الجزري والتمثيل يخرجنا عن الاختصار.

وبعد هذه الجولة في مصادره وماهية التعامل معها؛ أخرج بالنتائج الآتية:

-كثرة المصادر التي اعتمدها المؤلف في علم القراءات، وشمولها الكثير من فروع هذا العلم، فلم تنحصر على ما كان منها في السبع، كما يتبادر من موضوع الكتاب؛ بل كانت مصادره شاملة للسبع وغيرها، بل إنّ أهمّ مصادره كان في العشر، وهو كتاب النشر؛ وكثرة المصادر تضفي على الكتاب أهميّة بالغة، كما أنّ المؤلف من خلالها يستوحي من نتاج مدارس مختلفة: مشرقية، ومغربيّة، فإنه لم يقتصر فيها على جهة واحدة، فيتّهم بالتقصير والانحياز، كما أنّه لم يقتصر على المتأخّرين اكتفاء باليسير، بل غاص في مؤلّفات المتقدّمين، وأتى بنصوصهم، وإن كانت جل النصوص المنقولة عنهم بواسطة.

١- الغيث، ص١٦٩.

- عناية المؤلف بتسمية مصادره، سواء بذكرها أو بذكر أسماء أصحابها، وهذا يسهّل للباحث الرجوع إلى مظانّ المسألة؛ إلاّ أنّه في هذا قد يكتفي بذكر اسم المؤلّف دون النصّ على المصدر بعينه، وهذا يوقع في بعض العناء بالنسبة للمصنّفين المكثرين.

- إنّ المؤلّف اعتمد على النقل بالواسطة بكثرة، خاصّة فيما ينقله عن المتقدمين من كتاب النشر، وهذا بعكس ما فعله غيره من المحررين على النشر والطيبة فإنهم حاولوا الرجوع إلى الأصول التي نقل منها صاحب النشر[1].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

١- الإمام المتولي، ص٣٣٧.

المبحث الثاني:

المادة العلمية في الكتاب ومنهجه في عرضها

وفيه أربعة مطالب:

الأول : عنايته بعلوم القراءات.

الثاني: عنايته بتحرير القراءات وموقفه من تلفيقها.

الثالث: موقفه من قصيدة الشاطبيّ وما ورد فيها.

الرابع: موقفه من بعض المسائل المشكلة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الأول:
عنايته بعلوم القراءات

وأعني بعلوم القراءات هنا فروع علم القراءة، والتي سمّاها الشيخ النّوري "وسائل لعلوم القراءات"، وقد ذكر المؤلّف أنّها سبعة علوم وهي: علم العربية، ويعني به علم توجيه القراءات، وعلم التجويد، وعلم الرسم، وعلم الوقف والابتداء، وعلم الفواصل، وعلم الأسانيد.

وبعض العلماء ذكر من فروع هذا العلم: علم طبقات القرّاء، وعلم الشواذّ؛ وهما يدخلان في علم الأسانيد، لأنّ به معرفة القرّاء والرّواة وطبقاتهم، وبه يتميّز المتواتر من الشاذّ؛ والله أعلم.

وقد احتوى غيث النفع من كل هذه العلوم على طرف، يتفاوت قلّة وكثرة، حسب الحاجة إليه، ولا أدّعي أنّ الشيخ – رحمه الله– قد جمع هذه العلوم، كيف وقد قال:"... وقد ذكر جميعها إلا الأوّل العلاّمة أحمد القسطلاني، في كتابه "لطائف الإشارات في القراءات الأربعة عشر"... فمن أرادها فلينظر مادتها؛ فإنّ ذكرها يخرجنا عن قيد الاختصار، إلاّ ما لابدّ منه، فنذكره في موضعه إن شاء الله تعالى"(١).

وسأذكر هذه العلوم، مبرزا جوانب من عناية المؤلّف بها باختصار وهي كالآتي:

أولا :علم التجويد

١- تعريفه:

هو علم يعرف به كيفية النطق بالكلمات القرآنية وفق ما نقل إلينا بالتواتر عن رسول الله ﷺ(٢).

وبين علم التجويد، وعلم القراءة تداخل؛ فهما يلتقيان في دراسة بعض الموضوعات، وهو ما يعرف بالأصول عند القرّاء، ويفترقان في أنّ علم القراءات يبحث في الصورة

١- الغيث، ص٦.

٢- الترتيل وعلومه، أحمد الطويل، ج٢، ص٥١٥؛ وعرّف بتعاريف أخرى انظر: هداية القارئ، ج٢، ص٤٥.

اللّفظية للكلمة القرآنية، بينما يبحث علم التّجويد في الصّورة الصّوتية للحرف الهجائي القرآنيّ[١].

أما عناية المؤلف بعلم التجويد، فلم تكن عناية تجعله يعدّ من مصادر هذا العلم، مثلما فعل الإمام ابن الجزري – رحمه الله تعالى – في نشره، وفي طيبته وغيره من الأئمّة، وهذا راجع لطبيعة الكتاب من حيث منهجه؛ فإنّه لم يقسّمه إلى أبواب، ولو فعل لربّما خصّص له بابا مستقلاّ في اختصار بعض أحكامه؛ ولا ننسى أنّ المؤلّف جعل كتابا مستقلاّ، فصّل فيه مسائل هذا العلم؛ وقد أحال عليه في هذا الكتاب، عندما تكلّم عن أنواع المدود، فقال:" والكلام في المدّ وفي أقسامه، لا يليق بنا ذكره هنا، وقد ذكرنا زبدته في كتابنا المسمّى " تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين عمّا يقع لهم من الخطأ حال تلاوتهم كتاب الله المبين"، فانظره"[٢].

هذا وقد ورد في الكتاب بعض الإشارات إلى مسائل من التجويد منها:

١– التنبيه على أهمية هذا العلم، وأنّه من العلوم التي ينبغي على طالب علم القراءات إتقانها[٣].

٢– تعريفه لبعض من مصطلحات علم التجويد والفروق بينها، كالإدغام، و الإشمام، والروم، والسكون، والوقف والسكت والقطع، وذكره مخارج بعض الحروف وصفاتها؛ ويلحق بهذا أيضا ذكره أحكام اللاّمات والرّاءات، والميم والنون الساكنتين، وأحكام المدود وغيرها، إلاّ أنّ هذا لا يكاد يخلوا منه كتاب في القراءات، لأنها مسائل يشترك فيها علم القراءات وعلم التجويد.

٣– التنبيه على بعض الأخطاء الشائعة، وبعض ما يقع من اللّحن في قراءة القرآن، وهذا مطلب هامّ جدّا في علم التجويد، ومن أهميته أفردت له مؤلّفات ورسائل[٤].

١– وهذا على التغليب فقد توجد بعض المباحث الصوتية في كتب القراءات مثل الروم والإشمام ونحوهما، ثم إنك لما تلاحظ طريقة إيراد كتب القراءات لهذه المسائل تجدها تركز عليها من ناحية نسبتها إلى رواتها أكثر من تركيزها على تحقيق ماهيتها وعلى عكس من ذلك في كتب التجويد؛ وانظر: القراءات القرآنية تاريخ وتعريف، عبد الهادي الفضلي، ص١٢٧، ١٢٨.

٢– الغيث، ص١٦.

٣– الغيث، ص٦.

٤– انظر: الغيث، ص٤٨، ٥٧، ١٠٠، وغيرها.

ثانيا :علم الرسم

تعريفه:

هو في الاصطلاح نوعان:

الأوّل: الرسم القياسي وهو تصوير اللفظ بحروف هجائه بتقدير الابتداء به والوقف عليه .

الثاني: الرسم العثماني وهو علم يعرف به مخالفة المصاحف العثمانية لأصول الرسم الاصطلاحي[١].

والذي ذكره المؤلّف من هذا العلم هو ما تعلّق بالقراءة، وكان من أثر اختلاف القرّاء، وعلى العموم فممّا أشار إليه من مسائل من الرسم ما يلي:

١- التنبيه على أهمية هذا العلم في علوم القراءات.

٢- تقريره أن الرسم سنة متبعة لا تخالف، وأنّ فيه حكما أوجبت رسمه كذلك، وقد نقل في ذلك كلام شيخه الأفراني ونصّه:" لو لم يكن للصحابة -رضي الله عنهم - من الفضائل إلاّ رسمهم المصحف لكان ذلك كافياً"[٢]؛ وفي هذا إشارة منه - رحمه الله - إلى وجوب كتابة المصحف على هذا الرسم، وحرمة مخالفته، وهو قول جمهور العلماء؛ وقد ألّف الشيخ في هذه القضية رسالة مستقلة كماكما مرّ ذلك عند تعداد مؤلفاته[٣].

٣- نصّ المؤلّف على بعض مسائل هذا العلم ومفرداته من ذلك:

أ- الموصول والمفصول من الكلمات.

ب- ما كتب بالتاء من هاءات التأنيث.

ج- نصه على بعض ما اختلفت المصاحف في رسمه.

د- تقريره قاعدة مهمّة يقع فيها الخلط عند كثيرين، وهي أنّه لا يلزم موافقة الرسم للتّلاوة، فربّما خالفت قراءة إمام من أئمة القراءة ما هو مكتوب في مصحف بلده؛ قال

١- سمير الطالبين في رسم وضبط الكتاب المبين، الضباع، ص٢٧؛ وعرّفه ابن خلدون فقال:"هي أوضاع حروف القرآن في المصحف ورسومه الخطية"، انظر:المقدمة، ص٤٧٦.

٢- الغيث، ص٦٤.

٣- وانظر: الغيث، ص٦٤، وانظر مؤلفات ص من هذا البحث.

الصّفاقسي وهو يردّ على من ضعّف قراءة ابن عامر في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾الآية[الأنعام/١٣٨][١]:"فإن قلت: لو كان في مصحف الحجاز كذلك لقرؤوا كقراءته لأنّ كلّ قطر قراءتهم تابعة لرسم مصحفهم، ولم يثبت عن أحد من أهل الحجاز، أنّه قرأ كقراءة الشامي؛ قلت: لا يلزم موافقة التّلاوة للرّسم، لأنّ الرّسم سنّة متّبعة، قد توافقه التّلاوة، وقد لا توافقه؛ انظر كيف كتبوا ﴿وَجِاْيٓءَ﴾[الفجر/٢٥] بالألف قبل الياء، و﴿أَوْلَاَاْذْبَحَنَّهُۥٓ﴾[النمل/٢١] ﴿وَلَاَأَوْضَعُواْ﴾[التوبة/٤٧] بألف بعد لا..."[٢].

رابعا: علم الوقف والابتداء

تعريفه:

اقتصر الكثير ممن تعرّض لهذا العلم، على تعريف شطريه فقط، من حيث أنه مركّب، فعرّف الوقف بأنّه: قطع الصوت عن آخر الكلمة زمانا يتنفس فيه عادة بنية استئناف القراءة لا بنيّة الإعراض[٣]؛ وعرّف الابتداء بأنّه: الشروع بعد قطع أو وقف[٤].

وهذا لم يأت بتعريف لهذا العلم، وإنما قصارى أمره أنّه عرّف مصطلح الوقف الذي هو قسيم السكت والقطع؛ وعرف مصطلح الابتداء، الّذي هو ضد الوقف.

وقد عرّفه بعضهم فقال:"هو معرفة كيفيّة الوقوف والابتداء في رؤوس الآي وأوساطها، وأحكامها من الوجوب والجواز والمنع "[٥].

١-قرأ ابن عامر بضمّ زاي" زيّن" وكسر يائها، ورفع لام "قتل" ونصب دال "أولادهم" وخفض همز " شركائهم" فتكون قرائته هكذا:﴿وكذلك زُيِّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشرِكِينَ قَتلُ أولاَدَهُم شُرَكَائِهِم﴾"

٢- الغيث، ص٦٤؛ قال الداني رحمه الله، في المقنع، ص١١٧، مانصه:" ... والقطع عندنا على كيفية ذلك في مصاحف أهل الأمصار على قراءة أئمتهم غير جائز إلا برواية صحيحة عن مصاحفهم بذلك، إذ قرائتهم في كثير من ذلك قد تكون على غير مرسوم مصحفهم..." ثم ضرب أمثلة عن ذلك.

٣- النشر، ج١ص٢٤٦؛ الفوائد المفهمة شرح الجزرية المقدمة، ص٤٥-٤٦؛ النجوم الطوالع، ص١٥٦؛ معالم الاهتداء إلى معرفة الوقوف والابتداء، ص١٨٢؛ هداية القارئ، ج١، ص٣٦٨؛ الترتيل وعلومه، ج٢ ص٩٠٤.

٤ - الفوائد المفهمة ص٤٦؛ هداية القارئ، ج١، ص٣٩٢.

٥ - خزانة العلوم في تصنيف الفنون الإسلامية ومصادرها، عبد الله نذير أحمد، ص٩١.

وهذا التعريف جامع، ولكنّه غير مانع، لأنّه ضمّ شيئين اثنين: الأوّل معرفة كيفيّة الوقف والابتداء، والثاني أحكام الوقف والابتداء من الوجوب والجواز والمنع.

وليكون جامعا مانعا، كان الأولى الاقتصار على شطره فيقول:"هو معرفة أحكام القطع والائتناف، من الوجوب والجواز والمنع "، لأنّ الشطر الآخر لا يدخل في هذا العلم، بل هو جزء من علم التجويد والقراءات.

قال الشّيخ النّوري رحمه الله:"... فاعلم أنّ الكلام على الوقف والابتداء، ينحصر في بابين:

الأوّل: معرفة ما يوقف عليه ويُبتدأ به؛ ومرجع هذا إلى فهم المعنى، ومراعاة الأحكام النحوية... ولا يتمكن من هذا إلا بمعرفة العربية...

الثاني: معرفة كيفية الوقف، من جهة التلفظ بآخر الكلمة، بالسكون، أو الإشمام، أو الروم، أو الحذف، أو الإثبات، وتفخم الراءات وترقيقها...وجرى عمل كثيرين منهم بإفراد(*) الأوّل بالتّأليف، والثاني يجعلونه بابا في كتب القراءات، وقلّ من جمع بين البابين في كتابه... "(١).

وقد اعتنى المؤلّف بهذا العلم أكثر من غيره من فروع علم القراءات، وتظهر هذه العناية فيما يلي:

١- في التزامه ذكر أحكام الوقف على رؤوس الأرباع؛ وربّما كان قصده في ذلك التّنبيه إلى أمر خطير ذاع وانتشر عند القرّاء، وهو الالتزام بهذه الأرباع والأجزاء، وقفا وابتداء، في تلاوة القرآن في الصلاة وخارجها، بل يصل الأمر إلى الإنكار على من وقف قبل أو بعد نهاية الربع، مراعاة منه للمعنى؛ فكأنّ المؤلّف رحمه الله، أراد بعمله هذا بيان ما يجوز الوقف عليه من هذه الأرباع، وما لا يجوز(٢).

---

* - في الأصل "بإيراد " ولعل الصواب ما ذكرته.

١- تنبيه الغافلين، ص١٢٩، ١٣٠؛ وانظر عبارات مختصرة شبيهة بما قال الشيخ في: النشر، ج١، ص٢٤٦؛ شرح الطّيبة ، أحمد بن الإمام بن الجزري، ١٤٩؛ معالم الاهتداء، ١٨٢.

٢-قال في: هداية القارئ:" درج كثير من القراء على التسامح في البدء من أوّل الأجزاء، أو الأحزاب، أو الأرباع التي في أثناء السورة، مهما كان تعلقها بما قبلها " ثم ردّ على هؤلاء بأنّه لم ير لهم دليلا، ثم نقل كلام النووي في ذلك ونصّه:" ينبغي للقارئ إذا ابتدأ...أن يبتدئ من أوّل الكلام المرتبط بعضه ببعض، وأن يقف على انتهاء الكلام المرتبط، ولا يتقيّد بالأعشار والأجزاء، لأنّها قد

٢- لم يكن المؤلّف في هذا العلم مقلّدا لمن قبله؛ بل إنّه يرجّح ويختار ما يراه مناسبا، وفي كثير من الأحيان يذكر الخلاف بين أهله، وينسبه على أصحابه.

٣- ذكر المؤلّف في كتابه اصطلاحا غريبا في أنواع الوقف والابتداء، وذلك أنّه لم يقتصر على الأقسام الأربعة المشهورة، بل جعل كل قسم منها على مرتبتين، ولم يذكر عنها شيئا في كتابه هذا، إلاّ أنه تكلم عنها في كتابه " تنبيه الغافلين" فقال:"... والمختار عندي، تبعا للداني وابن الجزري و غيرهما من المحققين، أنّها أربعة أقسام: تام، وكاف، وحسن، وقبيح؛ لكن التحقيق أن كل قسم منها ينقسم إلى قسمين: فتامّ وأتمّ، وكاف وأكفى، وحسن وأحسن، وقبيح وأقبح "[1].

٢- ومن عناية المؤلّف بهذا العلم أنّه ينبه عليه عند ذكر كيفية جمع بعض الآيات، في مواضع كثيرة؛ وهو نظر صائب منه؛ لأنّ رعاية الوقف والابتداء، أحد الشروط الأربعة للجمع، كما نبّه هو وغيره على ذلك[2].

٣- ومن عناية المؤلف بهذا الباب، أنّه لم يتعرض للكلام عن وقف حمزة وهشام، ولا الكلام عن الوقف على هاءات التأنيث للكسائي؛ إذا كانت هذه الكلمات ممّا لا يجوز الوقف عليه، رعاية منه لهذا الأصل، قال المؤلّف:"...وأذكر للكسائي ما يصحّ الوقف عليه من هاء التأنيث... وإنما أقتصر على ما يصح الوقف عليه في هذا الباب وباب وقف حمزة وهشام، لأنّ بمعرفته يعرف حكم غيره؛ وفيه استدعاء لتعلّم ما أهمل من تعلّمه، وهو معرفة ما يوقف عليه وما يبتدؤ به، وهو أمر واجب، ويؤدّي تركه إلى الإخلال بالفهم، وفساد المعنى؛ وأيّ فساد أعظم من هذا، ولهذا حضّ العلماء قديما وحديثا عليه، وألفوا فيه التآليف المطوّلة والمختصرة"[3].

تكون في وسط الكلام المرتبط؛ كالجزء الذي في قوله تعالى :﴿**والمحصنات من النساء**﴾[النساء/٢٤]... ولا تغترّ بكثرة الفاعلين له من القرّاء الذين لا يراعون هذه الآداب ولا يفكّرون في هذه المعاني..."؛ انظر: التبيان في آداب حملة القرآن، النووي، ص١٩٦-١٩٨، و هداية القارئ، ج١، ص ٣٩٤ ومابعدها؛ الترتيل وعلومه، ج١، ص٢٥٥.

١- ص١٣١.

٢- الغيث، ص٨.

٣- الغيث، ص١٠.

٤- اعتنى المؤلّف بتحقيق الكلام حول الوقف على " كلاّ " و " بلى "، فإنه تتبعها موضعا موضعا، ذاكرًا الخلاف ومرجّحا ما يراه صوابا.

هذا، ولم يقتصر المؤلّف على ما ذكرت، بل إنّه كثيرا ما ينبّه على أحكام الوقف في مواضع أخرى.

خامسا : علم عد الآي

تعريفه:

عرف علم عدّ الآي بأنّه: فنّ يبحث فيه عن سور القرآن وآياته، من حيث بيان عدد آي كلّ سورة، ورأس كل آية ومبدئها "[1]؛ ويطلق على هذا العلم أيضا اسم علم الفواصل.

وعناية المؤلّف بهذا العلم، تظهر في التزامه ببيان عدد آي كلّ سورة، مع ذكر الخلاف في عدد آيها، ناسبا كل خلاف لأهله، ولكنّ المؤلّف أجمل، ولم يفصل مواضع الخلاف.

وقد تعرّض الشّيخ إلى عدّ الآي في مواضع أخرى، حيث التزم ذلك عند نهاية كلّ ربع، وربما ذكره في مناسبات أخرى، ككلامه عن فواصل السور الإحدى عشر، لتعلّقها بخلاف القرّاء في باب الإمالة؛ وغيرها من المناسبات.

سادسا : علم توجيه القراءات

تعريفه:

" هو علم يبحث عن أسباب اختلاف القراءة وتعليلها، وبيان وجوه القراءة والاحتجاج لها "[2].

ولهذا العلم أسماء منها: وجوه القراءات، معاني القراءات، إعراب القراءات، وبكل واحد من هذه الأسماء سمي تأليف من مصنفات العلماء[3].

---

١ - بشير اليسر شرح ناظمة الزهر، عبد الفتاح القاضي، ص١٧.

٢- وانظر: خزانة العلوم في تصنيف الفنون الإسلامية ومصادرها، ص٩٢.

٣- انظر: شرح الهداية، المهدوي، ت حازم سعيد حيدر، (مقدمة المحقق) ج١، ص١٨؛ ابن أبي مريم، الكتاب الموضح في وجوه القراءات وعللها، ت عمر حمدان الكبيسي، (مقدمة المحقق) ج١، ص٢١- ٢٦.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

والغرض من هذا العلم هو بيان وجه اختيار القارئ للقراءة، والانتصار له على ما تقتضيه اللغة نحوا وصرفا.

مظاهر اهتمام المؤلف بهذا العلم :

رغم أنّ المؤلف لم يقصد في كتابه بيان هذا العلم، إلاّ أنّ ذلك لم يمنعه من بعض الإشارات اللّطيفة في توجيه وإعراب بعض القراءات بأساليب متنوعة ومن أمثلة ذلك:

- وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعَانِّ﴾[يونس/٨٩] قال:"قرأ ابن ذكوان بتخفيف النون، فـ:﴿لَا﴾ نافية، والفعل معرب مرفوع بثبوت النون، خبر بمعنى النهي كقوله:﴿لَا تُضَآرَّ وَالِدَةُۢ﴾[البقرة/٢٣١] في قراءة الرفع؛ والباقون بالتّشديد فـ:﴿لَا﴾ ناهية، والنون للتوكيد..."[١].

- وفي قوله تعالى:﴿يُلْحِدُونَ﴾[الأعراف/١٨٠] قال:"قرأ حمزة بفتح الياء والحاء، مضارع لحد، كفَرِح ثلاثي؛ والباقون بضمّ الياء وكسر الحاء، مضارع ألحد رباعي كأكرم؛ ومعناهما واحد أي مال، ومنه لحد القبر، لأنّه يمال بحفره إلى جانب االقبر القبلي، وقيل الثاني بمعنى أعرض"[٢].

- وفي قوله تعالى:﴿وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ﴾ [آل عمران/١٩٥]، قال:"قرأ الأخوان بتقديم﴿قُتِلُواْ﴾ المبني للمجهول على﴿قَٰتَلُواْ﴾ المبني للفاعل، إمّا لأنّ الواو لا تقتضي ترتيبا؛ فلذلك قدّم ما هو متأخّر في الوقوع، أو أنّ المخبر عنه جماعة واختلفت أحوالهم، فمنهم من قتل ومنهم من قاتل؛ والباقون بتقديم المبني للفاعل وهي واضحة، لأنّ القتال قبل القتل ..."[٣].

أمّا القراءات المشكلة، التي طعن يها أطال النّفس في توجيه كثير منها، ومن أمثلتها:

- توجيهه لقراءة هشام في قوله تعالى:﴿وَقَالَتْ هِيتَ لَكَ﴾[يوسف/٢٣] بالهمز وفتح التاء قال المؤلّف:" ويحتمل أن﴿هِيتَ﴾ بمعنى تهيأت، وهو بمعناه الحقيقي من غير

١- الغيث، ص٨١.

٢- الغيث، ص٧١.

٣- الغيث، ص٤٧؛ وانظر أمثلة أخرى: ص٤٢، ٥٠، ٥٢، ٧٧، ٨٣، ٨٦، ٩١، وغيرها كثير.

توسّع، وهي كاذبة في قولها، قصدت إغواءه وخداعه؛ والكذب عليها جائز، وقد قصدت ما هو أعظم منه، وغلّقت لأجله سبعة أبواب، والعشّاق يقولون أكثر من ذلك، وحكاياتهم كما في رسالة القشيري[١] والإحياء وغيرهما، تدلّ على ذلك؛ مع أنّها كانت إذ ذاك مشركة، ولا يلحق يوسف عليه الصلاة والسلام بقولها عيب ولا نقص، بل يدلّ على تنزيهه عن كلّ مذموم؛ ولا يعكّر علينا أنّ الله عزّ وجلّ ذكر ذلك؛ فكيف يخبر بما هو كذب؟ فإنّ الله عزّ وجلّ أخبر بمقالات الكفار في أنبيائهم، وقولهم محض كذب وزور؛ ولأنّ المراد الإخبار بالقول الصادر من المتكلّم، بقطع النّظر عن كونه صادقا فيه أو كاذبا "؛ ثمّ قال المؤلّف عن توجيهه هذا:" وهذا الأخير وإن لم أره في كلام أحد، فهو أقربها عندي، لبعده عن التكلّف، والله تعالى أعلم"[٢].

و قد كان موقف الشيخ صارما مع من طعن في بعض القراءات، فقد ردّ بشدّة على من سلك هذا المسلك، ودافع عنها دفاعا مستميتا، ووقف بالمرصاد لهذا المسلك الخطير الذي ذاع عند بعض اللّغويّين والمفسّرين[٣]؛ ويتّضح موقف الشيخ النّوري في ردّه على هذه الطعون بقواعد علمية أصيلة، ومجمل ذلك فيمايلي[٤]:

- أن القرآن ثابت بالتواتر، وبالتّالي فلا مجال لطاعن فيه كائنا من كان.

- في مقابل قوّة التواتر الذي ثبتت به القراءات، توجد قواعد النحويين التي مبناها على الآحاد ولا يعارض هذا بذاك.

- أنّا إذا ألغينا التواتر فالقرّاء أعدل وأكثر.

١- القشيري هو: أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة القشيري النيسابوري، الشافعي، الأشعري الصوفي، المفسر، صاحب الرسالة، (ت٤٦٥هـ)، السير، ج١٨، ٢٢٧.

٢- الغيث، ص٨٧.

٣- وموقف بعض هؤلاء يحمل على الاستغراب لعملهم هذا رغم أن فيهم علماء كبار بل منهم من هو من علماء القراءات المبرزين، ولابد من وجود أسباب دعت إلى هذا الاتجاه، وقد اعتذر لهم البعض بأعذار منها أن هذه القراءات لم تبلغهم على وجه يؤكد ثبوتها عندهم فمنهم من لم يكن من المتخصصين في هذا العلم، ومن الأعذار أيضا أنه قد قام لديهم معارض قوي لما ردوه من هذه القراءات، وعلى العموم فهذا الموضوع يحتاج إلى استقراء شامل ثم تحليل الأسباب الداعية إلى ذلك وقد يكون لكل شخص أسباب ودواع ليست عند غيره، لاختلاف أزمانهم وأماكنهم وعلومهم واختصاصاتهم. وانظر: القراءات وأثرها في التفسير والأحكام، ج١، ص

٤- تجد ذلك مفصلا في مجموع ردوده في الصفحات: ١٧، ٣٢، ٣٧، ٦٣-٦٤، وهو أطول ردوده، ٨٧، ١٠٩، ١٣٤-١٣٥.

- أنّ إجماع النّحويين لا ينعقد دون القرّاء، لأنّهم شاركوهم في نقل اللّغة، فإذا خالفهم قارئ، فقد انخرم إجماعهم، فلا يجدون لهم حجّة على القرّاء.

- أنّ هذه اللغة التي وردت بها القراءة مسموعة من أفصح العرب ﷺ.

- أنها منقولة عمّن ثبتت عصمته، وهو النبي ﷺ؛ وليست كذلك قواعد اللغة.

وهذا استدلال للقراءة وتأييد لها، وترجيح من ناحية قوّة ثبوتها؛ ولا يكتفي الشّيخ النّوري بهذا، بل يردّ على الطاعن طعنه بنفس سلاحه، ويظهر ذلك في الأمور الآتية:

١- الاستشهاد لها بما يوافقها من قراءات في مواضع أخرى، يوافق عليها الطاعن نفسه.

٢- الاستشهاد لها بكلام العرب من شعر ونثر وغيرها.

٣-مقابلة قول من ردّ بعض القراءات بقول غيره من أئمة اللّغة الذين أثبتوها، واستعمال قاعدة المثبت مقدّم على النّافي.

٤- ردُّ بعض القراءات بحجة أنّه لم يرد بها كلام العرب لا دليل فيه لأنّ اتساع لغة العرب يجعل هذه القراءة ممّا لم يطرق أسماع هؤلاء.

٥- أنّ بعض القراء ممّن طعن في قراءتهم، من العرب الأقحاح الذين لو نطقوا بشيء لكان واجبا الاستشهاد به، فكيف بما قرأوا به ورووه.

وهذه المسائل ليست كلّها من كلامه بل نقل الكثير منها عن علماء سابقين كابن الحاجب وأبي حيّان وابن الجزري والسيوطي وغيرهم.

سابعا: علم الأسانيد

تعريفه:

هذا العلم هو: معرفة الطرق الموصلة إلى القرآن، ومعرفة المتواتر في النقل من غيره، كالمشهور والآحاد والشاذ، ومعرفة منازل الرواة، ودرجاتهم في العدالة والضبط، ومراتب التحمل والأداء، وما إلى ذلك[١].

وعناية المؤلّف بهذا الجانب تظهر فيما يأتي:

١- في كلامه عن الفرق بين القراءة الصحيحة والشاذّة، وانتقد على ابن الجزري وموافقيه في كلامهم عن أركان القراءة الصحيحة، ولخص أيضا شروط المقرئ فقال أن يكون مسلما عاقلا بالغا ثقة مأمونا ضابطا خاليا من الفسق ومسقطات المروءة، ثم تكلم باختصار عن طرق التحمل فذكر السماع من الشيخ ثم القراءة عليه ثم سماع قراءة الغير على الشيخ، ثم تكلم عن الإجازة والخلاف في جواز الإقراء[٢].

٢- تنبيهه على أهمّية هذا العلم حيث يقول:" علم الأسانيد، وهو الطرق الموصلة إلى القرآن، وهو من أعظم ما يحتاج إليه، لأن القرآن سنة متّبعة، ونقل محض، فلا بدّ من تواترها، ولا طريق إلى ذلك إلاّ بهذا الفنّ"[٣].

٣- تنبيهه على ضرورة تمييز القراءات، وتحريرها، وعدم التّخليط فيها، وذلك بمعرفة طرق الكتاب الذي يقرأ بمضمنه، وقد استدرك المؤلّف على الشاطبي عدم ذكره لطرق كتابه، فذكرها هو نثرا ونظما[٤].

٤- تكثر عناية المؤلّف بهذا عند مناقشاته للشاطبي، أو الداني، إذا خرجا عن طرقهما، فيذكر من رواها ويبين الصحيح من الضعيف وسيأتي الكلام عن هذا.

٥- ذكر المؤلّف قاعدة مهمّة في هذا الباب، وهي في طرق أداء القراءة فقال:"... والتّحديث بالقراءة يفيد ثبوتها ولا يبيح القراءة بها، بخلاف القراءة فإنه يفيد الثبوت والإباحة؛ لهذا نجدهم يجمعون بين التحديث والقراءة، فيقول من تعرّض منهم لإثبات القراءة حدثني فلان بقرائته لفلان، ثمّ يقول وقرأت بها القرآن كلّه على فلان"[٥].

---

١ - الغيث، ص٦، قراءة الإمام نافع عند المغاربة، ج٤، ص٣٣٨؛ وانظر: منجد المقرئين، بن الجزري، ص٢٣.

٢ - الغيث، ص٥.

٣ - الغيث، ص٦.

٤ - الغيث، ص٩.

٥- الغيث، ص ١٥١ــ ١٥٢، وانظر بحثا مفصلا في التحمل والأداء عند القراء في:مجلة البحوث الإسلامية.

ثامنا : عناية المؤلف بالتحزيب

ليس هذا العلم من العلوم السبعة التي هي وسائل لعلم القراءات، وإنّما ذكرته لأنّ المؤلّف أولاه عناية خاصة في كتابه؛ وأبدأ أوّلا بتعريفه، وذكر نبذة تاريخية عن نشأته وتطوّره.

١- تعريفه :

لغة: قال ابن فارس[١]: " الحاء والراء و الباء أصل واحد، وهو تجمع الشيء، فمن ذلك الحزب الجماعة من الناس، قال تعالى:﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون/٥٤]، والطائفة من كل شيء حزب؛ يقال قرأ فلان حزبه من القرآن"[٢].

اصطلاحا: " تحزيب القرآن هو تجزئته، واتخاذ كل جزء منه حزبا"[٣].

وهذا اللفظ ورد عن النبي ﷺ ومنه قوله: " من نام عن حزبه من الليل، أو عن شيء منه، فقرأه ما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر، كتب كأنّما قرأه من الليل "[٤].

أما عن تطوّر تحزيب القرآن فإن تحزيبه لم يكن سائرا على نسق واحد، بل كان لكل شخص حزبه وورده الخاصّ الذي أخذه على نفسه،يختلف طولا وقصرا على حسب الاجتهاد في العبادة.

وفي زمن الحجاج[٥] – القرن الأوّل الهجري – ظهرت طريقة جديدة لتجزئة القرآن، وهي تقسيمه إلى أجزاء متساوية، بعدد الحروف، وهي لم تكن معروفة قبل ذلك[٦]، فقد روى الداني وغيره، أنّ الحجّاج جمع القرّاء والحفّاظ والكتّاب، فسألهم عن عدد حروف القرآن،ونصفه، وأثلاثه، وأسباعه، بعدد الحروف فعيّنوها له[١].

١- هو أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب، أبو الحسين اللغوي صاحب معجم مقاييس اللغة، والخصائص، (ت ٣٩٥هـ) انظر: بغية الواعاة، السيوطي، ج١، ص٣٥٢.

٢- معجم مقاييس اللغة، ج٢ ص٥٥ مادة "حزب"؛ وانظر: لسان العرب، ابن منظور، ج١، ص٣٠٨، مادة "حزب"؛ النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير الجزري، ج١ ص٣٧٦؛ تاج العروس، ج١ ص٤١٦، مادة "حزب".

٣- عون المعبود شرح سنن أبي داود، العظيم آبادي، مج١، ج٤، ص١٨٨.

٤- أخرجه مسلم، كتاب الصلاة (١/١١٥)، رقم (٧٤٧)؛ وأهل السنن وغيرهم.

٥- هو الحجاج بن يوسف الثقفي، أحد ولاة بني أمية(ت٩٥هـ)، انظر أخباره في: تاريخ الإسلام، الذهبي، ج٣، ص٣٦٥.

٦- ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى أنّ تحزيب القرآن في زمن الصحابة كان بالسّور، واستدل بحديث أوس قال:" سألت أصحاب رسول الله ﷺ، كيف كانوا يحزنون القرآن؟ قالوا ثلاث سور، وخمس سور، وسبع سور، وتسع سور، وإحدى عشرة

وقد اشتهرت التجزئة بالحروف بعد هذا، ولكنّها لم تقتصر على ذلك العدد، بل زاد النّاس عليها، حتى وصلت التجزئة إلى ثلاثين جزءا[٢]، وقد كان هذا التقسيم منذ بدايته تسهيلا على القرّاء، ثم جرّ التيسير إلى تيسير آخر على الحافظين، بعد أن كان على القارئين؛ فقُسِّم كل جزء منه إلى حزبين، وكلّ حزب منه إلى أرباع وأثمان؛ وهو الّذي استقرّت عليه المصاحف المطبوعة اليوم[٣].

ولم تكن هذه التجزئة متفقا على مواضعها، بل فيها خلاف كثير، لأنّ عدد حروف القرآن نسبيّ، يختلف من عادّ لآخر، ومن قراءة لأخرى، كما يدخل فيه الرسم، وما فيه من اختلافات في الحذف والاثبات، وهل هو المعتبر أم النطق وغير ذلك من أسباب الاختلاف.

والمؤلّف رحمه الله، ممّن اعتمد عليهم في هذا الباب، لأنّه أولاه عناية خاصّة، حيث إنه راعى الأمور التالية:

١- نصّ على كل الأرباع، في القرآن الكريم بذكر آخر كلمة من الرّبع، مع ما ضمّه إليها من ذكر كونها فاصلة أم لا، وحكم الوقف عليها، أمّا الأثمان فإنّه لم يتعرّض لذكرها إلاّ في بعض المناسبات.

٢- ذكر المؤلّف الخلاف بين أهل هذا الشّأن، في تعيين أماكن هذه الأجزاء.

٣- نسب الخلاف لأهله، فتجده كثيرا ما يردّد "عند المشارقة "، " عند المغاربة " ونحو ذلك[٤].

٤- تعرّض الشيخ إلى بيان الصّحيح من هذه الأقوال، في كثير من الأحيان، ويكون ذلك إما تصريحا بصحّة القول[١]، أو ضعف مقابله[٢]، أو يشير إلى ضعف القول بإيراده

سورة، وثلاث عشر سورة، وحزب المفصّل وحده "؛ انظر مجموع الفتاوى، ج١٣، ص٢١٩-٢٢٥؛ والحديث أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، باب تحزيب القرآن، حديث رقم(١٣٩٣)، ج٢، ص٥٥؛ وابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة و النية فيها، باب كم يستحب ختم القرآن، حديث رقم(١٣٤٥)، ج١، ص٤٢٧؛ وأخرجه أحمد، ج٤، ص٣٤٣؛ وغيرهم؛ وضعّفه العلاّمة الألباني في ضعيف أبي داود، ج١، ص٣٧٦.

١- البيان في عدّ آي القرآن، الداني، ص.٧٤، ٣٠٠-٣٠١.

٢- انظر عدة أنواع من التجزئة في: البيان في عد آي القرآن، ٣٠٢وما بعدها.

٣- ملخصا من: تأريخ القرآن، ص١٤٥-١٥٣؛ التعريف بالقرآن والحديث، ص١١٤-١١٦؛ مناهل العرفان، ج١ ص٤٠٩/٤١٠.

٤- انظر أمثلة أخرى، الغيث، ص٥٥، ٦٢، ٧١، ٨٥، ٩٤، ٩٦، ١٠٢، ١١٦.

بصيغة التمريض[٣]؛ وإمّا أن يكون ترجيحه للقول الذي قدّمه في الذّكر، والّذي أخّره يكون ضعيفا غير مختار وهو كثير جدًّا.

أمّا الأسلوب الذي اتّبعه في التّرجيح، فإنه يرجّح بأمور منها: موافقة الأكثر[٤]، وربّما خالف الجمهور في اختياره[٥]، أو موافقة المشهور[٦]، وهذين الأمرين هما الغالبان في ترجيحاته، وربّما رجّح بالوقف، والتناسب بين الأرباع[٧]، كقوله:"وما ذكرناه أولى، لأنّه تامّ في أنهى درجاته، وأقرب للتساوي بين الربعين"[٨].

والمؤلّف كثير التنبيه على ما جرى به العمل، ولا يعني دلك موافقته لكل ما عليه عمل أهل المغرب، بل قد يخالفهم[٩].

أما مصادره في هذا، فقد ذكر مصدرين اثنين هما: لطائف الإشارات للقسطلاّني، و"مسعف المقرئين ومعين المشتغلين بمعرفة الوقف والابتداء " لمحمد القادري" هذا ما نصّ عليه في كتابه، ويبدو أن له مصادر أخرى فإنه في كثير من الأحيان يقول "وقال بعضهم"، ونحوها من العبارات[١٠].

وأهمية كتاب غيث النفع في هذا المجال، تكمن في التّرجيح والاختيار، من بين الأقوال التي يعرضها، والتي تفوق في بعض الأحيان الخمسة أقوال، و عمله هذا لقي القبول من العلماء، حتى عدّ أهمّ مصدر في تعيين أحزاب القرآن وأجزاءها.

١- الغيث، ص.٩١، ١٠٢

٢- الغيث، ص.٨٣، ١١٠، ١٢٠

٣- الغيث، ص.٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧

٤- ص.٥١، ٥٧ ،٦٥،٦٤، ٧٤، ٧٧، ٨٢

٥- الغيث، ص٩٧.

٦- الغيث، ص. ٤٩، ٦١، ٦٧، ٧٢، ٧٣، ٧٥، ٨٣

٧- الغيث، ص.٤٧

٨- الغيث، ص١٢٠

٩- الغيث، ص.٤٩، ٧٣، ٨٥، ٨٧، ١٠٢، ١١٢، ١١٦

١٠- انظر الأبياري، ص.١٥٣؛ وقد صرّح الشيخ الصفاقسي بهذين الكتابين في مواضع كثيرة منها: ٥٨، ٦٤، ٨٦، ٨٧، ٩٠، ٩١، ٩٤، ١١٨.

المطلب الثاني:

عناية المؤلف بالتحريرات وموقفه من تلفيق القراءات

أولا: التحريرات

تعريف التحريرات:

لغة: التحرير التنقيح والتهذيب والتقويم.

ومنه تحرير الكتاب وغيره، أي تقويمه وإصلاح السقط.

وتحرير المسائل تخليصها من الخطأ، ويقال لكل ما خلص حرّ، ومنه قوله تعالى: ﴿نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾[آل عمران/٣٥] أي خالصا[١].

اصطلاحا:

بعد البحث في الكثير من من مظانّ هذه المسألة، لم أجد إلا تعريفا وحيدا، هو تعريف الشيخ عبد الرزاق موسى[٢] قال:"هو تنقيح القراءة وتهذيبها من أي خطأ، أو غموض"[٣].

ثم نقل الشيخ كلاما لابن الجزري وهو قوله: "... وفائدة ما عيناه وفصلناه من الطرق، وذكرناه من الكتب، هو عدم التركيب؛ فإنها إذا ميزت، وبينت ارتفع ذلك..."[٤] قال الشيخ عبد الرزاق:" أقول هذا التمييز والتبيين، هو ما سمّاه علماء القراءات بالتحريرات"[٥].

١- لسان العرب ج.٣، ص١٢٠؛ مختار الصحاح، ص١٢٠؛ الكليات في اللغة، أبو البقاء الكفوي، ص٣٠٣، ٣١٠؛ كنز المعاني، ت عبد الرزاق موسى(مقدمة المحقق)، ص١٨؛ شرح مختصر بلوغ الأمنية، ص٤؛ معاني القرآن، الفرّاء، ج١، ص٣٥٦، ٣٨٥.

٢- هو عبد الرزاق علي إبراهيم موسى؛ مصري أزهري، حفظ القرآن وعرضه على والده بالقراءات السّبع، ثم قرأ العشر الكبرى على الشّيخ عبد العزيز الزيات رحمه الله؛ له مؤلّفات منها: المحرّر الوجيز في عدّ آي الكتاب العزيز، وغيره؛ وهو عضو لجنة تصحيح المصاحف بالمدينة المنوّرة، ويعمل مدرّسا بكليّة القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية بالمدينة؛ ولد سنة (١٣٥٢هـ/١٩٣٩م)؛ انظر: الإمام المتولي، ص١٦٤، هامش رقم ٤، وقال عن هذه الترجمة:" أخذتها منه شفاها".

٣- الغيث، ص١٨.

٤- النشر، ج١، ص١٩١.

٥- المصدر نفسه، ص١٩.

وإذا أردنا أن نخرج بتعريف جامع مانع، علينا أن نعرف مباحث هذا العلم وهي:

° تمييز طرق القراءات والروايات وعدم خلطها.

° تمييز ما صحّ من القراءات، عن الشاذ والضعيف، وما لم يقرأ به، ويظهر هذا من قول الشيخ النوري:" ماشيا على طريق المحققين كأبي الخير ابن الجزري...من تحرير الطرق، وعدم القراءة بما شذ، وبما لا يوجد "[١].

° نسبة الأوجه إلى روّاتها من القراء والرواة وأصحاب الطرق، ويظهر ذلك من قول ابن الجزري:"رافعا إبهام التركيب بالعزو المحقق إلى كل واحد"[٢].

كما أنّه بتتبع كتاب من كتب التحريرات وهو: "الفتح الرحماني شرح كتر المعاني بتحرير حرز الأماني" للجمزوري[٣]، تجد أنّ كلامه لا يكاد يخرج عن المباحث الآتية:

-التنبيه على القراءة الصحيحة، وإن ضعّفها صاحب الأصل المحرّر، أعني الشاطبي.

-التنبيه على وجوه لا تصح من طرقه ذكرها، هو وصححها.

-التنبيه على وجوه أهملها، وهي من طرقه.

-تقييد ما أطلقه الشاطبي، بذكر قيوده وشروطه.

-تعيين محالّ ومواضع بعض الكلمات، والأحكام التي أهمل تعيينها الشّاطبيّ.

-زيادة شروط أهملها الشاطبيّ.

-تفصيل وتمييز أحكام أجملها الشاطبيّ.

- إزالة ما في بعض كلام الشاطبي من إبهام أو غموض.

وبمراعاة ما ذكرت يمكن تعريف التحريرات بأنها:

تمييز الطرق وتخليص الأوجه الصّحيحة من الضعيفة، و نسبتها إلى أصاحبها.

والتحريرات باب من أبواب علم القراءات عني به علماء في مصنفاتهم التي ألفوها في فنّ القراءات، فكان أكثرهم يذكر طرقه في أوّل كتابه، ولكن هذا العلم لم يتميّز ويفرد

١- الغيث، ص٣.

٢- النشر، ج١، ص٥٦؛ وللشيخ المتولي مؤلفا في هذا المعنى وهو" عزو الطرق" انظر:الإمام المتولي، ص٢٦٠.

٣- الجمزوري: هو سليمان بن محمد بن حسين الجمزوري، الشهير بالأفندي، مصري شافعي؛ أخذ القراءات والتجويد عن الميهي؛ من مؤلّفاته: نظم تحفة الأطفال وشرحها، نظم كتر المعاني بتحرير حرز الأماني، وشرحه الفتح الرحماني؛ كان حيا (١١٩٨هـ/١٧٨٤م)؛ معجم المؤلفين، ج٤، ص٢٥٧.

بالتصنيف إلا متأخّرا، بعدما عكف العلماء على القراءة بمضمن الطيّبة التي جمعت زهاء ألف طريق، ولعلّ سبب هذا أن المؤلّفات قبل النشر وطيبته لم تكن طرقها بتلك الكثرة فيصعب تحريرها[١].

"وقيل إنّ أوّل من أفردها بالتّأليف هو محمّد أحمد العوفي[٢] في كتابه: تلخيص النشر"[٣]، ثمّ جاء بعده علماء محقّقون كالمنصوري، والإزميري[٤]، والجمزوري، وغيرهم، وأكثر التحريرات إنّما هي على الطيّبة، وهي بالنسبة إلى الشاطبيّة أقلّ و إلى الدرة نادرة[٥].

وفائدة التحريرات أنها تمنع من تركيب القراءات وخلطها؛ أو الوقوع في قراءة ما لم يرو وما لم يصحّ، كما أنّ هذا العلم يعتبر تفصيلا لما أجمل في كتب هذا العلم، كالنّشر، والشاطبية، والطيبة وغيرها[٦].

مظاهر عناية المؤلف بالتحريرات :

أولى المؤلف عناية فائقة بهذا الباب في كتابه، حتّى عُدَّ من أبرز الكتب التي اهتمّت بهذه المسألة، وممّا يدلّ على سبقه في هذا المجال - تحرير مسائل الشاطبية- أنّ الشيخ الضبّاع في شرحه على مختصر بلوغ الأمنية، قد اعتمد كلامه في كثير من المواضع؛ وإذا ما عدّدنا المؤلّفات التي كتبت في تحرير الشاطبية نجدها كلّها متأخّرة عنه[٧].

أمّا عناية المؤلّف بهذا فهي كالآتي:

-نعيه على من أهمل هذا العلم وحضه على الاستزادة منه وتحقيقه؛ يقول في هذا:"... ماشياً في جميع ذلك على طريقة المحقّقين كالشيخ العلاّمة أبي الخير محمد بن محمد

١- الإمام المتولي، ص٣١٦.

٢- العوفي: هو محمد بن أحمد العوفي، عالم بالقراءات له عدة كتب منها: تلخيص النشر، (ت١٠٥٠هـ/١٦٤٠م)؛ انظر: الأعلام ج٦، ص٩.

٣- انظر: الإمام المتولي، ص٣١٦، وقال ص٣٣٥، هامش١:" لم يفردها أحد فيما أعلم بالتأليف".

٤- الإزميري: هو مصطفى بن عبد الرحمن بن محمد الأزميري، عالم بالقراءات؛ من كتبه عمدة العرفان في وجوه القرآن، وغيرها، (ت ١١٥٦هـ/ ١٧٤٣م)؛ انظر: الأعلام، ج٨، ص١٣٨؛ وهداية القارئ، ج٢، ص٧٢٩.

٥- الإمام المتولي، ص٣٣٧.

٦- انظر بعضها في: كنز المعاني، (مقدمة المحقق)، ص.١٩.

٧- من المؤلفات في هذا: كنز المعاني للجمزوري، إتحاف البرية للشيخ الحداد، وشرحه مختصر بلوغ الأمنية للضباع.

بن محمد الجزري، من تحرير الطرق، وعدم القراءة بما شذّ، وبما لا يوجد؛ كما يفعله كثير من المتساهلين القارئين بما يقتضيه الضرب الحسابي؛ فإنّ ذلك غير مخلص عند الله -عز وجل- وكان شيخنا -رحمه الله- يحذّرني من ذلك كثيرا ويقول ما معناه: إيّاك أن تميل إلى البطالة فتقرأ كتاب الله بما يقتضيه الضرب الحسابي، كما يفعل أهل الكسل؛ و أظنّه أخذ علي عهدا بذلك، حرصا منه - رحمه الله- على إتقان كتاب الله؛ وهذا هو الحق الذي لا ينبغي للمؤمن أن يحيد عنه"[١].

- نصّه عند الكلام على جمع القراءات على أنّ من شروط الجمع عدم التركيب، ومفهومه العناية بتحرير القراءات[٢].

- تفصيله لطرق الشاطبي في بداية الكتاب وقال مبيّنا أهمية ذلك:"... إذ لا بدّ لكلّ من قرأ بمضمن كتاب أن يعرف طرقه ليسلم من التركيب"[٣].

- ذكر الأوجه الجائزة والممنوعة في كثير من المواضع، سواء ما كان منها بين السّور أو الآيات بل في الكلمة الواحدة[٤].

- اعتراضه على الشاطبي في خروجه عن طرق أصله، بل إنّ الإمام الداني لم يسلم من ذلك أيضا[٥].

- أتى الشيخ النوري - رحمه الله- في كتابه هذا على أغلب ما يمكن الكلام عليه في تحرير الشاطبية، و لم يكد يترك مجالا للاستدراك عليه في هذا الباب؛ ولو رام شخص أن يفرد من كلامه رسالة في تحرير الشاطبية لما أعوزه ذلك، ولما احتاج إلى غيره إلاّ في القليل النّادر؛ وجلّ من لا يسهو.

- إن الشيخ النوري في كثير من تحريراته يبين ويوجّه سبب اقتصاره على بعض الأوجه وتضعيفه للأخرى؛ وهو مسلك جيد يفتح للقارئ نافذة على دقائق هذا العلم، إلا أن الشيخ لم يلتزم ذلك في عمله كله.

١- الغيث، ص٣، ٤.

٢- الغيث، ص٨.

٣- الغيث، ص٩.

٤- وهو كثير جدا ولا يحتاج إلى التمثيل.

٥- وسيأتي هذا في المطلب الأخير من هذا المبحث.

- اعتمد الشيخ النوري رحمه الله تعالى في عزو الأوجه والروايات على ما سطره الإمام ابن الجزري في نشره، حيث قال:" وربما أعتمد في العزو عليه"[١] إلا أن من جاء بعده من العلماء الذين اهتموا بالتحريرات لم يسلكوا طريقته بل حاولوا الرجوع إلى أصوله، وهي لا شك طريقة أوثق من طريقة الشيخ النوري رحمه الله تعالى[٢].

نماذج من تحريراته

- قال:" ﴿مُسْتَهْزِءُونَ﴾[البقرة/١٣] إذا وقف عليه ففيه لحمزة ستة أوجه؛ الصحيح منها ثلاثة: أحدها تسهيل الهمزة بينها وبين الواو، على مذهب سيبويه[٣]، عملا بقوله:

وَفِي غَيْرِ هَذَا بَيْنَ بَيْنَ... ....

الثاني إبدال الهمزة ياء محضة عملا بقوله:

..... وَالاَخْفَشُ[٤] بَعْدَ الْكَسْرِ ذَا الضَّمِّ أَبْدَلاَ

بِيَاءٍ ....

الثالث حذف الهمزة مع ضم الزاي عملا بقوله:

وَمُسْتَهْزِئُونَ الحَذْفُ فِيهِ وَنَحْوَهُ وَضَمٌّ .....

ثمّ قال:" ويأتي مع كل واحد من الثلاثة المدّ، والتوسط، والقصر، لأجل سكون الوقف؛ وأمّا ورش فإن وصل فله فيها الثلاثة؛ وإن وقف فمن روى عنه المدّ وصلا، وقف كذلك، سواء اعتدّ بالعارض أم لا، لأنّ سبب المدّ لم يتغيّر حالة الوقف، بل ازداد قوّة بسبب سكون الوقف؛ ومن روى التّوسط وصلا، وقف به إن لم يعتدّ بالعارض، وبالمدّ إن اعتدّ به؛ ومن روى القصر وقف به إن لم يعتدّ بالعارض، وبالتوسط والإشباع إن اعتدّ به" ثمّ قال:"وهذا ما لم تصل﴿مُسْتَهْزِءُونَ﴾

١- الغيث، ص١١.

٢- انظر: الإمام المتولي، ص٣٤٥.

٣- عمرو بن عثمان بن قنبر أبو بشر الفارسي ثم البصري، إمام النحو، قيل إنه روى القراءة عن أبي عمرو بن العلاء، (ت١٨٠هـ)، غاية النهاية ج١، ص٦٠٢.

٤- سعيد بن مسعدة البلخي ثم البصري، أبو الحسن الأخفش مولى بني مجشع، إمام النحو صاحب كتاب المعاني،(ت)؛ السير، ج١٠، ص٢٠٦.

بـــ:﴿ءَامَنَّا﴾ قبلها، فإن قرأهما معا، فلك على القصر في:﴿ءَامَنَّا﴾ الثلاثة، وعلى التوسّطِ التوسّطُ والطويلُ، وعلى الطويلِ الطويلُ فقط؛ لأنّ الثاني أقوى، فلا يكون أحطّ رتبة من الأوّل"[١].

- وقال:"﴿ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [البقرة/٢٤]وأمّا لو وقف عليه حمزة، وهو كاف، ففيه ثلاثة أوجه، الصحيح منها اثنان، النقل والتحقيق مع السكت، وأما الوجه الثالث، وهو التحقيق من غير سكت، فقال المحقق: "لا أعلم هذا الوجه في كتاب من الكتب، ولا في طريق من الطرق عن حمزة، لأن أصحاب عدم السكت على لام التعريف عن حمزة، أو عن أحد رواته حالة الوصل، مجمعون على النقل وقفا، لا أعلم بين المتقدمين في ذلك خلافا منصوصا يعتمد، وقد رأيت بعض المتأخرين يأخذ به لخلاد، اعتمادا على بعض شروح الشاطبية، ولا يصح ذلك في طريق من طرقها"، وقد نظم هذا شيخنا في مقصورته فقال:

في وَقْفِ نَحْوَ الأَرْضِ بِالنَّقْلِ وَبِالسْـــــــــسَكْتِ تَلاَ خَلاَّدُهُمْ عَن مَن بَلاَ
فَعَدَمَ السَّكْتِ امْنَعَنْ إِذْ مَنْ قَرَا بِهِ بِوَصْلٍ[٢]نَقْلِه فِي الوَقْفِ جَا"[٣].

- وقال:"﴿سَوْءَٰتِكُمْ﴾ [الأعراف/٢٥]: لا خلاف بينهم أنّ همزه يجري فيه لورش الثلاثة على أصله، واختلفوا في حرف اللين منه، وهو الواو؛ فمنهم مـــن قـــرأه بالقصـــر كـــ:﴿مَوْئِلًا﴾[الكهف/٥٧]، و:﴿ٱلْمَوْءُۥدَةُ﴾[التكوير/٠٨]...ومنهم من قرأه بالتّمكين ... ففهم بعضهم منه أنّ المدّ الطّويل والتّوسط على الأصل في الواو إذا سكنت وانفتح ما قبلها ولقيت الهمزة، نحو:﴿سَوْءَةَ﴾[المائدة/٣٣]، فجعل في الواو ثلاثة الهمزة، وقال إذا ضربت ثلاثة الواو في ثلاثة الهمزة صارت تسعة أوجه؛ وهو ظاهر كلام الشاطبيّ، وجرى عليه عمل جمع من شرّاحه كالجعبريّ؛ والصّواب أنّه لا يجوز منها إلا أربعة وهي: قصـــر

١- الغيث، ص١٩.

٢- في المطبوع:" يوصل" ولا يستقيم معه وزن البيت، والتصحيح من: الغيث، مخطوط (نسخة مصوّرة على قرص صلب)، بمتحـــف سيرتا بقسنطينة، الجزائر، دون رقم، لوحة٢٧/أ.

٣- الغيث، ص٢٠؛ وانظر: النشر، ج١، ص٤٨٦، وفيه" ولا عن أصحاب عدم الســـكت" وهـــو تصـــحيف، والصـــواب مـــا في الغيث:"لأن أصحاب عدم السكت" كما يظهر من سياق الكلام.

الواو مع الثلاثة في الهمز، والرابع التوسط فيهما؛ لأنّ كلّ من له في حرف اللين الإشباع يستثني سوءات، وكلّ من وسّطه مذهبه في:﴿ءَامَنُوا﴾ التوسّط"[١].

هذا والأمثلة كثيرة جدّا أقتصر منها على ما ذكرت.

ثانيا: موقفه من تلفيق القراءات:

تعريفه:

اصطلاحا:"هو أن يأخذ القارئ حكما من قراءة وحكما آخر من قراءة أخرى، ويقرأ بهما معا"[٢].

وليس المقصود بالقراءة في هذا التعريف ما اصطلح عليه القرّاء، وإنما هي عامة في القراءات والروايات والطرق، ويدلّ على هذا الشمول قول الشيخ النوري عند الكلام عن الأوجه بين سورتي الفاتحة والبقرة – وهذه الأوجه شاملة للأنواع الثلاثة من الخلاف-:" ولم يسمح لي شيخنا رحمه الله تعالى بالقراءة به لأنّ فيه تركيب الطرق وتخليطها"[٣] ثمّ نقل كلام العلماء في حكم التّلفيق.

حكم التلفيق:

قبل الشروع في بيان مذاهب العلماء في هذه المسألة يحسن التنبيه إلى أنّها تنقسم إلى ثلاث حالات وهي:

الأولى: أن تكون إحدى القراءتين مترتّبة على الأخرى، يؤدّي التلفيق فيها إلى فساد المعنى أو الإعراب ومثاله قوله تعالى:﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً﴾[التوبة/٦٦][٤]، فتقرأ الفعل ﴿يُعفَ﴾ بضم الياء وفتح الفاء مبنيّا للمفعول وهي قراءة الجمهور، وكلمة ﴿طائفةٌ﴾ بالنّصب وهي قراءة عاصم؛ أو تعكس فتقرأ الأوّل بالنون مع ضم الفاء ﴿نَعفُ﴾ وهي

١- الغيث، ص٦٦، وانظر: سراج القاري، ص٣٨، فقد عدّ فيها تسعة أوجه فهو ممن انتقدهم الصفاقسي.

٢- تحفة المقرئين والقارئين في حكم جمع القراءات في كلام رب العالمين، إبراهيم المارغني، ص٢٠.

٣- الغيث، ص١٥.

٤- انظر: مذاهب القراء فيها في: النشر، ج٢، ص٢٨٠؛ البدور الزاهرة، عبد الفتاح القاضي، ص٢١١.

قراءة عاصم، و﴿**طائفةٌ**﴾ بالرّفع وهي قراءة الجمهور؛ وشبه ذلك ممّا يركّب بما لا تجيزه العربية ولا يصح في اللغة.

الثانية: ألاّ تكون إحدى القارئتين مترتّبة على الأخرى، ولكنّ المقام مقامُ رواية.

الثالثة: ألاّ تكون إحدى القرائتين مترتّبة على الأخرى، ولا المقامُ مقامَ رواية، ولكنّ الواقعَ في التلفيق من أئمّة القراءة العارفين باختلاف الروايات.

الرابعة: أن يتجرّد عن تلك القيود الثلاثة، فلا القراءتان مترتبتان إحداهما على الأخرى، ولا المقامُ مقامَ رواية، ولا الملفّقُ من الأئمّة العارفين بالطّرق والروايات.

ومثال هذه الحالات الثلاث الأخيرة قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾[البقرة/١٨٣] فتقرأ قوله تعالى: ﴿فِدْيَةٌ طَعَامِ﴾ كما قرأه نافع وابن ذكوان، وتقرأ قوله تعالى:﴿مِسْكِينٍ﴾ بالإفراد كما قرأه الجمهور[١].

فأمّا الحالة الأولى فقد اتّفق العلماء على تحريمها، ومن أطلق من العلماء القول بالجواز كابن العربي[٢] أو ما نقله ابن الجزري عن جمهور العلماء حين قال:" وأجازها أكثر الأئمة مطلقا وجعل خطأ مانعي ذلك محقّقا"[٣]، فهذا خارج عمّا أطلقه، ولا يتصوّر أن يجيز ذلك أحد من العلماء، لأن ذلك مناقض لركن من أركان القراءة، وهو موافقة اللغة، ولعلّ مراد الإمام ابن الجزري أنّ عباراتهم كانت مطلقة في الجواز و لم تكن مفصّلة.

وأمّا الحالات الباقية فقد اختلف فيها على النّحو الآتي:

المنع مطلقا: واختلفت عبارات العلماء تبعا لاختلاف درجات المنع عندهم، وهم كالآتي:

١- الغيث، ص٣٢.

٢- هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن العربي المعافري الإشبيلي، أبو بكر الإمام العالم الحافظ المستبحر ختام علماء الأندلس وآخر أئمتها وحفّاظها، (ت٥٤٣) ودفن بفاس؛ السير، ج٢٠، ص١٩٧.

٣- ابن الجزري، النشر، ج١، ص١٨، ١٩؛ وانظر كلام ابن العربي في: آراء أبي بكر ابن العربي الكلامية، عمّار الطالبي، ص٤٨٥.

١- إنّه خطأ وهو قول السخاوي فقد نقل عنه ابن الجزري قوله:"وخلط هذه القراءات بعضها ببعض خطأ "[١]، وهذا القول محتمل للتّحريم والكراهة.

٢- إنّه مكروه وهو قول الجعبري و ظاهر أحد قولي ابن الجزري في النشر، و قد تابعه النويري شارح الطيّبة في القولين كليهما.

قال الجعبري:"و التركيب ممتنع في كلمة، وفي كلمتين إن تعلّق أحدهما بالأخرى و إلاّ كره"[٢].

وقال ابن الجزري:"...من غير إهمال، ولا تركيب، ولا إعادة ما دخل؛ فإنّ الأوّل ممنوع، والثاني مكروه، والثالث معيب "[٣].

أمّا النويري فقد نقل نفس كلام ابن الجزري وارتضاه[٤].

٣- إنّه خلاف الأولى[٥]، قال به النووي[٦] وابن الصّلاح[٧] وابن الحاجب[٨].

٤- إن كان الملفّق عالما فهو معيب، وإن كان جاهلا فخلاف الأولى؛ وهذا القول لابن الجزري في المنجد[٩].

الجواز مطلقا: وهو قول ابن العربي، وأبي شامة، ونسبه ابن الجزري لأكثر الأئمّة[١٠].

١- ابن الجزري، النشر، ج١، ص١٨.

٢- النشر، ج١، ص١٨.

٣- المصدر نفسه، ج٢، ص١٩٩؛ وهذا القول هو مراد الشيخ علي النّوري، بقوله عن ابن الجزري "وجزم في موضع آخر بالكراهة من غير تفصيل" انظر: الغيث، ص١٥.

٤- شرح الطيبة، النويري، ج٢، ص١٣٥.

٥- وخلاف الأولى قسم من أقسام المكروه، انظر في تحقيق ذلك، البحر المحيط، الزركشي، ج١، ٤٠٠.

٦- النووي، ص١٦١.

٧- الفتاوى، ج١، ص٢٣١؛ وابن الصلاح هو: عثمان بن عبد الرحمن ابن موسى الشهرزوري الكردي، أحد فضلاء عصره في التفسير والفقه والحديث، وغيرها من العلوم، (ت٦٣٤هـ)؛ السير، ج٢٣، ص١٤٠].

٨- المرشد الوجيز، أبو شامة، ص ١٨٥.

٩- ص٣٧.

١٠- النشر، ج١، ص١٨.

قال ابن العربي:" ولا تلتفتوا إلى قول من يقول: نقرأ السورة الواحدة، أو القرآن بحرف قارئ واحد؛ بل يقرأ بأيّ حرف، ولا يلزمه أن يجعل حرفا واحدا ديدنه، ولا أصله، والكلّ قرآن صحيح "[١].

وقال أبو شامة في المرشد بعدما أقرّ ما قال ابن الحاجب، من امتناع التلفيق حال فساد المعنى أو الإعراب قال:"والمنع من هذا ظاهر، وأمّا ما ليس كذلك فلا منع منه؛ فإنّ الجميع جائز، والتّخيير في هذا وأكثر منه كان حاصلا... فلا ينبغي أن يضيّق بالمنع من هذا، ولا ضرر فيه"[٢].

التفصيل: وهذا المذهب أعطى لكلّ حالة من الثلاث حكما خاصا، فالحالة الثانية وهي حالة الرواية التّلفيق فيها محرّم، وأمّا الثالثة وهي في حق الإمام العارف بالروايات فهو معيب، وأما الرابعة وهي في حق غير العارفين بالروايات فهو جائز.

وهذا هو قول الإمام ابن الجزري الذي ذكره في النّشر[٣]، وبه قال تلميذاه النويريان شارح الدرّة[٤] وشارح الطيّبة[٥]، والحافظ ابن حجر[٦]، إلاّ أنه أدمج الحالة الثالثة مع الرّابعة[٧].

موقف الشيخ النوري من هذا الاختلاف:

طرق المؤلّف هذه المسألة عند الكلام عن أوجه الأداء بين الفاتحة والبقرة، وبعد أن نعى على من اتّبع القراءة بالضرب الحسابي، دون تحرير، ذكر حكم التلفيق، ونقل أقوال العلماء كالسخاوي والجعبري وابن الجزري والنويري والقسطلاني، وبعد أن ذكر الشيخ قول ابن الجزري نبّه إلى أنّ له قولا آخر بالكراهة مطلقا، ثمّ رجّح القول بالتفصيل؛ ولم يستدلّ الشيخ لما قال سوى ما نقله عن ابن الجزري وحاصل ما وُجّه به هذا الاختيار:

١- آراء أبي بكر ابن العربي الكلامية، ص٤٨٥.

٢- المرشد الوجيز، ص ٤٠٣.

٣- النشر، ج١، ص١٩.

٤- الغيث، ص١٥.

٥- شرح الطيبة، النويري، ج٢، ص١٣٧، ١٣٨.

٦- هو أحمد بن علي بن محمد بن علي بن أحمد، أبو الفضل الكناني، العسقلاني، الحافظ الكبير أميرالمؤمنين في الحديث، (ت٨٥٢هـ)، البدر الطالع، ج١، ٦١.

٧- فتح الباري، ابن حجر، ج٩، ص٣٥.

- المنع في الحالة الأولى المتّفق لأنّ فيه إخلالا بالقرآن وتغييرا لمعناه.

- المنع في الحالة الثانية لأنّه كذب في الرواية ولا يجوز ذلك.

- الجواز في الحالة الثالثة دليله أن لا دليل على المنع منه، وأيضًا فإنّ قراءات الأئمّة ليست إلا اختيارا من عدّة قراءات رووها، فقد ذكر نافع أنّه قرأ على سبعين من التابعين، أيّما حرف اتّفق عليه اثنان أخذ به، وأيضا إنّ هذه القراءات من عند الله عزّ وجلّ والقرآن أنزل على سبعة أحرف، تخفيفا على الأمّة فلو أوجبنا على العامّة قراءة كل رواية على حدة، لشقّ عليهم تمييز القراءة الواحدة وانعكس المقصود[1].

وقول ابن الجزري وتابعيه هو الأوجه، إلاّ أنّ الحالة الأخيرة منه يظهر لي أنها تحتاج إلى تفصيل آخر، وذلك أنّ العامّة ليسوا من أهل اللّغة والمعاني فيميّزون بين ما يقع فيه الفساد، ممّا لا يقع فيه؛ وبالتّالي يكون فتح هذا الباب لهم، ذريعة إلى الوقوع فيما اتّفق على تحريمه، فإنّ الكثيرين ممّن يحفظون كتاب الله ويعنون به بعيدون عن اللّغة وأحكامها خاصّة في زمننا هذا؛ وسدّا للذّريعة يمنعون؛ ويمكن أن يقال أنّ ما كان من قبيل الأداء: كالمدود والإمالة وأنواع الوقف وما شابه ذلك، ممّا لا تأثير له على المعنى، لا يمنع منه؛ وإنّما يمنع من تلفيق ما كان من قبيل الإعراب وبناء الكلمة القرآنية، وهذا يسهل تمييزه على العامّة إن شاء الله تعالى.

١- انظر: النشر، ج١، ص١٩؛ المرشد الوجيز ص٤٠٦.

المطلب الثالث:

موقفه مما أورده الشاطبي في قصيدته

تعامل الشيخ الصفاقسي مع هذه القصيدة كثيرا، لكونها أصل كتابه، وعليها مبناه، وقد اختلف موقفه من هذه القصيدة وصاحبها من موضع لآخر، ومن مسألة لأخرى؛ فكان تارة يستدلّ بأبيات هذه القصيدة ويشرح معانيها مؤيّدا لصاحبها؛ وتارة أخرى يتوجّه إليها بالنّقد والتمحيص، و تفصيل هذا في النقاط التالية:

أولا :شرحه بعض كلام الشاطبي

عمل المؤلّف في بعض الأحيان على بيان بعض الأبيات الغامضة من كلام الشاطبي وشرحها ومن أمثلته:

١-قال الصفاقسي في قول الشاطبي:

وَوَصْلُكَ بَيْنَ السُّورَتَيْنِ فَصَاحَةٌ وَصِلْ وَاسْكُتَنْ كُلٌّ جَلاَيَاهُ حَصَّلاَ

وَلاَ نَصَّ كَلاَّ حُبَّ وَجْهٌ ذَكَرْتُهُ وَفِيهَا خِلاَفٌ جِيدُهُ وَاضِحُ الطِّلاَ"[1].

قال:"ومعنى البيت: ولا نصّ لهم، أيْ ذوي كاف "كلّ" وجيم " جلاياه" وحاء "حصّلا"، الشامي وورش والبصري، في التخيير بين السكت والوصل المدلول عليه بالواو، التي بمعنى " أو" في البيت قبله؛ وارتدع وانزجر أن تنسب للعلماء شيئا لم ينقل عنهم؛ ويحتمل أن تكون "كلاّ" هنا حرف جواب بمنزلة نعم، فيكون تصديقا للمنفيّ بلا الجنسية المحذوف خبرها، ... بل هو وجه أي سبيل مقصود، وهو أحد معاني الوجه لغة، أحبّته العلماء واختاروه لهم؛ ثم استأنف فقال: "وفيها" أي: في البسملة لمن لهم التخيير، خلاف في إثباتها وحذفها، مشهور كشهرة صاحب ذي العنق الطّويل، بين أصحاب الأعناق القصيرة، وهو كذلك في كتب أئمّة القراءة؛ وعليه فلا رمز لأحد في البيت؛ والله أعلم"[2].

١- الشاطبية، ص٩.

٢- الغيث، ص١٢.

٢- وقال أيضا:" ولا يعكّر علينا قوله:

..... وَخُلْفُهُمُ فِي النَّاسِ فِي الْجَرِّ حُصِّلاَ

لأنه تبع في العزو أصله، والخلاف عندي في هذا مرتّب لا مفرّع؛ فتقول في تقرير كلامه: يعني أنّه اختلف عن أبي عمرو، فروى عنه الدوري الإمالة، وروى عنه السوسي الفتح؛ لأنّ هذا هو الذي كان يقرأ به كما نقله عنه السخاويّ، فيقرّر به كلامه "[١].

ولكنّ هذا العمل من الصفاقسي، لم يكن إلاّ في مواضع نادرة، وربّما اقتصر الصفاقسي في بعض المواضع على بيان المقصود من كلام الشاطبيّ، والرّد على بعض شرّاحه فيما فهموا منه، دون أن يتوسّع في شرح ألفاظه ومعانيه، كما في المثال الأوّل[٢].

ثانيا: استدلاله بأبيات هذه القصيدة

وهذه الطريقة هي أكثر ما استعمله في إيراد أبيات الحرز ومن أمثلة:

قوله:" ومن له التسهيل فله المدّ والقصر عملا بعموم قوله:

وَإِنْ حَرْفُ مَدٍّ قَبْلَ هَمْزٍ مُغَيَّرٍ يَجُزْ قَصْرُهُ وَالْمَدُّ مَا زَالَ أَعْدَلاَ"[٣].

وقوله:" لا إخفاء في ميم ﴿إِبْرَٰهِـۧمُ﴾ عند باء ﴿بَنِيهِ﴾[البقرة/١٣١] لعدم الشّرط، وهو تحريك ما قبلها، عملا بقوله:

وتسكن عند الميم من قبل بائها على إثر تحريك فتخفى تنزلا"[٤].

ثالثا: موقفه مما خرج فيه الشاطبي عن طرقه

وهذا الباب من أهم ما كتبه الصفاقسي، إذ تتبع المواضع التي خرج فيها الشاطبي عن طرقه[٥]، وردّ عليه، واستدلّ لما ذهب إليه، وعمدته في هذا ما كتبه الإمام ابن الجزري رحمه الله تعالى في نشره؛ ومن أمثلة هذه المواضع:

١- الغيث، ص٢١ وانظر أيضا، وانظر: الشاطبية، ص٢٧.

٢- انظر مواضع أخرى فيها شرح وبيان لبعض مقاصد الشاطبي من كلامه: ص١٩، ص٢٣، ٢٥.

٣- الغيث، ص٢٠؛ والشاطبية، ص١٧.

٤- غيث النفع، ص٣١؛ وانظر أمثلة أخرى في:ص ٣٢، ٣٤، ٣٦، ٣٨، ٤٣، ٤٥، ٤٩، ٥٠، ٥٤، ٥٥، وغيرها

٥- والمقصود بخروج الشاطبي عن طرقه أن يكون الوجه الذي ذكره لقارئ ما لم يرو من الطرق التي أسند بها الداني هذه القراءات في بداية كتابه التيسير، ومن أمثلة ذلك إمالة الهاء والياء لقالون من قوله تعالى ﴿كهيعص﴾ ، فهي رواية الحلواني عن قالون وهي ليست من طرق التيسير وإنما طريقه أبو نشيط وهناك غيرها من الأمثلة، وانظر: النشر، ج٢، ص

-:﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ﴾ [البقرة/٢٢٣] ذكر الصفاقسي أنّ ظاهر كلام الشاطبي الخلاف في استثناءه وكذلك فهمه شرّاحه، وردّ عليه الصّفاقسي بأنّ الصحيح استثنائه من البدل دون خلاف[١].

- ﴿فَنِعِمَّا﴾ [البقرة/٢٧٠]،﴿لَا تَعَدُّوا﴾ [النساء/١٥٣]، ﴿يَهَدِّي﴾ [يونس/٣٥]﴿يَخِصِّمُونَ﴾[يس/٤٨] ذكر الشاطبي في هذه الكلمات الاختلاس فقط، وردّ عليه المؤلّف بأنّ له الإسكان أيضا[٢].

- ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة/٢٣٨]ذكر فيه الشاطبي الوجهين في إدغامه لابن كثير؛ وردّه المصنّف بأنّ له الإظهار فقط[٣].

- ﴿يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾ [يوسف/١٢]ذكر الشاطبي الخلاف في إثبات الياء لقنبل في ﴿يَرْتَعِ﴾ في الحالين وردّ عليه الصفاقسيّ بأنّه خروج عن طريقه، والصواب الحذف في الحالين[٤].

وقد ردّ المؤلّف على الشّاطبي في هذه المواضع، وأطال الكلام في نقاشه، سائرا في هذا على منهج واضح يبرز في النقاط الآتية:

- ذكر المؤلّف قاعدة في بداية كتابه عندما عدّد طرق القراءات السبع فقال:"ومن خرج عن طرق كتابه فهو على جهة الحكاية وتتميم الفائدة"[٥]، وقد استعمل هذه القاعدة في توجيه بعض ما ذكره الداني مما هو خارج فيه عن طرقه.

- الا حتجاج على الشاطبي بما في أصله أعني كتاب التيسير؛ وهذا وجيه من المؤلّف لأنّ الشاطبي إنّما قصد نظم التيسير كما قال:

وَفِي يُسْرِهَا التَّيْسِيرُ رُمْتُ اخْتِصَارَهُ فَأَجْنَتْ بِعَوْنِ اللهِ مِنْهُ مُؤَمَّلاَ[٦].

١- الغيث، ص٣٥.

٢- الغيث، ص٣٧، ٥٢، ٧٧، ١٣٦.

٣- الغيث، ص٤١.

٤- الغيث، ص٨٦.

٥- الغيث، ص ٩.

٦- حرز الأماني، ص٦.

إلا أنّ لقائل أن يقول فقد قال الشاطبي:

وَأَلْفَافُهَا زَادَتْ بِنَشْرِ فَوَائِدٍ ....

فالجواب أنّ بعض الشراح حملوا ذلك على ما زاده من أبواب مثل مخارج الحروف وصفاتها، ثمّ إن قيل أنّ ذلك عام في كل زيادة، فإنّه لا ينبغي الخروج عن طرق الكتاب، وإلاّ سيقع التلفيق والتركيب، وهو غير جائز في الرواية كما سبق تفصيله، ثم إنّ الشاطبي رحمه الله تعالى لم يقتصر على الزيادة على التيسير بل إنّه قد أهمل بعض ما ذكره التيسير كما في قوله تعالى:﴿ فَنِعِمَّا ﴾ [البقرة/٢٧٠] وشبيهاتها؛ قال الشيخ النوري رحمه الله تعالى:" ﴿فَنِعِمَّا﴾ [البقرة/٢٧٠]... فإن قلتَ: ذكرت لقالون ومن عطف عليه الإسكان المحض، و لم يذكر الشاطبي لهم إلاّ الإخفاء، لقوله:

.... وَإِخْفَاءُ كَسْرِ العَيْنِ صِيغ بِهِ حلاَ

قلتُ: نعم لكن كان حقه –رحمه الله– أن يذكره لأنّه في أصله، ونصّه: "ويجوز الإسكان، بذلك ورد النصّ عنهم، والأوّل أقيس." انتهى"[١].

– وإذا كانت عبارة الإمام الداني غامضة في موضع أحال إلى المواضع الأخرى التي ليس فيها غموض، وقيّد كلامه في كل موضع بحسب ما يقتضيه الحال؛ ومن أمثلة ذلك قوله:" فإن قلت مستنده قول صاحب التيسير فيه لما تكلم على زوائد سورة الأعراف في آخرها: "وفيها محذوفة ﴿ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا﴾[الآية١٩٥]، أثبتها في الحالين هشام بخلف عنه"[٢]، قلت: هذا لا دليل فيه لأنّ الداني كثيرا ما يذكر الخلاف على سبيل الحكاية، وإن كان هو لا يأخذ به وليس من طرقه، وهذا منه، ... بل يدلّ عليه كلامه في التيسير فإنه قال فيه في باب الزوائد: "وأثبت ابن عامر في رواية هشام الياء في الحالين في قوله تعالى ﴿ثُمَّ كِيدُونِ﴾ في الأعراف"[٣]، فجزم بالإثبات و لم يحك خلافه، ومن المعلوم المقرّر أنّ

١– الغيث، ص٣٧؛ و التيسير، ص٨٤؛ وانظر: أمثلة أخرى في الغيث، ص ٦٠، ٧٢.

٢– التيسير، ص١١٥.

٣– المصدر نفسه، ص٧٠–٧١.

العلماء يعتنون بتحقيق المسائل في أبوابها، أكثر من اعتنائهم بذلك إذا ذكروها استطرادا وتتميما للفائدة، فربما يتساهلون اتكالا على ما تقدم، أو ما سيأتي لهم في الباب"[١] .

وإن أهمل الدّاني ذكر شيء من هذا وجّهه واحتج له ومثاله في قوله تعالى ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ﴾ [البقرة/٢٢٣]: " فإن قلتَ: لَمَ يستثنه الدانيّ في التيسير فيما استثناه، فهو داخل في جملة الممدود لورش، وهذا معتمد الشاطبي؛ قلتُ: عدم استثنائه في التيسير، إما لكونه يرى أن ورشا لما قرأه بالواو فهو عنده من لغة من يقول واخذ، وقد صرح بذلك في الإيجاز كما تقدم، فلا دخل له في باب المهموز، فلم يحتج إلى استثنائه؛ أو لأنّه ملازم للبدل كلزوم النقل في يرى... فلا حاجة إلى استثنائه أيضا؛ أو لأنّه اتّكل على نصوصه في غير التيسير، فإنها صريحة في استثنائه؛ والله أعلم."[٢]، وهو في بعض الأحيان يحلل عبارات الداني على حسب قوانين الرواية مثل قوله:"...فإن قلت ذكره الداني في التيسير فلا انفراد، قلت ذكره له حكاية لا رواية، ويدلّ لذلك أنه ذكر الحكم لغير السوسي بصيغة الجزم بقوله: أمال الكسائيّ وخلف فتحة النون والهمزة، وأمال خلاد فتحة الهمزة فقط ثم قال: وقد روي عن أبي شعيب مثل ذلك، بصيغة التمريض..."[٣].

-وإذا لم يكن في التيسير ما يردّ كلام الشاطبي فإنّ المؤلّف يلجأ إلى المصنفات الأخرى للإمام الداني كجامع البيان، وإيجاز البيان، والمفردات وغيرها، ومثال ذلك قوله: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ﴾ [البقرة/٢٢٣] ... ولا خلاف عن ورش في قصره، وكل من يمد حرف المد بعد الهمز استثناه، وقوله رحمه الله:

..... وَبَعضُهُمْ يُوَاخِذُكُمْ..... .

عطفا على المستثنى، يفهم منه أن البعض الآخر لم يستثنه وقرأ فيه بالمدّ؛ وفهمه على هذا كثير من شرّاحه، واغتر بهم خلق كثير فقرءوه بالثلاثة؛ وليس كذلك، بل لا يجوز فيه إلا القصر خاصة... قال الداني في إيجازه: أجمع أهل الأداء على ترك زيادة التمكين للألف في ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ﴾ [البقرة/٢٢٣] و﴿لَا تُؤَاخِذْنَآ﴾ [البقرة/٢٨٥] و﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ

١-الغيث، ص٧٢.

٢- الغيث، ص٣٤.

٣- الغيث، ص٩٨.

[فاطر/٤٦] حيث وقع قال:وكأن ذلك عنهم من واخذت غير مهموز..."[١]؛ ثم ذكر أنّه استثناها في المفردات، جامع البيان.

كما أن المؤلّف يستشهد بكلام أئمّة القراءة الآخرين، في رده على الشاطبي لاسيما ابن الجزري[٢].

- والمؤلف كثير النقل والاستشهاد بكلام الإمام ابن الجزري في هذا المجال وهو متابع له في كثير من هذه المناقشات، بل إنه لم يخرج عما اختاره في هذه المواضع.

وهنا أحب التنبيه إلى أمر مهمّ، يظهر من مناقشات الصفاقسي للشاطبي وهو: أنّ ما خرج فيه الشاطبي عن طرقه على قسمين:

قسم أهمل فيه ما ذكره الدّاني وهما موضعان نصّ عليهما الصفاقسي رحمه الله تعالى:

- ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ﴾ [يوسف/٨٤] اقتصر الشاطبي على التقليل للدوري؛ وردّ عليه الصفاقسيّ بأنّ له الوجهان، إذ لم يذكره الداني في ما يميله الدوري، فيؤخذ منه أنّه بالفتح[٣].

- قوله تعالى:﴿فَنِعِمَّا﴾[البقرة/٢٧٠، وغيرها]، ﴿لَا تَعَدُّوا۟﴾ [النساء/١٥٣]، ﴿يَهِدِّىٓ﴾ [يونس/٣٥]﴿يَخِصِّمُونَ﴾[يس/٤٨] ذكر الشاطبي في هذه الكلمات لقالون والبصري وشعبة الاختلاس فقط، بينما نصّ في التيسير على الإسكان أيضا[٤].

قسم تابع فيه الشاطبي كلام الداني في التيسير وهي بقيّة المواضع، فلا يكون النقد خاصّا بالشاطبيّ فحسب، بل يشمل الداني بطريق الأولى، إلاّ أنّ كلام الدّاني يكون في بعض الأحيان مبهما، ممّا يجعله يحتمل أنه ورد على سبيل الحكاية، حسبما قعّد المؤلّف ذلك في بداية الكتاب ومن أمثلته:

- في قوله تعالى:﴿وَلَيَجْزِيَنَّ﴾ [النحل/٩٦] ضعّف الشاطبي رواية النون عن ابن ذكوان فقال:

١- غيث النفع، ص٣٥.

٢- غيث النفع، ص٣٥.

٣- الغيث، ص٨٩.

٤- التيسير، ص٨٤، وانظر: الغيث، ص٣٧، ٥٢، ٧٧، ١٣٦.

...وَنَجْـــ ـــزِينَّ الذِينَ النُّونَ دَاعِيهِ نُوِّلاَ
مَلَكْتُ وَعَنْهُ نَصَّ الاَخْفَشُ يَاءَهُ وَعَنْهُ رَوَى النَّقَاشُ نُوناً مُوَهَّلاَ

وقد تابع في ذلك الداني حيث يقول:" وكذلك أي بالنون قال النقاش عن الأخفش عن ابن ذكوان، وهي عندي وهم لأن الأخفش ذكر ذلك في كتابه عنه بالياء "[١].

قال الصفاقسي: فالجواب أن عدم ثبوت ذلك عنده لا ينافي ثبوته عند غيره، وقد ثبت ذلك من جميع طرق العراقيين وقطع به الحافظ الكبير أبو العلاء الهمذاني، وما احتج به الداني من نص كتاب الأخفش لا تثبت به حجة على النفي، إذ يحتمل أنه ذكر في كتابه أحد الوجهين وهو الياء، وكان يقرئ بالوجهين الياء والنون، والإقراء مقدم عند التعارض وأولى مع إمكان الجمع."[٢].

-وفي قوله تعالى:﴿ ٱلتَّلَاقِ ﴾ [غافر/١٤]،﴿ ٱلتَّنَادِ ﴾ [غافر/٣٢] ذكر الشاطبي إثبات الياء لقالون، وردّ عليه الصفاقسيّ بأنّه خرج فيه الداني عن طريقه وتبعه على ذلك والصواب الحذف فيهما[٣].

رابعا:موقفه من زيادات الشاطبي على التيسير

لم يقبل الصفاقسي هذه الزيادات من الشاطبي مطلقا، كما أنّه لم يردّها مطلقا، بل اعتمد قاعدة مشى عليها، وهي أنّه إذا كانت الزيادة من نفس طرق التيسر فإنّه يقبلها، وإن لم تذكر في التيسير، أما إن لم تكن من طرقه فيردّها وإليك مثالا عن ذلك:

- قال الصفاقسي:" فإن قلت لم قدّمت البدل على التسهيل، مع أنّه غير مذكور في التيسير، وعبّر عنه بقيل حيث قال:

..... وَقَدْ قِيلَ مَحْضُ الْمَدِّ عَنْهَا تَبَدَّلاَ

... قلت مع كونه لم يذكره في التيسير وعبّر عنه بقيل، هو رواية جمهور المصريين عن الأزرق ... فتبيّن بهذا قوّته على التسهيل، فلهذا قدّمته؛ والداني وإن لم يذكره في التيسير

١- التيسير، ص١٣٨؛ وانظر: الغيث، ص٩٦.

٢ - الغيث، ص٩٦.

٣- الغيث، ص١٤١؛ وانظر: التيسير، ص٦٩.

فقد ذكره في جامع البيان وغيره ... ولعلّ الشاطبيّ عبّر عنه بقيل ليشير إلى أنّه من زياداته على التيسير"[١].

- ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ﴾ [يوسف/٨٤]اقتصر الشاطبي على التقليل للدوري؛ وردّ عليه الصفاقسيّ بأنّ له الوجهان وقال: "وهو المأخوذ به من التيسير- يعني الفتح - لأنه لم يذكره في الألفاظ المقلّلة للدوري، فيؤخذ منه أنّه بالفتح، وكان حق الشاطبيّ أن يذكره لأنّه التزم نظم التيسير، ويكون التقليل الذي ذكره من الزيادات..."[٢].

فهذين المثالين يتّضح منهما موقف الصفاقسي، وأنّه لا يردّ زيادات الشّاطبي على التيسير إن كانت قويّة ومن طرقه، وقد قال المؤلف كلمة هامّة وهي:"لا يلزم من مخالفة التيسير لما هو أقوى منه محذور"[٣].

أمّا أمثلة ما خرج فيه عن طرقه فقد سبق بيان بعضها فلا أعيد ذلك.

هذا باختصار و إلاّ فإنّ هذه المسألة تحتاج إلى بحث خاصّ.

وفي نهاية هذا المطلب لا أنسى أن أنبّه إلى أمر ذكره بعض العلماء، وهو أنّ ما خرج فيه الشاطبي عن طرقه على قسمين، من حيث حكم القراءة به[٤]:

١- قسم صحّ عن الراوي أو القارئ من طرق طيبة النشر، فهذا يقرأ به مع التنبيه على ذلك، وهي أكثر المواضع.

٢- قسم لم يصحّ عن ذاك الراوي أو القارئ من طرق الطيبة، فهذا لا يصح القراءة به مثل:

- في قوله تعالى:﴿ثُمَّ كِيدُونِ﴾[الأعراف/١٩٥] ذكر الشاطبي الخلاف لهشام في إثبات الياء أو حذفها وقفا ووصلا؛ وقال الصفاقسي:"... يبعد أن يكون الخلاف لهشام

١- الغيث، ص٢٣، وانظر: ص ٨٩.

٢- الغيث، ص٨٩.

٣- الغيث، ص١٦.

٤- انظر ، كنز المعاني (مقدمة المحقق)، ص ١٧٧.

فيها من طريقه وطريق أصله؛ بل لم يثبت من طرق النشر إلا في حالة الوقف خاصـــة" ثم نقل كلام النشر وهو قوله:" وأما حالة الوصل فلا آخذ بغير الإثبات من طرق كتابنا"[١].

والمقصود بعدم الجواز هنا أي في الرواية، أمّا إن كان قد صحّ من رواية أو قـــراءة أخرى، فإنّ حكمه يدخل في مسألة أخرى، وقد مضى الكلام عنها وهي تلفيق القراءات، كما هو الحال مع هذا المثال الأخير فقد قرأ الجمهور بحذف الياء في الحالين فهي قـــراءة صحيحة تجوز القراءة بها، إلاّ أنّها لم تصحّ عن هشام خاصّة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

١- الغيث، ص٧٢،٧١؛ وانظر النشر٢، ص١٨٤، ١٨٥.

المطلب الرابع :

موقفه من بعض المسائل المشكلة في علم القراءات

تعرض المؤلف في كتابه هذا إلى بعض المسائل التي تباينت فيها آراء العلماء كالأحرف السبعة وتواتر القراءات وجمع القراءت وتركيبها، وسأحاول فيها هذا المطلب عرض ما اختاره الشيخ من الأقوال؛ وما استدلّ به لاختياره، وسوف لن أتطرق إلى الأقوال وتفصيلها، وإنّما أذكر من الأقوال والأدلّة ما يتبيّن به مذهب الشيخ فقط؛ لأنّ هذه المسائل طويلة الذيول، حري أن تخصّص كل واحدة منها بدراسة مستقلة، وقد خصّ بعضها بذلك؛ والغرض هنا إنّما هو في بيان اختيار الشيخ.

أولا:الأحرف السبعة[1]

اختلف العلماء في المراد بالأحرف السبعة اختلافا كثيرا، وذهبوا فيه مذاهب شتى حتى بلغت الأقوال فيه أربعين قولا، وأصل هذه المسألة هو ما تواتر عن النبيﷺ أن القرآن أنزل على سبعة أحرف وقد روي هذا الحديث بألفاظ كثيرة تدور كلها على المعنى المذكور أورد المؤلف منها ثلاثة ألفاظ هي:

"**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ**"[2].

"**أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فَقَالَ لَهُ:إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُقْرِئَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ وَاحِد، فَقَالَ: أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ وَإِنَّ أُمَّتِي لاَ تُطِيقُ ذَلِكَ، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ عَلَى حَرْفَيْنِ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّالِثَةَ بِثَلاَثَةٍ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ أَتَاهُ الرَّابِعَةَ فَقَالَ لَهُ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُقْرِئَ أُمَّتَكَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَأَيَّمَا حَرْفٍ قَرَؤُوا عَلَيْهِ فَقَدْ أَصَابُوا**"[3].

١- عن الأحر ف السبعة انظر: الأحرف السبعة ومكانة القراءات منها، د حسن ضياء الدين عتر.

٢- أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى ﴿فَاقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ رقم(٧١١١)؛ وفي فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، برقم(٤٧٠٦).

٣- أخرجه مسلم، ج٢، ص٤٠٧، رقم(٨٢١)، كتاب صلاة المسافرين، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه.

وبلفظ "**إِنَّ رَبِّي أَرْسَلَ إِلَيَّ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ، فَرَدَدتُّ إِلَيْهِ أَنْ هَوِّنْ عَلَى أُمَّتِي، وَلَمْ يَزَلْ يُرَدِّدْ حَتَّى بَلَغَ سَبْعَةِ أَحْرُفٍ**"[١].

هذا ما اقتصر عليه المؤلف من ألفاظ الحديث.

أمّا في عرضه لأقوال العلماء في تفسير هذا الحديث فقد أشار إلى كثرة الاختلاف الواقع في تفسير هذا الحديث، واكتفى بالنصّ على ثلاثة أقوال منها وكأنّه يرى فيها أنها أقوى الأقوال، وأنّ غيرها أضعف منها وهذه الأقوال هي:

- إن المقصود بالأحرف السبعة لغات سبع وذكر الخلاف في تعيينها.
- إن المراد بالأحرف معاني الأحكام، وذكر أيضا الخلاف في تعيينها.
- إن المقصود بها سبعة أوجه من الخلاف، وذكر فيها قول ابن الجزري.

ثم اختار القول الأوّل[٢] أي أنها لغات سبع، ولم يعيّنها، وكأنه يرى ألا دليل على تعيينها، وإنّما هي لغات سبع من لغات العرب؛ وأيّد اختياره بدليلين:

-الأول: إن الأحرف في اللغة الأوجه، أي إنّ القرآن نزل على سبعة أوجه من اللغات بدليل قوله تعالى:﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖ﴾[الحج/١١] أي على وجه.

- الثاني: أن حكمة إتيانه على سبعة أحرف هو التيسير على الأمّة في التكلم بكتابها، وهذا المعنى قال عنه المصنّف:" إنّه كالمصرح به في الأحاديث مثل قوله ﷺ:"**أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ**" وقوله ﷺ: "**فَرَدَدتُّ إِلَيْهِ أَنْ هَوِّنْ عَلَى أُمَّتِي**".

وأيّد هذا بواقع حال العرب عند إرسال النبي ﷺ، وأن ألسنتهم كانت مختلفة غاية التخالف، ولو ألزموا بلغة واحدة لشقّ عليهم ذلك.

١- أخرجه مسلم، ج٢، ص٤٠٩، صلاة المسافرين، باب بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف، رقم(٨٢٠).

٢- وهذا القول هو الذي اختاره د. حسن ضياء الدين عتر في كتابه " الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها "؛ وقد ذكر في كتابه هذا من رجّح هذا القول من الأئمّة فذكر منهم أبا عبيد، وابن الجوزي، والآجري، وابن الأثير، ومصطفى صادق الرافعي، وغيرهم؛ ولم يشر في بحثه إلى اختيار الشيخ الصفاقسي، ولعلّ ذلك أنّ الشيخ لم يتوسّع في هذا الموضوع؛ انظر الكتاب المذكور ص١٧٧-١٧٨.

وأيضا أنّ نزول القرآن بعدّة لغات أبلغ في إعجازه؛ فلو أنزل بلغة دون أخرى، لقيل لو أنزل بلغتنا لصار كذا وكذا.

ثم أجاب عن إشكال يَرِدُ على القول الذي اختاره، وهو أنّ عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم لغتهما واحدة وقد اختلفا؟ فأجاب أن ذلك غير لازم من كونهما من قبيلة واحدة أن تكون لغتهما واحدة.

ثم قال الشيخ قال تعالى:﴿وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾[النحل/١٠٢] فعمّ العرب ولم يخص قبيلة" ويظهر من هذا أنّه يردّ على من عيّن لغات مخصوصة نزل بها القرآن.

أمّا مسألة بقاء الأحرف المصاحف العثمانية فقد أشار بإيجاز شديد إلى أنّ الأحرف السبعة باقية اليوم فقال:"وهذه الأحرف السبعة داخلة في القراءات العشر التي بلغتنا بالتواتر، وغيرها ممّا اندرس وكان متوترا راجع إليها؛ لأنّ القرآن محفوظ من الضياع ولو تطاولت عليه السنون ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[الحجر/٠٩]. " وظاهر قوله هذا أنّه يختار القول ببقاء الأحرف السبعة في المصاحف العثمانية، وهو خلاف قول الجمهور[1].

ويمكن تلخيص هذه المسألة فيما يلي:

- في معنى الأحرف السبعة اختار الشيخ أنها لغات سبع ولم يعيّن أي اللغات هي.
- اختار الشيخ أن الأحرف السبعة باقية كلها.

ثانيا: تواتر القراءات

وهذه المسألة من أخطر المسائل فإنّها تبحث في ثبوت القرآن الكريم والقراءات القرآنية، وتدرس هذه المسألة ضمن ما يعرف بأركان القراءة الصحيحة وهذه الأركان ثلاثة هي:

- النقل المقطوع به عن النبي ﷺ بالتواتر في قول، أو بصحة السند مع الشهرة والاستفاضة في قول آخر.
- موافقة رسم أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا.

١- انظر:النشر، ج١، ص٣١، وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ج١٣، ٤٠١.

- موافقة اللغة العربية ولو بوجه من الوجوه.

والركن الأول وقع في تفسيره خلاف كما أشرت، فقيل باشتراط التواتر ونسب هذا إلى الجمهور، وقيل يكتفى فيه بصحة السند مع الشهرة والاستفاضة، وهو اختيار الإمام مكيّ القيسي والعلامة ابن الجزري وغيرهما؛ فما هو موقف الشيخ النوري من هذا الخلاف وأيّ القولين اختار؟.

تكلّم الشيخ النّوري على هذه المسألة بإيجاز، و لم يفصّل في ذلك بل اكتفى بما يلي:

نسب القول باشتراط التواتر إلى الأصوليين، وفقهاء المذاهب الأربعة، والمحدّثين، والقرّاء؛ ونسب ضدّه إلى أبي محمد مكي بن أبي طالب، وقال تبعه بعض المتأخرين ومشى عليه ابن الجزري وهذا القول يبدو أنّه لخّصه من كلام النويري في شرح الطّيبة[1].

اختار الشيخ — رحمه الله — القول باشتراط التواتر في ثبوت القراءة، وأيّد رأيه بما يلي:

- إن الاكتفاء بصحة السند مخالف للجمهور.
- إنه قول محدث لا يعوّل عليه.
- إنه قول يؤدي إلى تسوية غير القرآن بالقرآن[2].
- أجاب عمّا يستشكل من اختلاف القراءات أنّه قادح في التواتر، وأجاب بأن القراءة قد تتواتر عند قوم دون قوم.

هذا والشيخ لم يكن في موقع المناقش للمسألة، المفصّل لأدلّة كلّ قول، بل أراد الإشارة إلى القول الصحيح عنده، وردّ ما خالفه؛ ولهذا فإنّه لم يستوف الكلام على هذه المسألة الخطيرة.

وعلى العموم فمسألة التواتر مسألة كبيرة، اقتصر فيها الشيخ على ما ذكرت تمشيّا مع الاختصار الذي أراده لكتابه؛ و إلاّ فإن الكلام في هذه المسألة لا تفي به تلك

١- انظر: شرح الطيبة، النويري، ج١، ص١١٧-١١٩.

٢- لم أفهم هذه العبارة، وأرى أنّ العبارة الصّحيحة أن يقول: تؤدّي إلى تسوية القرآن بغيره، لأنّ مراد الشيخ أنّ القرآن لا يثبت نقله إلاّ بالتواتر، وإذا قلنا بثبوته بطريق آخر سوّيناه بغيره، وليس مراده - وهو ما توهمه عبارته المذكورة - أنّ غير القرآن لم يثبت بهذا الطريق، فإنّ الكثير من الأحاديث قد ثبتت بالتواتر.والله أعلم.

العبارات، ويلاحظ على الشّيخ في هذه الجزئية أنه كان شديدا في ردّ قول مخالفيه، رغم أنّ ما أيّد به قوله معارض بمثله وبيان ذلك:

– إنّ ردّه على قول من لم يشترط التواتر بأنّه:" قول محدث لا يعوّل عليه"[١]معارض بقول ابن الجزري عن المذهب الذي اختاره أنّه مذهب السلف قال ابن الجزري:"ولقد كنت قبل أجنح إلى هذا القول ثم ظهر فساده وموافقة أئمة السلف والخلف "[٢]، فليس هو إذن بالقول المحدث.

– قول الشيخ إن بعض المتأخرين تبع مكيّا القيسيّ، معارض بقول ابن الجزري السابق وكذا بقوله:"وقد شرط بعض المتأخّرين التواتر في هذا الركن، و لم يكتف بصحّة السند..."[٣]، وقال قبله الإمام أبو شامة :"وقد شاع على ألسنة جماعة من المقرئين المتأخّرين، وغيرهم من المقلّدين أنّ القراءات السبع كلّها متواترة ..."[٤]؛ وهؤلاء الذين قال عنهم الشيخ النّوري بعض المتأخرين، فيهم علماء كبار محقّقون منهم: ابن الصّلاح[٥] وأبو شامة، وشيخ الإسلام ابن تيمية[٦] والإمام ابن الجزري وغيرهم.

وليس الغرض هنا مناقشة المسألة، وإنّما أردت بيان ما في قول الشيخ من بعض النقص في معالجتها، و إلاّ فإنها تحتاج إلى بحث خاص تُستوفَى فيه جميع الأقوال بأدلّتها، إلاّ أنّ ثمّة أشياء ينبغي التنبيه عليها وهي:

– اتّفق العلماء أنّ القرآن والقراءات لا تثبت إلا بنقل قاطع، ثم اختلفوا في النقل المستفيض المتلقّى بالقبول هل يفيد القطع أم لا؟ وهذا هو محلّ النّزاع في المسألة.

١– غيث النفع، ص٥.

٢– النشر، ج١، ص١٣.

٣– النشر، ج١، ص١٣.

٤– وفي كلام أبي شامة قبل هذه العبارة التي نقلتها وبعدها، نظر قد استوفى مناقشته الإمام ابن الجزري في منجده انظر: ص١٠١– ١١٤، وإنّما قصدت من نقل عبارة أبي شامة معارضة الشيخ بأنّ ما ادّعاه من أنّ القول بعدم اشتراط التواتر إنّما هو عند بعض المتأخرين، قد ادّعاه غيره في القول المقابل.

٥–انظر كلامه في: الفتاوى، ج١، ص٢٣١.

٦– قال شيخ الإسلام ابن تيمية:"وأمّا ما يدّعيه بعض القراء من التواتر في جزئيات الأمور، فليس هذا محلّ مناقشته"انظر مجموع الفتاوى ج١٣، ص٢١٨.

فمن قال إنّه لا يفيد إلا الظنّ لم يقبل في نقل القرآن إلاّ التّواتر؛ ومن قال إنّه يفيد القطع قبله؛ ومذاهب العلماء في هذه المسألة مشهورة.

قال ابن الجزري، وأبو شامة ناقلين عن ابن الصلاح:"... لأن المعتبر في ذلك اليقين والقطع على ما تقرر وتمهد في الأصول"[١]، ونقل ابن الجزري عن مكيّ ابن أبي طالب القيسي قوله:" وما لم يقطع على صحته لا يجوز القراءة به"[٢].

-إنّ من اكتفى بالنقل المستفيض المتلقّى بالقبول و لم يشترط التواتر، لا يقصد أن ذلك في جميع الألفاظ المختلف فيها؛ بل على العكس من ذلك فأكثر الجزئيات متواترة، ولذلك لمّا قال الإمام أبو شامة:"والحاصل أنّا لسنا ممّن يلتزم التواتر في جميع الألفاظ المختلف فيها "عقّب عليه الإمام ابن الجزري قائلا:"قلت: ونحن كذلك لكن في القليل منها..."[٣]؛ ثمّ إنّ القراءات العشر المشهورة لم يحصل فيها تمييز ما تواتر من غيره، بل هي متداخلة بعضها في بعض.

- إنّ العلماء - من المذهبين - متّفقون على أنّ القراءات العشر، التي بين أيدينا ثابتة بالنّقل المقطوع به عن النّبيﷺ؛ وأن غيرها لم يثبت كذلك.

وإذا كان الأمر كذلك لم يكن في الخلاف في هذه المسألة كبير أثر؛ والله تعالى أعلم.

ثالثا: جمع القراءات[٤]

اختلف العلماء في جمع القراءات على ثلاثة أقوال فمنهم من أجاز ذلك مطلقا، ومنهم من منعه مطلقا، ومنهم من توسّط فأجاز ذلك حالة التلقّي ومنعه في غيرها.

والقارئ لكلام الشيخ ولهجته الشّديدة في عرض هذه المسألة يفهم منه بادي الرأي أنّه يحرّم هذا مطلقا، وهو كالصّريح في ذلك فقد قال:"وكان بعض الأئمة ينكره من حيث

١- النشر، ج١، ص٣٨؛ المرشد الوجيز، ص٤٠٣.

٢- النشر، ج١، ص١٤.

٣- منجد المقرئين، ص١٠٩.

٤- تكلم عن هذه المسألة في الغيث، ص٧.

إنّه لم يكن عادة السلف، قلت: وهو الصّواب إذ من المعلوم أن الحقّ والصّواب في كل شيء مع الصّدر الأوّل"فقوله "وهو الصواب" صريح في أنّه ينكر هذا الجمع.

فالمؤلف عدّ هذا الفعل من البدع المحدثة، وساق نصوصا كثيرة في ذم البدع وأهلها، وذمّ المخالفين لما كان عليه السلف الصالح رضوان الله عليهم، وممّا أيّد به رأيه في إنكار جمع القراءات:

- إنّه لا يترتّب على هذا الجمع كبير فائدة، بل قرّر المؤلّف أنّ ما فيه من المفاسد أكثر مما ينتفع به.

-إنّ من أجاز ذلك من الأئمّة فإنّما كان فعله تنزلا لفائدة القاصرين والكسالى، ولا يستدل بفعل المتنزل.

هذا كلام الشيخ، ولكنّه ما إن انتهى من تحرير هذا المسألة، حتّى ذهب يقرر أمورا تناقض ما قاله أولا، من بدعية هذا الجمع وهذه الأمور هي:

- قول الشيخ: "وإذا قلنا بهذا الجمع على ما فيه ..." يظهر منه أنه يجيز ذلك.

- قول الشيخ عند الكلام عن طرق الجمع:" وبهذا قرأت على شيوخي، وبه أقرئ غالبا"[1] وهذا الكلام صريح في أنّ عمله جارٍ على الأخذ والإقراء بهذا الجمع.

- إنّ الشيخ ذكر في كتابه في كثير من المواضع، كيفية قراءة كثير من الآيات بطريقة الجمع، فهو بهذا يقرّر عمليّا جواز هذا الفعل.

وعليه فإنّ الشيخ لا يمكن أن يعدّ ممن يحرّم الجمع مطلقا[2]، ولكنّ الإشكال باقٍ في كلامه الأوّل على أيّ شيء يحمل؟

فإن قيل إنّ كلامه يحمل على الجمع في غير حال التّلقي، كالقراءة في الصلاة، أو في المحافل ونحو ذلك، يرد هذا التوجيه كلام المؤلّف نفسه:

-حيث قال:" ... فما بالك بأمر لا يترتّب عليه كبير نفع، وربما يترتّب عليه الفساد والغلط والتخليط؛ والدّاعي إليه النفسُ لتحصيل حظوظها من الراحة، وتقصيرِ زمن

١- الغيث، ص٨.

٢- وقول الشيخ محمود خليل الحصري: "وعبارته صريحة في ذلك" يعني كراهة الجمع ومنعه مطلقا، فيه نظر فإن أراد بمجرّد العبارة الأولى فصحيح، وإن أراد أنّه قول الشيخ فيردّه ما ذكرت انظر، مع القرآن الكريم، ص٧٧.

العبادة؛ جنح إلى هذا الكُسالى والمقصرون، ووافقهم على ذلك -شفقة عليهم، وخوفا من انسلاخهم بالخير بالكلية- الأئمّة المجتهدون المشمّرون، و المُتَنَزّل لا يستدل بفعلـه فيمـا تنـزل فيه "، فهذا الكلام الذي وجّه به إنكاره يدلّ على أنّه يقصد الجمع حال التّلقي.

- وقوله أيضا:" وكان بعض الأئمة ينكره من حيث إنّه لم يكن عادة السلف، قلت وهو الصواب ..." صريح في أنّ المراد به الجمع حال التّلقي، وهو الذي أحدثه بعض أئمّة القراء، وهو نفسه الذي وقع عليه الإنكار من بعض الأئمّة، فلا يستقيم والحال هذه القول بأنّ الشّيخ قصد بإنكاره هذا الجمع في غير حال التّلقي.

-وقوله:"وإذا قلنا بهذا الجمع على ما فيه" صريح بأنّه يقصد الجمع حال التلقّي، لأنّه قد نقل فيه كلام ابن الجزري، وهو قطعا لا يعني غيره.

وإن قيل إنّ المؤلّف إنّما يقصد به ما كان عليه أهل زمانه، من إهمال شروط الجمع والتساهل في الأخذ به، بدليل قوله:" فإذا فهمت هذا تبيّن لك أنّ ما عليه أهل زماننا، وهو أنهم يأتيهم من لا يحسن[إلا][1] قراءة المكتب، ويريد أن يقرأ عليهم، فيَقرأ لقالون أحزابا من أوّل القرآن، ثم لورش كذلك، ثم يجمع لنافع كذلك، ثم المكي، ثم البصري، ثم يجمع بين الثلاثة كذلك، ثم لكلّ قارئ من الأربعة الباقين كذلك، ثم يجمع للسبعة؛ وهو لم يصل إلى إتقان القراءة مفردة، فضلا عن إتقانها مع الجمع؛ مخالف لإجماع المتقدمين والمتأخرين"[2]. وهذا التوجيه وإن كان أقرب من الأوّل إلاّ أنّ عموم كلام المؤلّف يتناول الجمع كلّه ويبقى الإشكال قائما.

هذا ما قاله الشيخ في هذه المسألة أمّا ذكر مذاهب العلماء وأدلّتهم فأكتفي بالإحالة على من بحث هذه المسألة من العلماء والباحثين[3].

١- كذا مخطوط (نسخة مصوّرة على قرص صلب)، بمتحف سيرتا بقسنطينة، الجزائر، دون رقم، لوحة، ١٠/أ؛ وسقطت من المطبوع، ص٧.

٢- الغيث ،ص٧.

٣- انظر هذه المسألة في: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميـة، ج١٣، ص٢١٨؛ منجـد المقـرئين، ص٣٣-٣٤؛ النشـر ج٢، ص١٩٤وما بعدها؛ تحفة القارئين والمقرئين في بيان حكم جمع القراءات في كلام رب العالمين؛ مع القرآن الكريم، محمود الحصـري، ص٧١ وما بعدها؛ معجم البدع، ابن أبي علفة، ص٥١٧؛ تاريخ القراءات القرآنية، ص٢٣٥ وما بعدها؛ ومما ألف في هذه المسألة: عمدة القاري والمقري في مسألة جمع القراءات في ختمة واحدة، ذكره محمد محفوظ في ترجمة الشقانصي، تراجم المؤلفين التونسيين، ج٣، ص٢٠٢؛ والآيات البينات في حكم جمع القراءات لأبي بكر الحسيني؛ انظر: الإمام المتولي، ص٣٥، هامش٨.

الفصل الرابع:

تقويم الكتاب وأثره في من بعده

وفيه مبحثان:

الأول: تقويم الكتاب

الثاني: أثره في من بعده

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول:

تقويم الكتاب

وفيه مطلبان:

الأول: مزايا الكتاب

الثاني: مآخذ على الكتاب

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الأول:

مزايـــــا الكتـــــاب

من خلال ما تقدم من مباحث تبين أن كتاب الشيخ علي النوري الصفاقسي هـــذا، قـــد انفرد عن غيره من كتب القراءات بميزات عدّة، في منهجه وأسلوبه، وفي تعاملـــه مـــع علـــم القراءات، و هذا تفصيل لبعض ما تميّز به:

- طريقة المؤلّف في ترتيب كتابه، وذلك أنّ مقصده الذي ألزم به نفســـه- وهـــو بيـــان القراءات السبع غاية البيان- أملى عليه منهجا يساعده في هذا، ففرّق القواعد التي ذكرها القرّاء من قبله، على مواضعها من القرآن الكريم، بعد أن كانت محصورة كل جملة منـــها في قواعـــد وأبواب، وربّما لم يُحْسِن تطبيقَها على مواضعها من القرآن الكريم إلاّ المتمرّسون، فأراد بذلك تسهيل هذه العقبة، وتذليلها، بالنصّ على مفردات كل قاعدة، مفردة مفردة، متّبعـــا طريقـــة المفسرين، في مشيهم على ترتيب المصحف؛ فاستوعب بذلك مسائل هذا العلم استيعابا يقـــلّ نظيره، و لم يكتف بما فعله المصنّفون في هذا العلم قبله، من ضم النظير إلى نظيره، بل أعاد ذكره في كلّ موضع، إلاّ القليل النادر ممّا لا يقع فيه الخطأ، ومما يكثر دوره ويسهل معرفة أحكامـــه، وهذا الأسلوب سهّل عملية الأخذ منه بالنّظر فيه في موضع الحرف من السورة، دون الرجـــوع إلى ما تقدم؛ فهذه الطريقة امتازت بالتفصيل، وعدم الاتّكال على الضوابط وما يفهم منها.

ثم هو لم يكتف بمجرد نثر تلك القواعد بل قد اتبع طريقة جيّدة في حصر الألفاظ الـــتي تدخلها الإمالة أو الإدغام، فإن أردت معرفة لفظ أشكل عليك حكم إدغامه أو إمالتـــه، فمـــا عليك إلا الرّجوع إلى موضعه من القرآن فستجده مفصّلا في موضعه؛ يقول المؤلّف -رحمه الله- :"...وهذا الطريق الغريب، والأسلوب العجيب، الّذي ألهمني الله إليه -مع فرط اختصاره- هو أكثر ممّا ألّفوه جمعا، وأقرب نفعا، ويقع معه الأمن من الخطأ، ولو لمـــن لـــه أدنى ملكـــة "[1]؛ ومبالغة منه في هذا ذكر في آخر كلّ سورة عدد ما فيها من المدغم الكبير والصغير؛ وفي هـــذا المجال أيضا يدخل عمله في حصره لياءات الزوائد وياءات الإضافة، هذا رغم أنّـــه ذكرهـــا في

١- الغيث، ص٩.

موضعها في الربع الذي وردت فيه من كل سورة.

فطريقته هذه تشجّع على الاطّلاع والقراءة وتسهّل البحث، حتى لغير المتخصّصين[١].

- امتاز أسلوب المؤلّف بالسهولة والوضوح وعدم التعقيد، سواء أكان ذلك في نسبة القراءات لأصحابها، أو في ضبط القراءات وكيفيات أدائها، والذي ساعده في ذلك هو حسن تقسيمه لمباحث الكتاب، فإنه بفصله لمبحثي الممال والمدغم عن غيرها من الأحكام قد تجنّب تشتيت ذهن القارئ بين مباحث الفنّ، فلولا ذلك لوجد القارئ نفسه تائها بين أحكام الهمز والإدغام والإمالة والاختلافات الفرشية، وربما اجتمع بعضها في كلمة واحدة أو كلمتين متتاليتين، والصفاقسي أوّل من سار على هذا المنهج حيث يقول:"وباب الإمالة باب مهمّ، يقع فيه لكثير من القرّاء الخطأ من حيث لا يشعرون؛ ولذلك أفرده كثير من علمائنا، كالداني والكركي بالتّأليف؛ وهذا الطّريق الغريب، والأسلوب العجيب، الذي ألهمني الله إليه، مع فرط اختصاره، هو أكثر مما ألّفوه جمعا، وأقرب نفعا، ويقع - إن شاء الله - معه الأمن من الخطأ، ولو لمن له أدنى ملكة... "[٢].

ثمّ إنّ مبحث الإدغام جزء منه مختص بقارئ واحد هو البصري فناسب إفراده بمبحث مستقل.

- لم يهمل المؤلف النّص على القواعد و الضوابط التي يذكرها العلماء في أبواب الأصول من هذا العلم، فكان يستدل بها ويرجع إليها في كثير من المواضع، وهذا يحقّق مقصد علماء القراءات في جمع أحكام القراءات في قواعد وضوابط تحفظ وتضبط، ليسهل استحضار الأحكام معها، فهو بهذا جمع بين الحسنيين بالنّص على مفردات كل قاعدة، وكذا النص على القاعدة التي تجمعها في مواضع معينة.

- إنّ المؤلف تتبّع في كتابه كثيرا من الأوهام، والأخطاء، التي وجدت في كتب القراءات

١- وقد قيل عن هذه الطريقة التي ابتكرها الشيخ النوري، إنها مسلك عجيب وتنسيق بديع، قالها أحمد أبوزيت حار شيخ معهد القراءات، وقال مثلها الشيخ رزق خليل حبة في تقريضهما لكتاب، محمد محمد سالم محيسن، المهذّب في القراءات العشر وتوجيهها من طريق طيبة النشر، ج٢، ص٤٧٧؛ وهذا الكتاب مشى على طريقة الشيخ النوري فهو إذن بسبقه حائز تفضيلاً، و مستوجب أن يكون أحقّ بهذا المدح منه.

٢- الغيث، ص٩.

قبله، فنبّه عليها بعبارات لطيفة، ليس فيها طعن ولا انتقاص ممّن وقع ذلك منهم ؛ وهذا النّقد الذي ذكرت، لم يسلم منه حتى كبار الأئمة، كالشاطبي، وشرّاح قصيدته، وغيرهم، على تفاوت أزمانهم[١].

- نبّه المؤلف في كثير من الأحيان، عمّا يمكن أن يقع فيه الطالب من الأخطاء؛ خاصّة في المسائل التي يكثر فيها الاشتباه، كإمالة بعض الألفاظ التي لا تمال، أو إدغام مالا يدغم، ونحو ذلك، كقوله: "ولاإدغام في كذا"، أو "ولا إمالة في كذا لأنه "[٢].

- اعتنى المؤلّف بتحرير القراءات عناية بالغة؛ حتّى إنّه يعدّ من أحسن من كتب في تحريرات القراءات السبع، بل إنّ بعض من جاء بعده من أئمة القراءة، قد اعتمد تحقيقات الشيخ علي النّوري في هذا الكتاب[٣].

- عنايته بتتبّع ما خرج فيه الشّاطبيّ عن طريقه، أو زاده على أصله(التيسير)، وهذه المسألة وإن كانت تدخل ضمن المسألة السابقة، إلاّ أنّها مهمّة ودقيقة، لذلك أفرد لها بعض العلماء تأليفا خاصاً[٤]، ولو أراد شخص أن يخرج من كلام الصّفاقسيّ، برسالة في هذه المسألة والتي قبلها، لما أعوزه ذلك.

- اهتمّ المؤلف في كثير من المواضع بتوضيح كيفية جمع القراءات في بعض الآيات، وذلك أنّه كثيرا ما يذكر الأوجه في الآية، ثمّ يردفها بكيفية جمعها للقرّاء، وخاصّة إذا كانت الآية مما يصعب جمعها[٥].

- اعتنى المؤلف بالنّص على الأوجه الأدائية بين السور، في عدة مواضع، وبيّن الجائز منها من الممنوع، وبهذا عدّ من الأفراد الذي عنوا بتحقيق القول في هذه الجزئية، وهو وإن لم يذكرها في كل المواضع، فقد أتى بأمثلة كثيرة يقاس عليها غيرها.

- نصّ المؤلّف على المقدّم أداءً من أوجه الخلاف، في مواضع كثيرة من كتابه، إمّا نصّا

١- انظر أمثلة في الغيث، ص: ١٦، ١٧، ٣٥، ٣٩، ٦٩، ٧٤، وغيرها كثير.

٢- انظر مثلا: الغيث، ص٥٤، ٥٥، ٥٧، ٥٩، ٦٦، ٧٣، وغيرها كثير جدا.

٣- أعني به الشيخ الضباع في مختصر بلوغ الأمنية، و سيأتي تفصيل ذلك.

٤- منهم أبو زيد ابن القاضي شيخ شيخه الأفراني، في كتابه "بيان الخلاف والتشهير وما وقع في الحرز من الزيادة على التيسير" انظر: قراءة الإمام نافع عند المغاربة، ج٢، ص، ٢١٤؛ وذكر أن منه نسخ خطية كثيرة.

٥- انظر مثلا: الغيث، ص٥٣،٣٩،٢٢، وغيرها وسيأتي مزيد تفصيل لها.

صريحا، أو بالتنبيه إليه عن طريق ذكر قوّته ورجحانه في الرواية؛ وقد استدرك المواضع التي أهمل النصّ عليها الشيخ ابن يالوشة في تأليف خاصّ[١]؛ إلاّ أن الشيخ رحمه الله تعالى لا ينص على المقدم بعبارة صريحة إلا في مواضع قليلة قال الشيخ عبد الوحد المارغني:"...إذ من عادة وسنة صاحب الغيث أنه لا ينص على المقدم أداء صريحا بل يحكي وجهي الخلف من غير مراعاة ما هو المقدم، وربما قدم في الذكر ما هو مؤخر"[٢].

– اعتنى المؤلّف بالدفاع عن القراءات، والردّ على من طعن فيها، وهو وإن لم يطل في ذلك إلاّ أنّه أصّل قواعد، يمكن للنّاظر فيها استعمالها في الردّ على كل من سلك هذا السبيل.

– إنّ هذا الكتاب حوى الكثير من مصطلحات الفنّ، وتعريفاتها وفروقها، حتى إنّه يمكن للباحث أن يعتمده من بين المصادر، في هذا المجال مثل مصطلحات: الوجه، الطريق، القراءة، الرواية، وبعض مصطلحات التجويد، كالإخفاء، القلقة، الإدغام، الإشمام، الروم،الاختلاس، وغير ذلك.

– إنّه في كثير من المسائل يبيّن ما عليه العمل، وما جرت به القراءة؛ فتجده يدعّم اختياراته وترجيحاته، بما تلقّاه عن مشايخه، وهذا لعمري مهمّ جدا لأنّ هذا العلم سنة متّبعة يأخذه الآخر عن الأوّل، ومبناه إنّما هو على التلقّي والمشافهة، وغير هذا الأصل تبع له؛ لهذا تجد الشيخ– رحمه الله– يكثر من عبارة "وبه قرأت"، "وهو الذي جرى عليه العمل"، وما شابه ذلك[٣].

– ما حواه الكتاب من علوم القراءات، كالتجويد، وعلم الفواصل، وعلم توجيه القراءات، و الوقف والابتداء، وبعضها أوفر حضا من بعض، وهو لم يغرق في شرح هذه العلوم وبيانها، لأنّ لها مؤلّفات خاصّة، وإنّما اكتفى بإيراد ما تمس الحاجة إليه، أو ما هو من قبيل التنبيه على أصول المسائل قال رحمه الله تعالى:"...وما من علم من هذه العلوم (يعني علوم القراؤات)، إلا وألفت فيه دواوين، وقد ذكر جميعَها إلاّ الأوّل، الإمامُ العلاّمة أحمد القسطلاني، في كتابه لطائف الإشارات في القراءات الأربعة عشر–رحمه الله وأثابه رضاه، آمين– فمن أرادها فلينظر مادتها، فإن ذكرها يخرجنا عن قصد الاختصار، إلا ما لا بدّ منه، فنذكره في مواضعه إن شاء

١– انظر: الأوجه المقدمة عند القراء (رسالة في المقدم أداء)، ص١٧.

٢– المصدر نفسه، هامش، ص٢٤.

٣– انظر مثلا: الغيث، ص٧٢، ٦٠، ١٧، ١٥، وغيرها.

الله تعالى"[1].

- اهتمّ المؤلف رحمه الله تعالى بالنص على أجزاء القرآن الكريم و أحزابه وأنصافها وأرباعها حتى عدّ أهمّ مصدر في معرفة هذه الجزئية من علوم القرآن.

- عمل المؤلف في أكثر من مناسبة على إيراد بعض المنظومات في مسائل متفرقة ليسهل حفظها كما عمل بدوره على تنقيح بعضها إذا شابه طول أو خلل، و أنشأ نظما لعدة مسائل ابتداء.

هذا ما ظهر لي من ميزات الكتاب والله أعلم.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

١ - الغيث، ص٦؛ وقد سبق الكلام عن عنايته بهذه العلوم في الفصل السابق.

المطلب الثاني:

مآخـــذ على الكتـــــاب

الدراسة النقدية لكتاب ما، وإبراز ما فيه من مآخذ، و هنات علمية أو منهجية، إنّما هـــو من صنيع العلماء النقّاد أهل الاختصاص، والذين هم في المستوى الذي يخوّل لهـــم ذلـــك بمـــا يمتازون به من النظر الثاقب، والفهم الدقيق؛ وليس هو من شأن صغار الطلبة ومبتدئي الباحثين، إلاّ أنّ من استنار بفهم أولئك، وأقوالهم، مع الأخذ بما يملكه من وسائل لمعرفة الصـــواب مـــن غيره، لا يكون متعدّيا لحدوده، وهذا ما يجعلني أبدي بعض الملاحظات على هـــذا الكتـــاب، مستعينا في ذلك بكلام العلماء في خصوص هذا الكتاب، أو في عموم الكتب التي شـــاركته في مثل هذه الملاحظات والمآخذ، والكمال إنّما هو لله وحده جل وعلا، والعصمة ليست إلا مـــن خصائص الأنبياء والرسل عليهم الصلاة السلام.

وإذا كان الأمر كذلك فإن المآخذ على الكتاب كالآتي:

-خصّ المؤلف بداية كل سورة بمبحث خاص في عدّ آيها، لكنّه ذكر مجرّد العدد دون التنبيه إلى مواضع الخلاف، ولو زاد ففصل تلك المواضع مثلما فعل عصريه أحمد البنا صاحب إتحاف فضلاء البشر، لكان أكمل لمادّة هذا الكتاب وأتمّ، وليس ذلك ممّا يطوّل الكتاب، ثمّ إنّ الفائدة من هذا العلم إنّما تكمن في تفصيل تلك المواضع، فذكر المؤلف لها بتلك الطريقة عري عن الفائدة، اللهمّ إلاّ مجرّد زيادة المعرفة، ولو حذفها لم يؤثر ذلك على الكتاب، بل لو فعل لكان أخصر للكتاب، والله أعلم.

- لم يفرّق المؤلّف في مبحث الممال، بين من يميل ومن يقلل، بل ساقهم مساقا واحدا، اتّكالا منه على ما بينه من قاعدة كل قارئ في المقدمة، وهذا قد يوقع في بعض العنت، ويحوج إلى استذكار تلك القاعدة في ذهنه دوما، وهذا ينافي منهج المؤلّف الذي مبناه على التفصيل والبسط، ولهذا لم يوافقه الشيخ عبد الفتاح القاضي في مسلكه هذا في البدور الزاهرة.

- أكثر المؤلّف في استعمال الوسائط في النقل، وهذا وإن لم يكن عيبا إذا كان من يعتمده من الثقاة الذين يتحرون الصحة في النقل، فلا ريب أن الأكمل هو الرجوع إلى تلك المصادر بعينها.

- اقتصر المؤلف فيما يذكره من مصادر على اسم الكتاب دون مؤلفه أو العكس، وهذا

يوقع في الارتباك لمن أراد الرجوع إلى تلك المصادر، خاصة وأنّ كثيرا من الأئمّة الذين يحيل إليهم من المكثرين في التصنيف، وأن كثيرا من الكتب لها أسماء متشابهة، زد إلى ذلك أثر اختلاف طريقة الشيخ عن طريقة من تقدمه من جهة عدم اتفاق الطريقتين في موضع ذكر اللفظة، فهي في الغيث في موضعها من القرآن، أمّا في غيره فقد تكون في الأصول، وقد تكون مع الفرشيات في سورة غير التي ذكرت في الغيث.

– إن المؤلّف ينقل كثيرا من الأقوال والاختيارات دون نسبة لأصحابها، وأكثر ما استعمل ذلك مع الإمام ابن الجزري، رغم أنّ هذا الأخير أكثر الأسماء تردّدا في الكتاب، وليس ذلك مما تصرّف فيه المؤلف في عبارته حتى يعتذر له بذلك وإنما هو أخذه بنصه أو بتصرف يسير جدا.

– يكتفي المؤلّف في بعض الأحيان، بالإحالة إلى مواضع سابقة وهذا مخالف لمنهجه الذي يلزمه بذكر كل موضع في مكانه.

– قال الشيخ علي النّوري:" ﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾[الفاتحة/٥]، و﴿صِرَٰطَ﴾[الفاتحة/٦] قرأهما قنبل حيث وقعا بالسين، وخلف بإشمام الصاد الزاي وخلاد مثله في الأوّل خاصّة في هذه السورة فقط "[١]

فالشيخ اقتصر على الإشمام فقط لخلّاد متابعا في ذلك الشاطبي، بينما نجد غيره من المحرّرين نبّهوا إلى أن له الصاد الخالصة أيضا.

قال الضباع:" اقتصر الناظم – كالدّاني في التيسير – على إشمام ﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾ هنا لخلاد وذكر له في باب السكت الوجهين في "ال" و "شيء"، وفي النشر، وجامع البيان، ما يفيد أنّ الدّاني، قرأ على أبي الفتح[٢] بالإشمام مع عدم السكت، وقرأ على أبي الحسن بالسكت وعدم الإشمام، فما فعله الناظم يقتضي تركيب السكت على الإشمام، والمخلص منه أن يؤخذ بعدم الإشمام أيضا، ويقرأ بالإشمام مع ترك السكت، ثمّ بعدم الإشمام مع السكت "[٣].

وقال عبد الفتاح القاضي: " في هذا الموضع لخلاد الإشمام والصاد خالصة، فاقتصار الناظم

١– الغيث، ص ١٤.

٢– هو أبو الفتح فارس بن أحمد بن موسى أبو افتح الحمصي مؤلف كتاب المنشا في القراءات الثمان؛ (ت٤٠١هـ)؛ معرفة القراء، ج١، ص٣٧٩.

٣– إرشاد المريد، ص٣٢.

على الإشمام فيه قصور"[١].

وقال الحصري[٢]: "...واقتصر له على هذا الوجه في الحرز والتيسير، والأولى الأخذ بالوجهين، كما نبّه عليه العلاّمة المتولي في روضه "[٣].

- قال الصفاقسي: "﴿عِندِيٓ أَوَلَمۡ﴾[القصص/٧٨]قرأ البصري والحرميان بخلف عن المكي، بفتح ياء ﴿عِندِيٓ﴾؛ والباقون بالإسكان، وهو الطريق الثاني للمكي"[٤].

فالمؤلّف أطلق الخلاف عن ابن كثير تبعا للشاطبي وغيره، بينما قيّده ابن الجزري فقال:"...وأطلق الخلاف عن ابن كثير الشاطبي والصفراوي وغيرهما، وكلاهما صحيح عنه غير أنّ الفتح عن البزّي لم يكن من طريق الشاطبيّة والتّيسير، وكـــذلك الإسكان عن قنبل، والله أعلم"[٥].

فهذا النقد متوجّه إلى الصفاقسي أيضا، وهو على غير عادته في تتبع ما خرج عن طرق التّيسير، ومتابعة ابن الجزري في ذلك، وربّما هذا سهو منه في هذا الموضع، ولا أظنّه خالف ابن الجزري في هذا عن قصد، لأنّه لو فعل هذا لنبّه إليه وبيّنه، خاصّة وأنّه عمدته في تحقيق مثل هذه المسائل، وقد وافق ابنَ الجزري في هذا كثير من المتأخرين، - رحمهم الله تعالى- كصاحب الإتحاف، و الجمزوري، والضباع، وعبد الفتاح القاضي[٦].

- قال الصفاقسي: "﴿تُخۡرَجُونَ﴾[الروم/١٨]قرأ ابن ذكوان بخلاف عنه، والأخوان بفتح حرف المضارعة وضم الراء، والباقون بضم التاء وفتح الراء، وهو الطريق الثاني لابن ذكوان"[٧].

١- الوافي شرح الشاطبية، ص٤١(الهامش).

٢- الحصري هو: محمود خليل الحصري، من مشاهير قراء مصر، ذو صوت حسن وأداء جيّد فريد، عيّن مفتشا للمقارئ المصرية، ثمّ شيخا لها، سجل القرآن في الإذاعة بعدة روايات، وله عدة كتب منها: أحكام قراءة القرآن، معالم الاهتداء إلى معرفة الوقوف والابتداء، وغيرها، انظر: مجلة أكتوبر، ص٣٤، العدد، ٦٦، من سنة ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، نقلا عن الإمام المتولي، ص١٧٥، هامش ٢.

٣- القراءات العشر، ص٢٩؛ وانظر: النشر، ج١، ص٢٧٢.

٤- الغيث، ص ١٢٥.

٥- النشر ١٦٥.

٦- انظر: إتحاف فضلاء البشر،ج١، ص٣٣٥؛ كنز المعاني، ص١٥٩؛ البدور الزاهرة، عبد الفتـــاح القاضـــي، ص٣٤٣؛ والـــوافي في شـــرح الشاطبية، ص١٥٥؛ إرشاد المريد، ص١٣٠.

٧- الغيث، ص١٢٧.

قال الشيخ عبد الفتاح القاضي: "ولكن حقّق في النشر أن طريق الأخفش -وهي طريق الشاطبية- بفتح التاء وضم الراء، وقال لا ينبغي أن يؤخذ من التيسير بسواه"[١].

وقال الشيخ عبد الرزاق موسى: "وذِكْرُ الشاطبيِّ الخلاف فيه لابن ذكوان فيه نظر، فإن صاحب النشر حقق أنه هنا بالفتح وضم الراء، من طريق الأخفش -وهي طريق الشاطبية- وأنّ الداني قرأ به على شيخه، كما ذكره في المفردات، و لم يذكره في التيسير هكذا؛ ولا ينبغي أن يؤخذ من التيسير بسواه والله أعلم "[٢].

قال الصفاقسي: "﴿يَرْضَهُ﴾[الزمر/٠٨]: ذكر الصفاقسي هشام الوجهين الإسكان والضم من غير صلة؛ قال الشيخ عبد الفتاح القاضي:" ولكن صاحب النشر ذكر أن الإسكان له ليس من طرق التيسير والشاطبية، وإن كان صحيحا عنه، وعلى هذا ينبغي الاقتصار له على وجه الضم مع عدم الصلة والله أعلم"[٣].

- أهمل المؤلّف - رحمه الله تعالى - في كثير من الكلمات المهموزة، النصَّ على كيفية الوقف عليها لحمزة وهشام، رغم خفائها؛ تمشيا منه مع منهجه في النصّ على ما يجوز الوقف عليه دون غيره، معتمدا في رأيه هذا على أن الكلمات التي لا يجوز الوقف عليها في مواضع، لها نظائر أخرى تماثلها في مواضع يجوز الوقف عليها.

وهذه الطريقة وإن كانت من الشيخ - رحمه الله تعالى - على وجه الحض على تعلم الوقف والابتداء والعناية به، واتكالا على الإحالة إلى مواضع يصح الوقف عليها، أقول رغم ذلك، فإنّه خلاف منهجه المبني على التفصيل، والنصّ على مفردات القواعد، في أماكن ورودها من القرآن الكريم، وكان بإمكان الشيخ تحقيق مقصده بالنص على حكم الوقف في المواضع التي لا يصح فيها، ولهذا نجد الشيخ عبد الفتاح - رحمه الله تعالى - قد تخطّى هذا القيد، و لم يلتزم ما التزمه الصفاقسي، ولكنّه في نفس الوقت، لم ينبه على عدم صحة الوقف فيما لا يصح الوقف عليه، فكل منهما أهمل جانبا معيّنا، و الشيخ القاضي في ذلك أعذر لأنّ علم الوقف

١- البدور الزاهرة، ص٣٤٩؛ وانظر: النشر ج٢، ص٢٦٧، ٢٦٨؛ إتحاف فضلاء البشر، ج٢، ص٤٥؛ القراءات العشر، محمود الحصري، ص٢٢٧؛ و لم ينبّه الشيخ القاضي في الوافي على هذا: انظر، ص٢٢٢؛ ومثله إرشاد المريد، ص١٨٦.

٢- كنز المعاني، ص٢٠٩، (هامش)، وأحال إلى النّشر وحلّ المشكلات للخليجي.

٣- البدور الزاهرة، ص٣٨٢؛ وانظر: الغيث، ص١٣٩، ١٤٠؛ القراءات العشر، محمود الحصري، ص٤٥؛ تقريب النفع، الضباع، ص٢٥.

والابتداء له مظانه التي يطلب فيها، أمّا علم القراءات ووجوهه فهذا الكتاب وأمثاله مظنة وجوده، فإن لم يذكر هنا فأين يذكر، والله أعلم.

- أهمل الصفاقسي النص على حكم بعض الكلمات في مواضعها من السور رغم أنها بحاجة إلى تحقيق وكشف فمن ذلك:

• أهمل المؤلف عند كلامه عن الممال في سورة الحشر عدّ كلمة ﴿قُرَى﴾ في قوله تعالى:﴿قُرًى مُّحَصَّنَةٍ﴾[الحشر/١٤][١]رغم أنّ فيها الإمالة وقفا، وهذا خلاف منهجه في الباب حيث يقول:" وأذكر ما في الربع من الألفاظ الممالة، وأضمّ كل نظير إلى نظيره... إذ ما من لفظ من القرآن ممال إلا وهو مذكور موضعه مع نظائره في الربع، معزوّا لقارئه "[٢]، ومن ينظر إلى هذا الموضع بادي الرأي، يظنّ أن المؤلّف يذهب مع من يذهب إلى فتح المنوّن من هذه الكلمة ونحوها، حيث لم يعدّه، والصّواب أنّه ذهل عن هذا، فقد عدّ رحمه الله تعالى نفس الكلمة في موضع آخر في سورة سبأ من الممال[٣]، ثمّ هو قد بيّن مذهبه في هذه الكلمة ونظائرها من المنوّن في بداية الكتاب، وذكر المذاهب فيها و أنكر على من أجرى فيها الخلاف، وصوّب إمالتها مطلقا حال الوقف[٤]؛ وقد نصّ القاضي على إمالة هذه الكلمة، وكذلك الضباع[٥].

• قدّمت أن الشيخ النّوري رحمه الله تعالى ذكر في كثير من المواضع، الأوجه الأدائية بين السور، الجائز منها والممنوع، وقد خالفه في بعض تلك الوجوه الضباع رحمه الله تعالى، فيمكن جعل هذه المخالفة من قبيل ما انتقده الضباع على الصفاقسي.

هذا وتفصيل ما خالفه فيه وإعطاء أمثلة عن هذا، يطيل المقام، كما أنّ هذه المسائل صعبة التحرير، لدقتها، وكثرة الوجوه والتفريعات[٦].

١-الغيث، ص ١٦٢.

٢- الغيث، ص٩.

٣ - وهي قوله تعالى﴿قُرًى ظَٰهِرَةً﴾[سبأ/١٨] انظر: الغيث، ص ١٣٣.

٤ -الغيث، ص٢٠.

٥ - البدور الزاهرة، عبد الفتاح القاضي، ص٤٤٢؛ شرح مختصر بلوغ الأمنية، ص ٢٢.

٦- قارن بعض الوجوه التي ذكرها الشيخ الصفاقسي مع ما ذكره الضباع في كتابه القول المعتبر في الأوجه بين السور تجد ما قلته صحيحا، هذا رغم أن إشادة المؤلف بالصفاقسي وعلمه، وأنبه إلى الشيخ الضباع قد يخالفه في تحديد المواضع التي يفرع عنها هذه الوجوه بزيادة بعض الكلمات أو نقصانها، ولذلك يختلف عدد الأوجه بين الشيخين رحمهما الله تعالى.

المبحث الثاني:

أثر الكتاب فيمن بعده

وفيه ثلاث مطالب:

الأول: أثره في الشيخ المارغني

الثاني: أثره في الشيخ الضباع

الثالث: أثره في الشيخ عبد الفتاح القاضي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الأول:
أثره في الشيخ إبراهيم المارغني

أولا: ترجمة الشيخ إبراهيم المارغني[١]

هو إبراهيم بن أحمد بن سليمان المَارِغْني، ولد بتونس عام إحدى وثمانين ومائتين وألف من الهجرة (١٢٨١هـ/١٨٥٦م)؛ حفظ القرآن في صغره، ثم التحق بجامع الزيتونة، فقرأ على مشايخه وحصل منه شهادة التطويع، عام تسع وتسعين ومائتين وألف (١٢٩٩هـ/١٨٨٢م).

ومن شيوخه بالجامع: الشيخ عمر بن الشيخ[٢]، مفتي المالكية، وكان من أخص تلاميذه؛ والشيخ سالم بوحاجب[٣]؛ والشيخ محمود بن الخوجة الحنفي[٤]؛ والشيخ محمد بن النجار[٥]؛ وغيرهم.

وأمّا في علوم القراءات فشيخه هو الشيخ محمد بن يالوشة الشريف، أخذ عنه القراءات والتجويد، وتخرّج به في القراءات السبع والعشر؛ وصاهره في ابنته، وصار خليفته في علمه وخطته.

تخرج على الشيخ المارغني الكثير منهم: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور[٦]، والشيخ عبد الواحد المارغني ولده[٧]، وغيرهم.

١- تراجم المؤلفين التونسيين، ج٤، ص٢٩٩؛ هداية القاري، ج٢، ص٦٨٠؛ معجم المؤلفين، ج١، ص٤١؛ كشف الظنون، ج٢، ص٢٤٦، ٤٤٨، ٦٦٨؛ وانظر أيضا ترجمته في مقدّمة رسالته "تحفة القارئين والمقرئين في حكم جمع القراءات" ص٦، ٧، ٨؛ وأحال محققاها أيضا إلى رسالة المؤلّف"بغية المريد شرح جوهرة التوحيد" ص١٣٣ــ ١٣٨.

٢- هو أبو حفص عمر بن الشيخ أحمد المعروف بابن الشيخ، عالم تونسي تولى عدة وظائف منها الفتيا والقضاء، (ت١٢٢٧هـ)، شجرة النور، ص٤٢٠.

٣- هو سالم بن عمر بوحاجب النيلي التونسي، تولى التدريس بالزيتونة، ثم الفتيا، له شرح على ألفية ابن عاصم في الأصول، (ت١٣٤٢هـ/١٩٢٣م)؛ شجرة النور، ص٤٢٦، الأعلام، ج٣، ص٧١.

٤- هو محمود بن أحمد بن الخوجة، تولى التدريس بالزيتونة، ثم مشيخة الإسلام، (ت١٣٢٩هـ)؛ شجرة النور، ص٤٢٩.

٥- هو أبو عبد الله محمد بن عثمان النجار، شغل منصب الإفتاء، وله عدة رسائل، (ت١٣٣١هـ)؛ شجرة النور، ص٤٢٦.

٦- هو العلاّمة المفسّر محمد الطاهر بن عاشور، شيخ جامع الزيتونة وفروعه، من أشهر مؤلفاته: التحرير والتنوير، مقاصد الشريعة، (ت١٣٩٣هـ/١٩٧٣)، الأعلام، ج٦، ص١٧٤.

٧- هو من علماء القراءات المعاصرين درس بجامع الزيتونة، له تعليقات على كتب والده وكتب جدّه لأمه ابن يالوشة، توفي في العقد الثاني من

ولي الشيخ عدّة وظائف منها:

تدريس التجويد والقراءات، التدريس بالمدرسة العصفورية، وقد درّس أغلب العلوم حتى وافاه الأجل – رحمه الله – يوم الأحد ثالث ربيع الأول عام تسع وأربعين وثلاثمائة وألف(١٣٤٣هـ).

ألف الشيخ المارغني عدة مؤلفات منها:

- بغية المريد شرح جوهرة التوحيد.
- شرح على المنظومة البيقونية.
- طالع البشرى على العقيدة السنوسية الصغرى.

وفي علوم القراءات:

- النجوم الطوالع شرح الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع، وهو من أشهر المؤلفات وأحسنها.
- كتاب في القراءات السبع على نسق غيث النفع أوجز منه وأوضح.
- دليل الحيران شرح مورد الظمآن للخرّاز، اختصره من شرح ابن عاشر[1] مع بعض الزيادات من غيره.
- تنبيه الخلان على الإعلان بتكميل مورد الظمآن لابن عاشر.
- حاشية على شرح ابن القاصح على الشاطبية لم يتمّها.
- رسالة في حكم جمع القراءات سمّيت " تحفة المقرئين والقارئين في بيان حكم جمع القراءات في كلام رب العالمين ".
- رسالة في البسملة "القول الأجلى في كون البسملة من القرآن أو لا ".

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

هذا القرن الهجري، هداية القاري، ج٢، ٦٦٣.

١- هو عبد الواحد بن أحمد بن عاشر الأنصاري الأندلسي أصلا الفاسي منشأ وداراً، كان إماما فقيها مقرئا من تآليفه، مختصره الفقهي المشهور، وشرحه على مورد الظمآن وغيرها، ت(١٠٤٠هـ)؛ انظر: خلاصة الأثر، ج٣، ص٩٦، ٩٧.

ثانيا: تأثره بالشيخ علي النوري

يظهر أثر الشيخ عليه في أمور:

١- ينتهي سند الشيخ المارغني في القراءات إلى الشيخ علي النوري فقد أخذ عن شيخه ابن ياللوشة وهو عن الشيخ البشير التواتي[١] وهو عن الشيخ محمد بن الرايس التونسي وهو عن محمد المشاط التونسي وهو عن حمودة بن محمد بن إدريس الحسني[٢] وهو عن الشيخ محمد الحرقافي الصفاقسي عن الشيخ النوري[٣].

وإذ الأمر كذلك فالشيخ المارغني خريج مدرسة الشيخ علي النوري ولا ريب أن يكون لها عليه كبير الأثر في ترجيحاته واختياراته في هذا العلم .

٢- ألّف الشيخ المارغني كتابا في القراءات السبع على طريقة غيث النفع قال عنه مترجموه:كتاب في القراءات السبع على نسق غيث النفع أوجز منه وأوضح"وهذا يدل على أمرين:

الأول: أن الشيخ المارغني متأثر بطريقة صاحب الغيث في بيان القراءات السبع وعرضه لمباحث الفن.

الثاني: أن في قولهم" أوجز منه وأوضح" دلالة على شدة تعلق هذا الكتاب بكتاب الغيث، ولا يبعد أن يكون هذا الكتاب اختصارا وتهذيبا لغيث النفع، بحذف المناقشات، وبعض التحقيقات والردود الطويلة، وبعض التحريرات وكيفيات جمع بعض الآيات، والأوجه بين السور، ونحوها ممّا طوّل به صاحب الغيث كتابه.

هذا ولو تسنّى لي الاطلاع على هذا الكتاب لاستغنيت باليقين عن الظنّ والتخمين، والله أعلم.

٣- يقول الشيخ علي النوري الصفاقسي: "... ونيّتي إن أمهلني الله ويسّر لي، أن

١- هو محمد بن محمد الطاهر التواتي، كان شيخ القراءات بتونس في عصره ت(١٣١١هـ/١٨٩٢م)؛ انظر: تراجم المؤلفين التونسيين، ج١، ص١٩٢.

٢- هو محمد سهر حمودة بن إدريس الحسني الشريف التونسي، أبو عبد الله؛ من علماء القراءات؛ أخذ عن الحرقافي تلميذ الشيخ النوري، له نظم في أوجه آلان؛ انظر: تراجم المؤلفين التونسيين، ج١، ص٤٢.

٣- فهرس الفهارس، ج١، ص٢٣١.

أجعل تأليفا، أنبّه فيه على ما هو ضعيف لا يقرأ به في شرح ابن القاصح؛ لأنّي رأيت أكثر القراء معتنين به، وربما قرؤوا بجميع ما فيه، لعدم تفريقهم بين الضعيف وغيره؛ والله الموفق"[١].

و عملا من المارغني على تحقيق هذه الأمنية التي طالما راودت الصفاقسي، قام بتأليف حاشية على هذا الكتاب أعني شرح ابن القاصح، كما سبق في مؤلفاته، وأغلب الظن أنها في تتبع الأوهام التي وقع فيها ابن القاصح، وعلى هذا يكون عمل الشيخ المارغني – وإن لم يتم – اقتناعا منه بأهمية ما نبّه إليه الصفاقسي، وضرورة العمل على تحقيق مقصده، لاسيّما وأنّ هذا الكتاب بقي من أشهر الشروح وأكثرها تداولا، تماما كما كان في عصر الإمام الصفاقسي رحمه الله تعالى.

٤– ومن تأثر الشيخ المارغني بالنوري، تلك الاقتباسات والإفادات التي ينقلها من الغيث بتصريح تارة، وبدون تصريح، بالحرف والعبارة تارة وبالمعنى تارة أخرى ومن أمثلة ذلك:

قوله في شرح نظم ابن بري[٢]:"

وَالسَّكْتُ أَوْلَى عِندَ كُلِّ ذِي نَظَرْ لِأَنَّ وَصْفَهُ الرَّحِيمَ مُعْتَبَرْ

قال: "... على أنّ ما ذكروه من القبح غير مسلّم، إذ قد وقع في القرآن العظيم كثير من ذلك، كقوله﴿ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ﴾[البقرة/٢٥٤]، ﴿ٱلْعَظِيمُ لَآ إِكْرَاهَ﴾[البقرة/ ٢٥٤-٢٥٥] ،﴿ٱلْمُحْسِنِينَ وَيْلٌ﴾[المرسلات/٤٤-٤٥]، وليس في ذلك قبح إذا استوفى القارئ الكلام الثاني وتممه؛ فإن قلت: تقدّم في باب التعوذ، أنّه إذا كان في أوّل القراءة اسم جلالة نحو:﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ فالأولى أن لا يوصل التعوّذ بالجلالة، لما فيه من البشاعة، وهذا منه؛ فالجواب: إنّ التعوّذ ليس من القرآن كما تقدّم، فلا يأتي فيه ما يأتي في القرآن، بعضه مع بعض، لأنّه كالشيء الواحد، والحاصل أنّ التّفرقة بين هذه السور

---

١ – تنبيه الغافلين، ص٨٢.

٢– هو أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن محمد بن الحسين الرباطي المعروف بابن بري، عالم بالقراءات واللغة، من كتبه منظومته في قراءة نافع، (ت٦٨٦هـ)، النجوم الطوالع.

وغيرها بما ذكروه، ضعيفة؛ ومذهب الأكثرين عدم التّفرقة؛ لكن الّذي استقرّ عليه أمرنا في الإقراء، اعتبار قبح اللفظ في السور الأربع، تبعا للقائلين به، إلا أنّا لانفصل بالبسملة، بل الساكت يجري على أصله، والواصل له السكت فقط، ويسقط له من أوجه البسملة وصلها بأول السورة؛ وهذا هو الذي يقتضيه كلام النّاظم، وهو المأخوذ به، كما يعلم من غيث النفع."[1].

فهذا الكلام منقول من الغيث، إلاّ أنّ المؤلّف تصرّف في بعض العبارات، ويظهر منه موافقة الشيخ المارغني لما رجّحه الصّفاقسي، وما استدلّ به على ضعف التفرقة تلك.

ومما يلفت النظر أيضا في هذا النص قوله: "وهو المأخوذ به كما يعلم من غيث النفع"، وهذا يوحي بمكانة كتاب غيث النفع وما رجحه مؤلفه، وكأنّ المؤلّف بالإحالة عليه قد قطع دابر الخلاف في هذه المسألة؛ وقد تكررت مثل هذه العبارة في مواضع أخرى، ومما يوضح قوة سيطرة كتاب الغيث على الإقراء في تونس في عصر المؤلف أنّه رغم مخالفة المارغني في مسألة تسهيل الهمزة للصفاقسي لم يجر العمل بذلك بل العمل على ما رجّحه الصفاقسي.

– ومما نقله أيضا عن الغيث قوله:" قال العلامة الشيخ سيدي علي النوري في غيث النفع وهو أي الإخفاء في ﴿تَامَنَّا﴾ [يوسف/١١]أن تضعف الصوت بحركة النون الأولى بحيث إنك لا تأتي إلا ببعضها، وتدغمها في الثانية إدغاما غير تام لأن التامّ يمتنع مع اروم لأن الحرف لم يسكن سكونا تاما فيكون أمرا متوسطا بين الإظهار والإدغام ولا يحكم هذا إلا الأخذ من أفواه المشايخ البارعين العارفين الآخذين ذلك عن أمثاله والله الموفق"[2].

– ومنه أيضا قوله:" ونظمها الشيخ سيدي علي النوري في بيتين فقال:

إِذَا جَاءَ شَيْءٌ مَعْ كَآتٍ فَأَرْبَعٌ تَوَسُّطُ شَيْءٍ مَعْ ثَلاَثَةٍ بِهِ أَجِزْ
وَتَطْوِيلُ شَيْءٍ مَعْ طَوِيلٍ بِهِ فَقَطْ كَذَا عَكْسُهُ فَاعْمَلْ بِتَحْرِيرِهِ تَفُزْ"[3]

١- النجوم الطوالع، ص٢٩، ٣٠، وانظر: الغيث، ص١٦٨، ١٦٩.

٢- المصدر نفسه، ص١٩٥.

٣- النجوم الطوالع، ص٥٩، ٦٠.

٥- اعتنى المؤلف بضبط المقدم أداء من أوجه الخلاف كما فعل الشيخ النوري رحمه الله تعالى، يقول موضحا ذلك: " ذاكرا للوجه المقدم في الأداء من وجهي أو وجوه الخلاف المعول عليه"[١].

٦- عناية الشيخ إبراهيم المارغني بتحقيقات وتحريرات الشيخ علي النوري ومن أمثلة ذلك ما ذكره في تحرير الأوجه الأدائية في قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا .... وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ﴾ قال: " والمقروء به لورش من طرق الشاطبية خمسة أوجه فقط وهي القصر في مدي البدل وفي حرف اللين مع الفتح في التقوى ثم التوسط في مدي البدل مع القصر في حرف اللين، والتقليل في التقوى، ثم التوسط في مدي البدل وحرف اللين مع التقليل في التقوى، ثم الطويل في مدي البدل مع القصر في حرف اللين، ومع الفتح والتقليل في التقوى" إلاّ أنه هنا خالف الشيخ النوري في ترتيب الأوجه فقال:" وقدم في غيث النفع الوجه الثالث فجعله ثانيا، والثاني ثالثا، وما ذكرناه نصّ عليه غيره؛ وهو الأظهر"[٢].

٧- ومن تأثره متابعته للشيخ النوري، وابن الجزري من قبله، في النصّ على المواضع التي خالف فيها الشاطبيّ أصله، وخرج فيها عن طرقه؛ وينحصر الكلام هنا فيما كان منها في قراءة نافع وهي:

• انتقد على ابن بري إهماله لوجه الإسكان في الكلمات الأربع: ﴿فَنِعِمَّا﴾[البقرة/٢٧٠]،﴿لَا تَعَدُّوا۟﴾ [النساء/١٥٣]، ﴿يَهِدِّىٓ﴾[يونس/٣٥]، ﴿يَخِصِّمُونَ﴾[يس/٤٨] ونص على صحته، وتقديمه في الأداء لقالون[٣].

•تضعيفه لإثبات الياء في لفظتي:﴿ٱلتَّلَاقِ﴾ [غافر/١٤]، ﴿ٱلتَّنَادِ﴾[غافر/٣٢]، لقالون [٤].

١- المصدر نفسه، ص٣، ٤.

٢- المصدر نفسه، ٦١، ٦٢.

٣- النجوم الطوالع، ص١٨٥، ١٨٦؛ وقارنها بالغيث، ص ٣٧، ٥٢، ٧٧، ١٣٦، على الترتيب.

٤- النجوم الطوالع، ص ١٨١، ١٨٢.وانظر الغيث، ص١٤١.

• انكاره للخلاف في مدّ:﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ﴾ [البقرة/٢٢٣]؛ وتصويبه بأن فيها القصر فقط[١].

•تضعيفه لإمالة الهاء والياء لقالون، في قوله تعالى:﴿كٓهيعٓصٓ﴾ [مريم/١٠][٢].

• أنكر إجراء الخلاف في إمالة المنوّن حالة الوقف[٣].

وقريبا من هذا المجال، ردّه لبعض الأوجه الضعيفة التي ذكرها بعض المصنّفين فمنها:

• أنكر على من فرّع على مد البدل واللين تسعة أوجه في كلمة ﴿سَوْءَٰتِكُمْ﴾ [الأعراف/٢٥]، وصوّب كونها أربعة فقط، إلاّ أنّه خالف الشيخ النوريّ رحمه الله تعالى في ترتيب هذه الأوجه[٤].

• ردّه على من توهّم دخول إجراء الإبدال لورش في همزتي: ﴿ءَآمَنتُم﴾[الأعراف/١٢٢، طه/٧٠، الشعراء/٤٨]، ﴿ءَأَٰلِهَتُنَا﴾[الزخرف/٥٨]، وصوّب التسهيل فقط[٥].

• ردّه على من مدّ ألف الإدخال لقالون[٦].

٦ – ومما يظهر الأثر الطيب من الشيخ علي النوري على المارغني ثناءه عليه ووصفه بالعلامة المحقق وغير ذلك من أوصاف التبجيل والاحترام.

هذا وإظهار أثر الشيخ النوري على كتب المارغني في علم القراءات، لا يفي به مجرّد كتابه هذا، أعني النجوم الطوالع، فهو مع أنّه كتاب وحيد لم يتناول من القراءات إلا قراءة نافع؛ وعلى العموم فإنّ فيما حاولت إظهاره صورة مبسطة ومختصرة عن أثر صاحب غيث النفع وكتابه، في المارغني، وربّما لو تهيأ لي الاطلاع على مؤلفاته الأخرى، وخاصّة كتابه الذي جارى فيه كتاب الغيث، لكان العمل أتمّ وأوسع، والله أعلم.

---

١ – النجوم الطوالع، ص ٥٧؛ وانظر: الغيث، ص٣٥.

٢ – النجوم الطوالع، ١٣١؛ وانظر الغيث، ص١٠٢.

٣ – النجوم الطوالع، ص١٣٥؛ وانظر الغيث، ص٢٠.

٤ – النجوم الطوالع، ٦٠ ٦١ ٦٢؛ وانظر الغيث، ص ٦٦.

٥ – النجوم الطوالع، ص٧٠؛ وانظر: الغيث، ص٦٩.

٦ – النجوم الطوالع ص٦٩؛ وانظر: الغيث، ص ١٧.

المطلب الثاني :
أثره في الشيخ علي الضباع

أولا: ترجمة الضباع[١]

هو علي بن محمد بن حسن بن إبراهيم الملقب بالضباع، مصري، علاّمة كبير، وإمام مقدّم في التجويد، والقراءات، والرسم العثماني، وضبط المصحف الشريف، وعدّ الآي، وغيرها.

أخذ القراءات عن الشيخ حسن الكتبي[٢]، والشيخ عبد الرحمن الشعار[٣]، وغيرهما.

وأخذ عنه جمع كثير، من أهل مصر ومن غيرها، أذيعهم صيتا الشيخ عبد العزيز عيون السود[٤] شيخ القراء بحمص سوريا وغيره.

ولي مشيخة عموم المقارئ والإقراء، بالديار المصرية، وكتب في أنواع علوم القراءات، فأحسن وأجاد، وكان تقيا زاهدا ورعا، متواضعا، لا يفتر عن تلاوة القرآن.

توفي – رحمه الله – سنة ست وسبعين وثلاثمائة من الهجرة (١٣٧٦هـ/١٩٦١م).

ترك مؤلفات كثيرة في علم القراءات وفروعه منها:

- إرشاد المريد إلى مقصود القصيد، شرح على الشاطبية؛ وله آخر كبير سماه "إنشاد الشريد من معاني القصيد ".
- البهجة المرضية شرح الدرة المضيّة.
- الأقوال المعربة عن مقاصد الطيبة.
- هداية المريد إلى رواية أبي سعيد.

١- انظر ترجمته في:هداية القاري، ج٢، ٦٨٠، ٦٨٣.

٢- هو حسن يحي الكتبي صهر المتولي وتلميذه، و لم أجد له ترجمة إلا هذه، انظر: الإمام المتولي، ص١٣٠.

٣- هو عبد الرحمن بن حبيب الخطيب الشعار، من تلاميذ المتولي، كان حيا سنة (١٣٣٨هـ/ ١٩٢٠م)، : الإمام المتولي، ص١٣٠.

٤- هو عبد العزيز بن الشيخ محمد بن الشيخ عبد الغني عيون السود، عالم بالشريعة والعربية والقراءات، تولى مشيخة دور الإقراء بحمص وأمانة دار الإفتاء، أخذ عنه جم غفير منهم محمد تميم الزعبي، و الشيخ نعيم النعيمي الجزائري، وغيرهم (١٣٩٩هـ)؛ هداية القاري، ج٢، ص٦٥٦.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- الجوهر المكنون شرح رواية قالون.
- المطلوب في بيان الكلمات المختلف فيها عن أبي يعقوب (الأزرق).
- صريح النص في بيان الكلمات المختلف فيها عن حفص.
- الإضاءة في بيان أصول القراءة بالنسبة للقراء العشرة.
- مختصر بلوغ الأمنية شرح نظم تحرير مسائل الشاطبية.
- الدر النظيم شرح فتح الكريم في تحرير الطيبة.
- قطف الزهر من ناظمة الزهر، في علم الفواصل.
- سمير الطالبين في رسم وضبط الكتاب المبين.

تأثره بالصفاقسي:

المطالع لكتب الشيخ علي الضباع -رحمه الله تعالى- يرى تأثره بالشيخ علي النوري الصفاقسي، بوضوح كبير سواء بالإحالة إليه، أو الإفادة منه، أو متابعته في بعض ترجيحاته، وأكثر ما يظهر ذلك في كتابه مختصر بلوغ الأمنية؛ وبمطالعة ما أتيح لي من كتبه ظهر لي تأثّره بالصفاقسي في الجوانب التّالية:

١- تعظيمه للشّيخ الصفاقسي، وثناءه عليه، ووصفه بالتحقيق والتحرير؛ فمن أقواله فيه:

قوله: " ... نبّه على ذلك كثير من الأئمة المحققين، كالإمام علم الدّين السخاوي، والعلاّمة محمّد ابن محمّد الأفراني، وتلميذه سيدي علي النوري "[١].

وقوله: " قال العلامة الصفاقسي في غيث النفع "[٢].

وقال: " ...كما جرى عليه العلامة الصفاقسي في غيثه "[٣].

٢- كثرة النقول عن الشيخ الصفاقسي الذي برز بقوة في شرحه على مختصر بلوغ الأمنية، فقد اقتبس من الغيث نصوصا، وتحقيقات كثيرة.

وأكتفي لبيان هذا بمثالين اثنين فقط:

١- القول المعتبر في الأوجه بين السور، ص، ٣٧.

٢- المصدر نفسه.

٣- شرح رسالة قالون، ص٣٤.

قال الضباع في شرح قول الحداد[١]:"

"وقبل سكون قف بما في أصولهم كذلك ما في الوقف نون مسجلا"

قال:"... وما ذكره الإمام الشاطبي في قوله:

وَقَدْ فَخَّمُوا التَّنْوِينَ وَقْفاً وَرَقَّقُوا .....

قال في الغيث: منكر لا يوجد في شيء من كتب القراءات بل هو كما قال المحقق: مذهب نحوي لا أدائي، دعا إليه القياس لا الرواية. اهـ ؛ فإن قلت: قولك لا يوجد ممنوع، بل هو في شرّاحه، لأنهم قد حكوا ثلاثة مذاهب: الفتح مطلقا، والإمالة مطلقا، الثالث الإمالة في المرفوع والمجرور، وفتح المنصوب. قلت: شراحه ومن بعدهم، مقلّدون لشارحه الأوّل، أبي الحسن السخاوي، فهم وإن تعدّدوا حكمهم حكم رجل واحد، و لم أر أحدا منهم صرّح أنّه قرأ به، بل صرّحوا أنهم قرؤوا بالإمالة مطلقا، وهو الحق الذي لا شك فيه؛ و لم يذكر الداني – رحمه الله تعالى – في كتاب الإمالة، ولا غيره سواه؛ وحكى غير واحد من أئمتنا الإجماع عليه؛ فإن قلت: ذكره مكي في الكشف، قلت جعله لازما لمن يقول إنّ الألف الموقوف عليها، عوض من التنوين، لا الألف الأصلية، وقال بعده: والذي قرأنا به هو الإمالة في الوقف في ذلك كله، على حكم الوقف على الألف الأصلية وحذف ألف التنوين اهـ." [٢].

وقال أيضا:"...وأمّا الخلاف الذي ذكره الشاطبي فيه، حيث قال:

..... وَكِيدُونِي فِي الأَعْرَافِ حَجَّ لِيَجْمُلاَ"

بِخُلْفٍ..... .....

فقال في الغيث:" ... فينبغي أن لا يقرأ لبعده من طريقه وطريق أصله، بل لم يثبت من طرق النشر، إلا في حالة الوقف خاصة؛ قال في النشر: "وروى بعضهم عنه– أي عن هشام– الحذف في الحالين، ولا أعلمه نصّا من طرق كتابنا لأحد من أئمتنا؛ ثم قال: وكِلاَ الوجهين – يعني الحذف والإثبات– صحيحان عنه – أي عن هشام – نصّا وأداء، حالة الوقف، أما حالة الوصل فلا آخذ فيه بغير الإثبات من طرق كتابنا" اهـ؛ فإن قلت: مستنده قول صاحب

---

١ هو محمد بن علي بن خلف الحسيني المعروف بالحداد، فقيه مالكي مقرئ أزهري، مصري (ت١٣٥٧هـ)، الأعلام، ج٦، ص٣٠٤.

٢– شرح مختصر بلوغ الأمنية، ص٢٢؛ وانظر: الغيث، ص٢٠.

التيسير فيه، لما تكلم عن زوائد سورة الأعراف في آخرها:" وفيها محذوفة ﴿ثُمَّ كِيدُونِ﴾ [الأعراف/١٩٥] أثبتها في الحالين هشام بخلف عنه"؛ قلت هذا لا دليل فيه، لأن الداني كثيرا ما يذكر الخلاف على سبيل الحكاية، وإن كان هو لم يأخذ به، وليس من طرقه، وهذا منه؛ ويدلّ لذلك قوله في المفردات بعد ذكر الخلاف له: وبالإثبات في الوصل والوقف آخذ؛ وقوله في جامع البيان: وبه قرأت على الشيخين أبي الفتح[١] وأبي الحسن[٢] من طريق الحلواني عنه، بل يدل عليه كلامه في التيسير فإنه قال فيه في باب الزوائد: وأثبت ابن عامر في رواية هشام الياء في الحالتين، في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كِيدُونِ﴾ في الأعراف، فجزم بالإثبات، و لم يحك خلافه؛ ومن المعلوم المقرّر أنّ العلماء يعتنون بتحقيق المسائل في أبوابها أكثر من اعتنائهم بذلك إذا ذكروها استطرادا وتتميما للفائدة، فربما يتساهلون اتكالا على ما تقدم أو ما سيأتي لهم في الباب؛ فثبت من هذا أنّ الخلاف لهشام، في حالة الوصل عزيز، وإنما الخلاف حالة الوقف، لكن لا ينبغي أن يقرأ به من طريق الحرز وأصله؛ وبالإثبات في الحالين قرأنا " اهـ[٣].

والملاحظ لهذه النقول، يرى أنّ الشيخ الضباع يكتفي في الكثير منها، بمجرّد نقل العبارة دون أن يتعقب الشيخ بشيء، بل قصارى ما يفعله في بعض الأحيان أن يختصر شيئا من كلام الصفاقسي؛ وهذا الفعل إقرار واعتراف ضمني ببلوغ كلام الشيخ الصفاقسي الغاية في التحقيق والتحرير، بما لا يحتاج معه إلى مزيد بيان.

وممّا ينبغي التنبيه عليه أن أغلب ما نقله الضباع في إتحاف البرية، عن الصفاقسي إنما هو في مناقشة الشاطبي في المواضع التي خرج فيها عن طرقه، ولعل حسن عرض الصفاقسي لهذه المسائل، وتوسعه في مناقشتها، جعل الضباع يعتمد كلامه بنصه دون كلام غيره، بما فيهم الإمام ابن الجزري، الذي هو أسّ كلام الصفاقسي وعمدته.

هذا و اتّباعا من الضباع للصفاقسي وغيره من المحررين، اهتم بهذه المسألة في شرحه على الشاطبية وإن كان قد خالف الشيخ رحمه الله تعالى في عدّ بعض المواضع وإهمال أخرى. ومن

١- هو فارس بن أحمد سبقت ترجمته.

٢- هو طاهر بن غلبون سبقت ترجمته.

٣- مختصر بلوغ الأمنية، ص٢٤؛ وانظر: الغيث، ص ٧١، ٧٢؛ وراجع مواضع أخرى نقل فيها الضباع كلام الغيث ص١٣، ١٤، ١٨، ١٩، ٢٧، ٢٨، وغيرها.

أمثلة ما وافقه فيه:

قوله:" وقول الناظم يُوَاخِذُكُمْ - يعني الشاطبي - تعقّبه المحقق بن الجزري في نشره بأن رواة المد كلهم مجمعون على استثناءه، فلا خلاف في قصره، واعتذر عنه في النشر بعدم ذكره في التيسير"[١].

وقال أيضا:" وما ذكره الناظم من إمالة "ها" "يا"، من فاتحة مريم لقالون، ومن إمالة يائها للسوسي، تعقّبه في النشر بأنّه خروج منه رحمه الله عن طرقه فلا يقرأ بهما"[٢].

٣- عناية الشيخ الضباع في مختلف كتبه بالتحريرات، والتنبيه على الوجوه الضعيفة التي لا يقرأ بها، ومن أمثلة التحريرات التي تابع فيها الصفاقسي:

قوله:" إذا جاء مع لفظ ﴿ٱلتَّوۡرَىٰةَ﴾ مدّ منفصل وميم جمع كما في قوله تعالى﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ﴾ إلى:﴿بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران/٤٧]، فالذي روي عن العلاّمة المزاحي أنه يجوز لقالون في ذلك خمسة أوجه:

الأول: فتح ﴿ٱلتَّوۡرَىٰةَ﴾ مع قصر المنفصل وصلة الميم.

الثاني: فتحها مع المد والسكون.

الثالث : تقليل ﴿ٱلتَّوۡرَىٰةَ﴾ مع القصر والسكون.

الرابع والخامس: التقليل مع المد مع السكون والصلة، وأما الفتح مع القصر، والسكون مع المد والصلة فممتنعة، ولا فرق في الخمسة أن تتقدم ﴿ٱلتَّوۡرَىٰةَ﴾ على المنفصل وميم الجمع، أو تتأخر عنهما، أو تتوسط بينهما.

والذي عليه العمل هو الأخذ بالأوجه الثمانية بلا استثناء، كما جرى عليه العلامة السفاقسي في غيثه "[٣].

وفي تحرير أوجه ورش في قوله تعالى: ﴿أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا﴾[البقرة/١٧٠]، فعلى قصر﴿ءَابَآؤُهُمۡ﴾ توسّط﴿شَيۡـٔٗا﴾، وعلى التوسط فيه التوسط في: ﴿شَيۡـٔٗا﴾، وعلى

١- إرشاد المريد، ص٤٩.

٢- نفسه، ص١٩٩، ٢٠٠ وانظر غيرها من المواضع: ١٠٦، ١٣٧، ١٥٤، ١٥٥.

٣- شرح رسالة قالون، ص٣٤.

الطويل فيه التوسط والطويل في: ﴿شَيۡـًٔا﴾"[١]، وهذا الكلام منقول من الغيث بنصه[٢].

٤- نبّه الشيخ علي النوري في غيث النفع على الأوجه الجائزة والممنوعة بين السور في مواضع كثيرة، واعترض على من اعتمد على مجرّد الضرب الحسابي دون مراعاة التحرير والتمييز بين الأوجه المروية من غيرها، وقد سلك الضباع نفس السبيل، فأفرد لهذه الجزئية من علم القراءات أعني الأوجه الأدائية بين السور، رسالة مستقلة وهي المسماة بـ: "القول المعتبر في الأوجه التي بين السور"، وقد نقل فيها بعضا من كلام الصفاقسي، وأشاد بعلمه ونبوغه في هذا الباب، بل إنّه اتّبع نفس طريقة الصفاقسي، من حيث إنّه بدأ رسالته هذه بعرض ما يقتضيه الضرب الحسابي من الأوجه، دون التحرير، ثمّ أتبعها بما تحرّر لديه، تماما كما فعل الصفاقسي، و لم يتسنّ لي متابعة تلك الأوجه، هل وافق فيها الصفاقسي أم لا ؟ لأنّ ذلك ممّا يعسر ضبطه و يتطلّب وقتا، ودقّة متناهية في الحساب والتفريع، زد إلى ذلك اختلافهما في تحديد المواضع، التي فرعا عليها تلك الوجوه، إلاّ إنّه من المؤكّد أنّ الضباع خالفه في عدّ بعض الوجوه، كما بين سورتي الفاتحة والبقرة وبين سورتي البقرة و وآل عمران وغير ذلك[٣].

ولا يفوتني هنا أن أنبّه على أن الشيخ الضباع في رسالته " تقريب النفع في القراءات السبع" قد بدا منه بعض التأثر بالصفاقسي سواء في عنوان الكتاب كما هو ظاهر أو في استعمال مصطلحاته في تسمية القراء السبع، وكذا بعض النقول والإفادات التي أخذها من الغيث، نص على بعضها وأهمل البعض الآخر منها[٤].

هذا ما ظهر لي من أثر على الشيخ الضباع، ويكفي في إبراز الأثر الحسن للصفاقسي ما سطّره الضباع في شرحه على مختصر بلوغ الأمنية، الذي يبدوا فيه ذلك وبكلّ جلاء، أقول هذا وهناك الكثير من الكتب التي فاتني الاطلاع عليها، والتي ربما يكون فيها أشياء أخرى أهملت هنا، كشرحه الكبير على الشاطبية المسمى بـ "إنشاد الشريد من معاني القصيد" و"الإضاءة في بيان أصول القراءة" وغيره من كتبه المهمة.

١- مختصر بلوغ الأمنية، ص١٢.

٢- انظر: الغيث، ص٣١.

٣- القول المعتبر، ص٤٤-٤٥؛ وانظر: الغيث، ص١٤، ١٥.

٤- انظر: تقريب النفع، ١٠٧، ١٢، ٦٢؛ وانظر مقابلها في الغيث على الترتيب: ص٧، ١٥، ٨٩.

المطلب الثالث :

أثره في الشيخ عبد الفتح القاضي

أولا: ترجمة الشيخ القاضي[1]

هو عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي، عالم مصري أزهري، مبرّز في القراءات وعلومها، وفي العلوم الشرعية والعربية، كان مولده عام خمس وعشرين وثلاثمائة وألف (١٣٢٥هـ/١٩٠٧م).

أخذ القراءات على غير واحد والتحق بالأزهر فحصل على الشهادة العالمية النظامية عام (١٣٥٠هـ/١٩٣١م)؛ ثم التحق بقسم التخصص شعبة التفسير والحديث، وحصل على شهادة التخصص (الدكتوراه حاليا)، عام (١٣٥٤هـ/١٩٣٤م).

ولي الشيخ عدة وظائف منها:

التدريس في المعهد الأزهري الثانوي، ورئاسة قسم القراءات بالأزهر، وكذا قسم القراءات بكلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بالمدينة المنورة، ورئاسة لجنة تصحيح المصاحف بالأزهر، كما عين مفتشا للعلوم الشرعية والقراءات ومديرا عاما للمعاهد الأزهرية.

أخذ عنه القراءات كثيرون منهم: عبد العزيز بن عبد الفتاح القاري عميد كلية القرآن الكريم بالمدينة، والشيخ علي عبد الرحمن الحذيفي إمام الحرم المدني الشريف، الشيخ أبو عبد الله منير التونسي، وموسى شاهين لاشين.

توفي رحمه الله تعالى عام ثلاث وأربعمائة وألف (١٤٠٣هـ/١٩٨٢م).

ترك الشيخ كثيرا من المؤلّفات النافعة منها:

- الوافي في شرح الشاطبية.
- الإيضاح في شرح الدرة.
- البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة.

١- انظر ترجمته في: هداية القاري، ج٢، ص٦٥٨، ٦٦٣.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- النظم الجامع لقراءة نافع وشرحه.
- السر المصون في رواية قالون وشرحه.
- شرح منحة مولى البر فيما زاد النشر للقراء العشر.
- بشير اليسر في شرح ناظمة الزهر في علم الفواصل.
- القراءات في نظر المستشرقين والملحدين.

وعمل تحقيقات على كتب في هذا العلم منها:

- دليل الحيران للمارغني .
- شرح العقيلة لابن القاصح.
- تحبير التيسير لابن الجزري.

ثانيا: تأثره بالشيخ النوري

أثر الشيخ علي النوري الصفاقسي على الشيخ عبد الفتاح القاضي، يظهر وبوضوح في كتابه " البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة" ومجمل ذلك يجتمع في النقاط التالية:

١- في طريقة التأليف، تبويبا وترتيبا؛ فإنّ الشيخ عبد الفتاح رحمه الله تعالى، قد قلّد الصفاقسيّ، في كيفية عرضه للقراءات، حيث ساق القراءات مساقا واحدا، دون أن يجري على عادة المؤلفين، في تقسيم مسائل القراءات إلى فرش وأصول، وقد صرح الشيخ عبد الفتاح، بأنه أخذ ذّلك من طريقة صاحب الغيث فقال:" وقد سلكت فيه مسلك صاحب غيث النفع، في ترتيبه ونظامه؛ فأذكر كلّ ربع من القرآن الكريم على حدة، وأذكر ما فيه من كلمات الخلاف كلمة كلمة، مبينا خلاف الأئمة، في كل منها، سواء أكان ذلك الخلاف من قبيل الأصول، أم من قبيل الفرش؛ وبعد الانتهاء من الربع على هذه الكيفية، أذكر آخر كلمة فيه، وأنبّه على أنّها آخر الربع ثم أقول: "الممال" ... ثم بعد الفراغ من بيان الممال على هذا الوجه أقول: "المدغم" وأقسّمه قسمين: صغير وكبير، وأبدأ بالصغير "[1].

فهو قد تابع غيث النفع في تقسيمه، وهذا لا يعني أنّه أخذ بكل ما في طريقة الغيث، بل لقد خالفه في أمور، رآها أكمل مما اختاره الصفاقسي هي:

١- البدور الزاهرة، ص٤٩.

– في مبحث الممال لم يجمع الشيخ عبد الفتاح، بين من يميل ومن يقلل، كما فعل صاحب الغيث، ويقول في هذا:" ... غير أني لم أحذ حذو صاحب الغيث في جمعه بين من يميل ومن يقلل، كقوله:"﴿ٱلدُّنيَا﴾ لهم وبصري"[١]، من غير أن يميّز بين المميلين والمقلّلين، اعتمادا على ما ذكره في المقدمة من قاعدة كل منهم؛ بل أذكر الكلمة ومثيلاتها، ثم أصرّح باسم من يميلها باتفاق أو اختلاف، ومن يقلّلها كذلك، زيادة في البيان ومبالغة في الإيضاح"[٢].

– لم يلتزم الشيخ عبد الفتاح في بدوره ما التزمه الصفاقسي من ذكر بعض المباحث في أوّل كلّ سورة و آخرها وأعني بها: عدد الآي، مكان النزول، عدد ياءات الزوائد و ياءات الإضافة، والكلمات المدغمة إدغاما صغيرا، كما أنّه لم يهتمّ بتفصيل الأوجه بين السور كما فعل الصفاقسي في كثير من المواضع، ولعلّ ما جعله يترك ذلك هو ما رأى في هذا العمل من التكرار، فاكتفى بما ذكره من أحكام في مواضعها.

– إنّه لم يلتزم في بيان الأرباع ما اعتمده صاحب الغيث، بل تبع ما عليه المصحف الأميري[٣] قال: " وقد التزمت في بيان أواخر الأرباع ما في المصحف الأميري سواء وافق ما في الغيث أم خالفه "[٤].

– إن الشيخ عبد الفتاح، اعتنى عناية فائقة بباب وقف حمزة وهشام على الهمز قال في ذلك: " وسأعني – إن شاء الله تعالى – بباب وقف حمزة وهشام على الهمز؛ لدقته وصعوبة مسلكه، فلا أترك كلمة من الكلمات المهموزة، إلاّ وأبيّن في إيضاح وجلاء ما فيها من الأوجه لهما عند الوقف، إلاّ إذا تكرّرت كثيرا، فأكتفي بالإشارة إلى ما فيها من الأوجه "[٥].

ورغم تأثره في هذا بالصفاقسي إلا أنّ عمله كان أوسع مجالا من كلام الصفاقسي، الذي

١– ورش والبصري تقليل، و حمزة والكسائي إضجاع.

٢– البدور الزاهرة، ص ٤٩.

٣– طبع هذا المصحف عام ١٣٤٢، بإشراف لجنة مركبة من جلة علماء القراءات واللغة تحت رئاسة شيخ المقارئ المصرية في عصره محمد بن علي بن خلف الحسيني الشهير بالحداد، وبقي هذا المصحف إماما للمصاحف فكثير مما طبع منه منقول عنه أو معتمد عليه. انظر الشاذي النيفر، ص١٨؛ مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، ص١٠٠.

٤– البدورالزاهرة، ص٥٠.

٥– المصدر نفسه، ص ٥٠.

حصره فيما يجوز الوقف عليه قال:" ولذا لا أترك مما يجوز الوقف عليه شيئا..."[١].

ويرجع سبب هذا إلى موقف الشيخ الصفاقسي من قضية ما سمّاه علماء التجويد بالوقف الاختباري، بالباء الموحدة، حيث يقول:" ولمّا كان هذا وما ماثله، لا يصحّ الوقف عليه إلاّ لضرورة، و الأصل عدمها، لم نتعرض له كله، وأمّا قولهم: يجوز الوقف على مثل هذا اختبارا، فعندي في هذا نظر، إذ يقال: كيف يتعمّد الوقف على ما لا يجوز الوقف عليه، لأجل الاختبار، وهو ممكن من غير وقف، بأن يقال للمختَبر بفتح الباء، كيف تقف على كذا ؟ فإن وافق، و إلاّ علّم"[٢].

ومنهج عبد الفتاح أنفع للقارئ، وأذكر للمطالع.

أمّا ذكر إمالة هاء التأنيث للكسائي، في باب الممال، فالقاضي تابع الصفاقسيّ في عدم حصر كل كلماتها، وذلك لظهورها وعدم خفاء قاعدتها.

- ذكر الشيخ الصفاقسي باب التكبير أوّل سورة الضحى بالتفصيل، ثم ذكر أوجه التكبير بين كل سورتين إلى آخر القرآن، بينما اقتصر في البدور على ذكر هذا الباب آخر كتابه، فجعله بابا مستقلاّ كغيره من كتب القراءات.

والخلاف في موضع هذا الباب قديم، حتى عند غيرهم من العلماء، فقد قال الإمام ابن الجزري:"وبعض المؤلفين لم يذكر هذا الباب أصلا، كابن مجاهد في سبعته، وابن مهران في غايته؛ وكثير منهم يذكره مع باب البسملة متقدّما، كالهذلي وابن مؤمن والأكثرون أخّروه لتعلّقه بالسور الأخيرة، ومنهم من يذكره في موضعه، عند سورة ﴿وَالضُّحَىٰ﴾ و﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ كأبي العزّ القلانسي، والحافظ أبي العلاء الهمذاني، وابن شريح؛ ومنهم من أخّره إلى بعد إتمام الختام، وجعله آخر كتابه، وهم الجمهور من المشارقة و المغاربة، وهو الأنسب لتعلّقه بالختم والدعاء "[٣].

ويظهر أنّ الشيخ القاضي إنّما خالف الصّفاقسي في هذا، لأنّه لم يهتمّ بذكر أوجه التكبير

١- الغيث ، ص٩.

٢- الغيث، ص٢٩.

٣- النشر، ج٢، ص٤٠٥.

وكيفية جمعها في القراءة، كما فعل الصفاقسيّ.

٢- في مصطلحاته:

استعمل الشيخ عبد الفتاح بعض المصطلحات، إلاّ أنّه لا يمكن القول أنه تأثّر منه بالصفاقسي، فقد حذف أغلب مصطلحات الشيخ بحذف مباحثها، كما هو الحال مع عدّ الآي، أمّا المباحث التي بقيت في كتاب البدور، فقد استعاض عنها إمّا بصريح العبارة، كما هو الحال مع مبحث الممال، وقد شاركه في بعض الاصطلاحات إلا أنّها ليست خاصّة بالشيخ النوري، لأنه مسبوق بها.

٣- في متابعته في كثير من ترجيحاته ومناقشاته:

عمل الشيخ عبد الفتاح القاضي، على تتبع ما عرضه الشيخ النوري مما خرج فيه الشاطبي، أو الداني عن طرقهما، فأتى على كلّ المواضع التي ذكرها الصّفاقسي ووافقه عليها كلها إلاّ موضعا واحدا، كما أنّه زاد عليه بعض المواضع، وهو في هذه المسألة في جلّ الأحيان يختصر الكلام ويعطي زبدته، ولا يهتمّ ببيان وجه مخالفة الشاطبي أو الداني كما يفعل الصفاقسي، وفعل صاحب البدور له وجهه، من حيث إنّ الغرض من ذلك هو بيان الصواب، وأمّا غيره فمحلّه الكتب المتخصّصة في التحريرات.

ويلحق بهذا أيضا ردوده على بعض ما ذهب إليه بعض القرّاء[1].

٤- في الاقتباس والنقل منه

اقتبس المؤلف في كثير من المواضع نصوصا من الغيث وصرح بذلك رحمه الله تعالى فمنها: قوله في كيفية النطق بالإشمام:"قال صاحب الغيث: وكيفية ذلك أن تحرّك القاف بحركة مركبة من حركتين: ضمة، وكسر ة؛ وجزء الضمة مقدّم وهو الأقل، ويليه جزء الكسرة وهو الأكثر "[2].

ومما نقله عنه أيضا قوله: " قال صاحب الغيث: إذا كان قبل لام التعريف المنقول إليها، حركة الهمزة حرف من حروف المدّ، نحو ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ﴾[الإنشقاق/٠٣]

١- انظر أمثلة في: البدور الزاهرة، ص ٧٠، ٧٥، ١١٧، وغيرها.

٢- البدور الزاهرة، ص٧١.

و﴿وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ﴾[النساء/٥٨]و﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَـٰمَىٰ﴾[النور/٣٢] فلا خلاف بين أئمة القراءة، في حذف حرف المدّ لفظا، ولا يقال: إنّ حرف المد إنما حذف للسكون، وهو قد زال بالنقل؛ لأنّا نقول إنّ التحريك في ذلك عارض، فلا يعتدّ به، وبعض من لا علم عنده يثبت حرف المدّ في هذا حال النقل، وهو خطأ في القراءة، وإن كان يجوز في العربية؛ وكذلك إذا كان قبل لام التعريف ساكن صحيح نحو:﴿يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ﴾[الجن/٠٩] ﴿بَلِ ٱلْإِنسَـٰنُ﴾[القيامة/١٤]الساكن لأجل الساكن بعده؛ فإذا قرئ بالنقل وزال هذا الساكن، فلا تزيل حركة الساكن الأول، بل تبقيه على حركته، نظرا لعروض حركة ما بعده"[١].

وعلى العموم فإن النقل المباشر لم يعتمده المؤلف كثيرا، فإذا ما حصرت لم تكن إلا بضع عشرة موضعا، فهو لم يغرق في النقل عنه، إلاّ أن ما أفاده من المعاني موجود في كثير من المواضع التي لم يصرح بالنقل فيها وذلك لتصرفه في العبارة وقد يكون شارك فيها صاحب الغيث مصنفون آخرين لاسيما ابن الجزري ومن أمثلته.

ومن أثر الغيث على القاضي عنايته بالتنبيه على بعض الأخطاء و المسائل المشتبهة التي يقع فيها الخطأ ومن أمثلته:

قوله: لا خلاف في إظهار لام:﴿مَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾[البقرة/٨٤]،لفقد شرط الإدغام وهو جزم اللام"[٢].

وقوله:"لا إدغام في ﴿مِيثَـٰقَكُمْ﴾[البقرة/٦٢] لسكون ماقبل القاف"[٣].

هذا وأبرز ما يمكن استخلاصه من هذا العرض هو أن تأثر الشيخ عبد الفتاح القاضي، كان من أكبر مقارنة مع غيره ممن تأثروا به، وأبرز ما يظهر هذا التأثر هو في طريقة التأليف وعرض القراءات، والله أعلم.

١- البدور الزاهرة، ٨٧؛ وانظر الغيث، ص٢٦، بعبارة مغايرة؛ وانظر مواضع أخرى في الصفحات: ١٠٤، ١١٤، ١٢٥، ٢٣٦، ٢٤٧، ٢٧٦، ٤٩٠، ٢٩٢؛ وقد صرح فيها بالأخذ عنه؛ وممّا أخذه عنه و لم يصرّح به: ص٨٣، ٨٥، ١١٩، ١٨٤، وقارنها بالغيث، ص٢٥، ٢٥، ٤٢، ٦٦؛ على الترتيب.

٢- البدور الزاهرة، ص٨٩.

٣- البدور الزاهرة، ص٩٠؛ وانظر أمثلة أخرى: ص١٠١، ١٠٢، ١٠٥، ١١١، وقارنها بالغيث، ٣٢، ٣٣، ٣٥، ٣٧، على الترتيب.

هذا وإذا توسعنا أكثر في بيان أثر الشيخ رحمه الله تعالى على غير هؤلاء الثلاث نجدأنه قد أفاد من كتاب الشيخ رحمه الله تعالى الكثير من العلماء والمؤلفين في مجال علم القراءات على عدّة مستويات:

ففي المنهج التأليفي وطريقة الترتيب والتصنيف، نجد عدّة من المؤلّفين قد تأثّروا بطريقته، أذكر منهم:

١- محمد سالم محيسن، في كتابه "المهذّب في القراءات العشر وتوجيهها من طريق طيبة النشر"، حيث سار فيه مؤلّفه على طريقة الصفاقسي رحمه الله تعالى، مقتديا في ذلك بشيخه عبد الفتاح القاضي، ولو حاولنا ترتيب هذه الكتب الثلاث أعني: الغيث، والبدور، والمهذب، من حيث استيعابها للقراءات المتواترة، يكون أولها درجة كتاب الغيث، ثمّ جمع صاحب البدور، ما في الغيث مع ما زادته الدرّة، وأضاف صاحب المهذب إلى ذلك ما في الطيّبة من زيادات، فهذان الكتابان يرجعان في الأصل إلى غيث النّفع، وكذلك ما فعله صاحب مصحف القراءات العشر فهو مستقى من طريقة الصفاقسي رحمه الله.

٢-الشيخ محمود خليل الحصري، في كتابه "رواية ورش عن الإمام نافع"، يقول الحصري:" سأسير في هذا الكتاب على هذا المنهج:

أذكر كل ربع من القرآن على حدة، وأذكر قراءة ورش في كل كلمة من كلمات الخلاف، سواء كانت من قبيل الأصول، أم من قبيل الفرش، وبعد الانتهاء من الربع على هذا النحو، أذكر آخر كلمة فيه وأنبه على أنها آخر الربع، ثم أقول: المقلل، وأحصر جميع الكلمات التي يقلل ألفها، باتفاق عنه أو اختلاف، ثمّ أقول: المدغم، وأذكر الكلمات التي يقرؤها بالإدغام؛ وهكذا في جميع أرباع القرآن الكريم"[1].

٣ــ الشيخ عبد الرزاق موسى إبراهيم في رسالته " الكلمات الممالة لورش وأصوله من طريق الحرز"؛ حيث سار في ترتيب هذه الرسالة على أرباع القرآن الكريم، وكأنّه في هذا يقتنع بكلام الصفاقسي حين يتكلم عن أهمية منهجه في حصر الألفاظ الممالة، قائلا:"وباب الإمالة

١- ص١٢، ١٣.

باب مهمّ، يقع فيه الكثير من القرّاء في الخطأ من حيث لا يشعرون، ولذلك أفرده كثير من علمائنا كالدّاني، والكركي بالتّأليف؛ وهذا الطريق العجيب، والأسلوب الغريب، الذي ألهمني الله إليه، مع فرط اختصاره هو أكثر ممّا ألّفوه جمعا، وأقرب نفعا، ويقع معه الأمن من الخطأ، ولو لمن له أدنى ملكة؛ إذ ما من لفظ في القرآن ممال إلاّ وهو مذكور في موضعه مع نظائره "[١].

فبملاحظة هذه المؤلّفات، نرى أنّ طريقته سرت بين العلماء، لما رأوا من فضائلها، فألّف على طريقته في القراءات السبع، و في العشر الصغرى، وفي العشر الكبرى، وفي قراءة مفردة، وفي جزئية من هذا العلم، فطريقة الصّفاقسي قد لقيت القبول وتأثر بها كثر.

أما في مجال الإفادة من هذا الكتاب فقد ارتبطت به عدّة أعمال، حيث قام أحد تلاميذ تلامذته، وهو محمّد بن حمودة إدريس الحسني، بنظم أوجه آلان على رواية الأزرق، اعتمادا على ما ذكره الصفاقسي في غيث النفع؛ ثمّ شرح أحد تلاميذ حمودة هذا النظم في " تحفة الإخوان بشرح أوجه آلان"[٢].

وألف الشيخ ابن يالوشة في هذا المجال، رسالة في المقدّم أداء من أوجه الخلاف للقرّاء السبع، أتمّ بها ما أهمله صاحب الغيث، قال رحمه الله تعالى:"...ولكن الشيخ سيدي علي النّوري رحمه الله في كتابه المسمّى بـــ" غيث النفع" لم ينصّ على المقدّم في الأداء في كثير من المواضع، ولهذا سألني بعض الإخوان- ختم الله لي ولهم بالسعادة والغفران- أن أجمع لهم مسائل خلاف الرواة، وأنصّ على المقدّم في الأداء، تاركا لما نصّ عليه الشيخ في كتابه المذكور"[٣]؛ ويلحق بهذا أيضا ما قاله حفيده عبد الواحد المارغني: "ولولا الضنى والضعف واشتغالي بالتعليم ... لاستقصيت كل ما تحتاجه رسالة جدنا ... من تكميل وتوضيح ... مع زيادة ما تحتاجه قراءات الأئمة الثلاثة... مما هو مقدّم أداء عندهم من أوجه الخلاف ..." [٤].

وفي مجال الاقتباس والإفادة منه، نجد الكثير من العلماء والباحثين، قد اعتمدوه من بين أهمّ مصادرهم في هذا العلم، أذكر منهم: ابن يالوشة، والحصري، والمرصفي، وعبد الواحد المارغني،

١- الغيث، ص٧.

٢- انظر تراجم المؤلفين التونسيين، ج١،ص٤٢.

٣- الأوجه المقدمة عند القراء، ص ١٦، ١٧.

٤- ابن يالوشة، الأوجه المقدمة عند القراء، ص ١١٢، ١١٣.

وعبد الرزاق موسى[١]، كما أنّه لا يكاد يخلو بحث من البحوث الأكاديمية المتخصّصة وغير المتخصّصة، من الإحالة عليه، والرجوع إليه في هذا العلم.

ولم ينحصر أثر كتاب الغيث على أفراد العلماء، بل إنّ القائمين على طباعة المصاحف في المجمّعات الخاصّة بذلك، وهم من العلماء المتخصّصين والمبرّزين في هذا العلم، قد جعلوه مصدرا رئيسا في جزء من عملهم، إذ اعتمدوه مصدرا في تحديد أحزاب القرآن وأرباعها وأنصافها، فإذا ما نظرت في النّشرات الملحقة بالمصاحف المطبوعة، على اختلاف طبعاتها، تجد العبارة التالية:" وأخذ بيان أوائل أجزائه الثلاثين، وأحزابه الستين، وأرباعها، من كتاب "غيث النفع" للعلاّمة الصّفاقسيّ، وناظمة الزهر وشرحها تحقيق البيان..."[٢].

وفي هذا الصدد أيضا تقرير جزء من مقدّمة هذا الكتاب، على طلاّب الزيتونة بما أسموه: "الفوائد التسع من مقدّمة غيث النفع"[٣].

ومن خلال هذا المبحث يتلخص أثر الشيخ على من بعده في المناحي الآتية:

- التنبيه على أهمية الكتاب والثناء على تحقيقاته.
- الرجوع إليه كمصدر موثوق، والإحالة عليه، والاقتباس منه.
- العمل على تهذيبه، أو إفراد بعض مسائله، أو النسج على منواله.
- متابعة المؤلف في كثير من تحقيقاته، وتحريراته.

وختاما هذا ما أردت توضيحه من أثر الشيخ وكتابه، وهو موضوع وإن لم أوفّه حقه من التفصيل، والاطّلاع على كثير من الكتب، فقد أشرت إليه ولو باختصار، والله الموفّق بمنّه وكرمه.

١- كما في تعليقاته على كتر المعاني للحمزوري.

٢- نبّه الدوسري إلى أن عدّ كتاب إرشاد القراء والكاتبين، ضمن هذه المصادر من الوهم فهو لم يذكر فيه شيئا من ذلك؛ انظر: المتولي وجهوده، ص٣٦٦، ٣٦٧.

٣- انظر:برنامج تعليم فن القراءات في الجامع الأعظم، ص١٠.

الخاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الحمد لله الذي أعانني على إتمام هذا البحث، بهذه الصورة، والمنّة لـــه أولا وآخـــرا ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص/٧٠]

وبعد هذه الرحلة المباركة، إن شاء الله تعالى، والتي طفت فيها ببعض جوانب علـــم القراءات، من خلال التعريف بالإمام الصفاقسي رحمه الله تعالى، وتفصيل شيء من حياته، نشأةً وتعلّماً وتعليماً، وجهادًا وتربيةً وتأليفاً في العلوم، والتعريف بكتابه "غيث النفـــع" في منهجه التأليفيّ، وأسلوبه العلميّ في عرض مسائل القراءات ومناقشتها؛ أقول هذا ما مـــنّ الله به عليّ، وأعانني عليه، فإن يكن صوابا فمن الله الكريم الوهاب، و إن يكن فيه خطأ، أو نقص، فتلك سنّة الله في بني الإنسان، ويأبى الله إلا أن يتفرد بالكمال؛ و يجعل الـــنقص والقصور، واختلاف وجهات النظر من صفات البشر،كما قيل:

وَالنَّقْصُ فِي أَصْلِ الطَّبِيعَةِ كَامِنٌ فَبَنُو الطَّبِيعَةِ نَقْصُهُمْ لاَ يُجْحَدُ

وحسبي وحسب كلّ من بحث واجتهد، أنّي حاولت التسديد والمقاربـــة، وبـــذلت الجهد ما استطعت.

والله أسأل أن ينفعني بهذا العمل، وأن يفتح لي به آفاقا جديدة، في مجال البحث في علم القراءات، أكون فيها أحسن حالا مني هنا، وأوسع علما وأقلّ خطأ؛ إنّه على كـــلّ شيء قدير وبالإجابة جدير.

وقبل طيّ صفحات هذا البحث، أختصر أهمّ النتائج التي توصلت إليها من خلال ما قدّمت، فمن ذلك:

- ضعف الحياة السياسية في العالم الإسلامي، وتقلبه في الفتن والحروب الداخليـــة، وتكالب الكفار على البلاد الإسلامية، بما في ذلك الـــبلاد التونســـية مـــوطن الشـــيخ الصفاقسي، وهذا ما كان له الأثر السيئ في حياة المسلمين.

- وتبعا لضعف الحياة السياسية ضعفت الحياة العلمية، والإنتاج العلمي في عامة بلاد المسلمين، في القرن العاشر، وخاصّة في علم القراءات، فإنّه لم يكتب فيه مـــن الرســـائل والكتب، إلاّ القليل، ثم هذا القليل أكثره لم يكن بتلك الأهميّة؛ وبلاد المترجم له، كانـــت

من أسوأ البلاد حالا، في العناية بهذا العلم حتى كاد ينقطع، لولا أنْ منَّ الله بالشيخ النّوري وتلاميذه.

- عرفت من خلال هذا البحث، بما اطلعت عليه من تراجم لبعض القراء في القرن الحادي عشر، أنّ البلاد المصرية وعلمائها، قد كانوا قطب الرحى في هذا العلم، بل وغيره من العلوم، وهم حتى اليوم تدور عليهم أسانيد القراءات.

- تبيّن لي من هذا البحث، مكانة الإمام الصفاقسي في علم القراءات وصدق ما وصف به من التقدّم فيه والتحقيق، وذلك من خلال ما بذله من جهود، ووقت في طلب هذا العلم وتحصيله ولقيّ مشايخه والقراءة عليهم، وكذا في إقرائه، والتأليف فيه، وإحياء ما اندرس من معالمه في بلاده، فقد تخرّج على يديه الكثير من الطلبة في هذا العلم وغيره من العلوم، وألّف في هذا العلم كتابيه الغيث والتنبيه الّذين يعدّان من أحسن ما كتب في هذا العلم، وقد بقي أثره بادياً للعيان إلى يومنا هذا.

أما الشطر الثاني من البحث وهو ما تعلّق بكتاب "غيث النفع" فأقول:

تبين لي أنّ المنهج الذي سلكه المؤلّف في هذا الكتاب، منهج مخترع لم يسبق إليه رحمه الله تعالى، وأن هذا المنهج الذي اختاره كان من أهمّ ما ميّز الكتاب، حيث استطاع بفضله تسهيل علم القراءات، وضبط الكثير من المسائل التي يقع فيها الخلط أو الغلط، وأنّ مؤلفه بناه على تتبّع كلمات الخلاف بين القرّاء، أصولا وفرشا، كلمة كلمة، و تفصيل ما فيها من أحكام، دون أن يوكل إلى القارئ ما يفهمه من القواعد والضوابط التي لا يؤمن معها الخطأ وسوء الفهم.

وتحقّقت أيضا أنّ هذا الكتاب من أهمّ ما كتب حول قصيدة الشاطبي، في بيان معانيها وشرح قراءاتها، وتحرير مسائلها، وسدّ ما فيها من ثغرات، فقد سبق بدقّة تحريراته وتحقيقاته، الكثير من الشرّاح قبله وبعده، وأنّه لم يكن مقلّدا للشاطبيّ في كلّ ما قرّره بل استدرك عليه الكثير من المواضع.

وظهر لي أيضا تأثّر هذا الإمام، بما حقّقه إمام الفنّ ابن الجزري رحمه الله، في كتابه "النشر" بكثرة ما نقل عنه، ومتابعته في ترجيحاته وتحقيقاته.

وممّا توصّلت إليه أيضا؛ أن كتاب الغيث، قد ترك أثرا كبيرا،في علم القراءات عموما، والسبع خصوصا، فقد اعتمده كثير من العلماء المبرّزين في هذا العلم بعده، فاقتبسوا منه، ونسجوا على منواله، وأظهرهم تأثّرا به هو الشيخ عبد الفتاح القاضي رحمه الله تعالى.

وفي الختام، ووفاء لهذا الكتاب وصاحبه، أوصي بالعمل على تحقيق هذا الكتاب تحقيقا علميّا، بما يتناسب مع قيمته، ومكانة مؤلفه، كما أشجع على تحقيق غيره من كتب القراءات سيما الكتب التي اعتمدها الإمام ابن الجزري أصولا لنشره، وليس هذا فحسب بل العمل على إخراج كتب محقّقي المؤلفين من المتأخّرين عن ابن الجزري ككتب مشايخ علي النّوري وشيوخ مشايخه وغيرهم.

ولا أنسى هنا أن أقترح شيئا أرى فيه تذليلا لعقبة كبيرة، ألا وهو العمل على جمع كتاب شامل، في تراجم القرّاء، بعد عصر الإمام ابن الجزري رحمه الله تعالى، وأن يجعل كتتمّة لكتابه في ذلك، وهذا لأنّي قد لقيت عناء كبيرا، في ترجمة كثير من الأعلام في العصور المتأخّرة، وأقترح أن يكون جماعيّا، فهو أسلم، وأقلّ كلفة في الجهد والوقت.

هذا؛ وأسأل الله عز وجل، بأسمائه الحسنى، وصفاته العليا؛ أن يجعلني وإخواني وجميع المسلمين من الهداة المهتدين، الحافظين لكتاب الله، والقائمين عليه تلاوة، وعلما، وعملا، ونشرا بين الناس؛ وبيانا لأحكامه، تجويدا وتفسيرا؛ وأن يجعلنا من القيّيمن على نشر ما كتبه سلفنا – رحمهم الله – في هذا العلم وفي غيره من العلوم؛ وأن يحسن لنا النية والقصد والعاقبة في ذلك كله، إنّه حسبنا ونعم الوكيل، ولا قوة إلاّ بالله العليّ العظيم.

وصلّى الله وسلم وبارك، على عبده ورسوله، وخيرته من خلقه، نبيّنا محمد صلى الله عليه، وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وسبحانك اللهمّ وبحمدك

أشهد ألاّ إله إلا أنت

أستغفرك اللهمّ

وأتوب إليك

ملخص المذكرة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأحاديث

طرف الحديث	رقم الصفحة
١- أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَتَاهُ جِبْرِيلٌ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فَقَالَ لَهُ:إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ	١٩٨
٢- إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَث	١٠٢
٣- إِنَّ رَبِّي أَرْسَلَ إِلَيَّ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ	١٩٩
٤- إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَاماً وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ	٠٣
٥- إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ	١٩٨
٦- الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ مَاهِرٌ بِهِ، مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ	٠٣
٧- اقْرَؤُوا الْقُرْآنَ، فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعاً لأَصْحَابِهِ	٠٣
٨- تَعَاهَدُوا الْقُرْآنَ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ	٠٣
٩- خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ	٠٣
١٠- كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنُ	٠٣
١٢- مَا مِنْ نَبِيٍّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، إِلاَّ أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ، مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ	٠٣
١٣ -" مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَمَهُ أَلْجَمَهُ اللَّهُ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ	٦١
١٤- "مَنْ قَرَأَ حَرْفاً مِنَ كِتَابِ اللَّهِ،	٠٣
١٥ -" يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ، اقْرَأْ وَارْقَ وَرَتِّلْ	٠٣

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملخص المذكرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وأصحابه ومن تبعه؛ وبعد:

فإنّ البحث الذي أنجزته حول الإمام عليّ النّوري الصفاقسي ومنهجه في كتابه غيث النفع في القراءات السبع، قد ارتكز على محورين رئيسين هما: التعريف بالإمام الصفاقسي، ثم التعريف بكتابه ومنهجه فيه؛ وقبل وبعد ذلك أمور متمّمة للبحث، وهذا إجمالٌ تفصيله كما يأتي:

مهّدت في بداية البحث بكلام عن القراءات السبع، فعرّفت علم القراءات، وذكرت أهم فوائده، وثنّيت بتراجم مختصرة للقرّاء السبع ورواتهم، وذكر طرقهم، وأهمّ الكتب المؤلّفة في هذا.

ويأتي بعد هذا المدخل أوّل محوري البحث، وهو التعريف بالإمام الصفاقسي رحمه الله تعالى، وهو يشغل الفصل الأوّل، صدّرته بمبحث في الحالة السياسية والعلمية في عصر الصفاقسي، تكلّمت فيه بإيجاز عن حالة العالم الإسلامي، ثم تطرّقت إلى تونس فذكرت الدولة التي عاصرها الشيخ وأهمّ أمرائها، وأبرز الأحداث السياسية التي عايشها الشيخ، وأهمّها الفتنة بين الأميرين الأخوين: علي باي، ومحمد باي، والتي دامت قريبا من عشر سنوات؛ ثم ماجرى من سقوط سلطة أسرة المراديين وقيام أسرة الحُسَيْنِيِّين في آخر حياة الشيخ رحمه الله تعالى.

أمّا عن الحالة العلمية فقد وصفت ما انتهت إليه البلاد من سوء الحياة العلمية وضعفها قبيل المدة التي عاشها الشيخ، وما كان لها من أثر في ذلك، كما ذكرت بعض المآثر الطيّبة لبعض الأمراء والولاة على العلم وأهله؛ كبناء المدارس والمساجد والجوامع وغيرها من مراكز العلم، ومكافأة العلماء ومجالستهم، وفي المقابل تصرّفات سيئة وظلم وقتل للعلماء من طرف أمراء آخرين، وختمت بذكر تراجم لأبرز علماء القراءات في ذلك العصر، فذكرت بعضا من غير التونسيين من مشايخ النّوري وتلاميذهم أقران الشيخ، ثمّ تكلّمت عن التونسيين، وحاولت استقراء علماء القراءات في هذا القطر بما أتيح لي، وخرجت بنتيجة أخيرة وهي: ضعف الحياة العلمية و الإنتاج العلمي خاصة مجال القراءات في البلاد لتونسية.

هذا وبعد أن أعطيت صورة لعصر الإمام الصفاقسي استأنفت المقصد من هذا المحور، وهو ترجمة الشيخ النوري رحمه الله، فذكرت اسمه، ونسبه، ومولده، ونشأته، وتعلمه، ومشايخه، وتلاميذه، وأعماله، ومنزلته العلمية عند العلماء؛ وملخّص هذه الترجمة:

فهرس تراجم الأعلام

العلم	رقم الصفحة
أحمد ابن أبي الضياف	٤١
أحمد ابن فارس بن زكريا	١٧٤
أحمد السنهوري	٦٦
أحمد العناني	٦٦
أحمد بن الحسين ابن مهران	١١٤
أحمد بن أحمد العجمي	٦٤
أحمد بن أحمد بن عبد الحق السنباطي	٦٨
أحمد بن أسد الأسيوطي	١٤٠
أحمد بن حَمَد العجمي، المكي	٧٠
أحمد بن عبد الرحمن البوذري	٦٦
أحمد بن عبد اللطيف البشبيشي	٥١
أحمد بن عثمان ابن بويان	٢٧
أحمد بن علي ابن حجر	١٨٧
أحمد بن علي النوري الصفاقسي	٦٩
أحمد بن علي بن الباذش	٢٥
أحمد بن علي بن سوار	١٣٦
أحمد بن عمّار المهدوي	٢٥
أحمد بن غنيم بن سالم النفراوي	٨٠
أحمد بن محمد ابن المنير	١٥٣
أحمد بن محمد البزي	٢٠
أحمد بن محمد البنّا	٥٢
أحمد بن محمد القسطلاني	١٠٢

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملخص للمذكرة

هو أبو الحسن، وأبو محمد، علي بن سالم بن محمد بن سالم بن أحمد بن سعيد، الصفاقسي الملقّب بالنّوري؛ ولد بصفاقس إحدى المدن التونسيّة، عام ثلاث وخمسين وألف للهجرة(١٠٥٣هـ/ ١٦٤٣م)؛ ونشأ بها، ودرس بمدينته على الشيخ أبي الحسن الكرّاي، ثم رحل إلى العاصمة تونس، وتلقّى العلم بالزيتونة وغيرها من مدارسها، مدّة سبع سنوات، ومنها ارتحل إلى مصر فدرس على مشايخ الأزهر، وأدّى فريضة الحجّ خلال تلك الرحلة، ورجع من مصر بإجازات كثيرة في علوم شتّى، على رأسها علم القراءات الذي تخصّص فيه وأتقنه.

ومن أهمّ مشايخه الذين تلقى عنهم: أبو الحسن الكرّاي، عاشور القسنطيني، سليمان الأندلسي؛ وممّن لقيهم بمصر: محمّد الوافراني، وعلي الشبراملسي تلقّى عليهما علم القراءات، وعليهما يعتمد في تحرير الفنّ وخاصّة الأفراني، ومنهم أيضا: يحيى الشّاوي الجزائري، عبد السلام اللقاني، ومحمد بن ناصر الدرعي، ومحمد الخرشي، والشبرخيتي، وأبو علي اليوسي، وغيرهم.

ثمّ حاولت حصر تلاميذ الشيخ رحمه الله، فبلغ عددهم ستّا وعشرين شخصا؛ من أشهرهم: ابناه محمد وأحمد، علي المقدّم، إبرهيم الجمل، أحمد العجمي، محمد التونسي، محمد الحبيب الحرقافي، علي بن خليفة المساكني، ومحمد الوافي، وغيرهم.

وأمّا عن أعمال الشيخ فقد تمثلت في ثلاثة أشياء:

- قيامه بالجهاد في سبيل الله تعالى: إذ تعاون مع أهل الرأي من مدينته في إنشاء سفن للجهاد ضد فرسان مالطة الصليبيّين، الذين كانوا يغيرون على شواطئ المدينة، وقد حقّق بهذا العمل سمعة ومكانة كبيرة عند الناس وعند الله عزّ وجلّ- إن شاء الله تعالى- إلاّ أنّ هذا العمل جرّ عليه نقمة أرباب السّلطة فضيّقوا عليه وأرادو به كيدا، فنجّاه الله تعالى برحمته.

- بناء زاوية لتدريس العلوم الإسلامية بفروعها، إلاّ أنّ تركيزه الأكبر كان على تدريس القرآن الكريم بقراءاته، وقد سدّت هذه الزاوية فراغا كبيرا، فخرّجت كثيرا من العلماء.

- التصنيف والتأليف: ألّف الشيخ عدّة كتب أشهرها: غيث النفع، تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين عما يقع لهم من الخطأ حال تلاوتهم كتاب الله المبين، العقيدة النّورية، المنقذ من الوحلة في معرفة السنين وما فيها والأوقات والقبلة، معين السائلين من فضل رب العالمين، مقدّمة في الفقه والتوحيد، مناسك الحجّ، وغيرها.

أحمد بن مصطفى برناز ٥٤
أحمد بن موسى ابن مجاهد ١٩
أحمد بن ناصر الدرعي ٨٨
أحمد بن يزيد الحلواني ٢٦
أحمد بوديدح القيرواني ٧٣
أحمد عزوز ٥٣
أحمد مجاهد ٥٣
الأخفش = سعيد بن مسعدة
الأخفش = هارون بن موسى
الأزرق = يوسف بن عمرو بن يسار
الأزميري = مصطفى بن عبد الرحمن
الأسيوطي = أحمد ابن أسد
الأفراني = محمد بن محمد
الأفغاني = عبيد الله
الأنباري = محمد بن القاسم (أبو بكر)
الأندلسي = محمد بن محمد الوزير السراج
الأنصاري = زكريا
الأنصاري = يحيى بن زين العابدين
الأهوازي = الحسن بن علي
الأومي = عبد الله ابن المنتصر الصفاقسي
إبراهيم المزغني ٧٣
إبراهيم بن أحمد الجمل الصفاقسيّ ٧٠
إبراهيم بن أحمد المارِغني ٢١٩
إبراهيم بن حسن الكورانيّ ٦٥
إبراهيم بن عبد الله الجمّني ٥٤
إبراهيم بن عمر الجعبري ١٣٨

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثمّ ذكرت مذهب الشيخ رحمه الله ومكانته العلمية، ونقلت عبارات الثناء عليه من العلمـــاء، وختمت هذا الفصل بذكر تاريخ وفاته وأصحّ القولين في ذلك.

وبعد هذا يأتي المحور الثاني من البحث: وهو التعريف بالكتاب ومنهجه وفيه فصلان.

الأوّل في التعريف بالكتاب وطريقته في التأليف: عرّفت في مبحث منـــه بالكتـــاب اسمـــه وموضوعه، وأشرت إلى بعض مخطوطات الكتاب، ثمّ عرّجت على طبعاته المختلفة، والّتي لم تلق العناية اللازمة والله المستعان؛ كما تحدّثت عن سبب تأليف الكتاب وزمنه وأنّه كان قبـــل ســـنة ثمانين وألف للهجرة (١٠٨٠هـــ)؛ وأضفت إلى ذلك أهمية الكتاب ومنزلته.

وفي المبحث الثاني تكلّمت عن الجانب المنهجيّ في صناعة التّأليف؛ فبيّنت أنّ المؤلّف ســـار على طريقة جديدة لم يبنها على تتبع الأصول والفرش كغيره من الكتب، بل سار على ترتيـــب المصحف، وقسّم كلامه على أرباع القرآن، كلّ ربع على حدة، ثمّ رتّب الكلام عن الربـــع في ثلاثة أقسام: قسم للأحكام العامّة أصلية وفرشية، ثم قسم للممال، ثمّ آخـــر للمـــدغم الكـــبير والصغير؛ هذا منهجه العام؛ بالإضافة إلى ذكر جزئيّات أخرى تميّز بها منهجه.

وألحقت بهذا المبحث مطلبين عن مصطلحات الكتاب، ومنهجه في عرض القراءات وطريقة نسبة الأوجه الأدائية إلى أصحابها.

ويأتي الفصل الثالث من البحث في مصادر المؤلف، ومنهجه في عرض المادة العلمية.

خصّصت المبحث الأوّل منه في الكلام عن مصادره وموقفه منها، وكيفية تعامله معها، نقلا واقتباسا، ومتابعة وتأييدا، أو نقدا واستدراكا؛ وقد كانت مصادره كثيرة ومتنوّعة، يـــأتي علـــى رأسها كتاب النّشر لابن الجزري، ثمّ التيسير للدّاني، ثمّ الشاطبيّة وشروحها، كشرح أبي شـــامة والجعبري وابن القاصح وغيرهم، و لم يفتني أن أشير إلى مصادره السماعية أعني مشـــايخه الـــذين تلقّى عنهم هذا العلم.

أمّا المبحث الثاني فتكلّمت فيه عمّا يأتي:

– علوم القراءات وعنايته بها وهي: علم التجويد، علم الرّســـم العثمـــاني، علـــم الوقـــف والابتداء، علم توجيه القراءات، وألحقت بعلم التوجيه موقفه من الطّعـــن في بعـــض القـــراءات المشكلة، علم الأسانيد، تحزيب القرآن؛ وقد عرّفت كلّ واحد من هذه العلوم، وأعطيت صـــوَرًا من عناية المؤلّف بها.

إبراهيم بن محمد الكركي ١٣٧
إبراهيم بن محمد الميموني ٦٣
إبراهيم بن محمد برهان الدين الصفاقسي ٥٨
إبراهيم بن مرعي الشبرخيتي ٦٦
إدريس بن عبد الكريم الحداد ٢٧
إدريس بن محمد المنجرة ٥١
إسماعيل بن إسحاق القاضي ١٩
إسماعيل بن خلف الأنصاري ٢٥
إسماعيل بن محمد الحسني ٢٤
البابلي = محمد بن علاء الدين
الباذش = أحمد بن علي ابن
ابن الباذش = أحمد بن علي بن أحمد بن خلف
بدر الدين بن محمد الزركشي ١٥
البرشاني =عبد الرحمن البرشاني
برناز = أحمد بن مصطفى
برهان الدين الصفاقسي = إبراهيم بن محمد
البزي = أحمد بن محمد
البشبيشي = أحمد بن عبد اللطيف
البصري = زبّان بن العلاء أبو عمرو
البقري = محمد بن عمر
ابن بليمة = الحسن بن خلف بن عبد الله
البنّا = أحمد بن محمد
بو عصيدة = رمضان بو عصيدة
بوحاجب = سالم بن عمر
بوديدح = أحمد
البوذري = أحمد بن عبد الرحمن

جمعية الشيخ عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملخص المذكرة

– ذكرت التحريرات فعرّفتها، وأبرزت أوجه عناية الشيخ بها مع أمثلة لذلك، وذيّلته بالكلام عن موقف الشيخ من تلفيق القراءات، فنقلت أقوال العلماء في هذه المسألة ومذاهبهم، وموقف الشيخ رحمه الله تعالى من اختلافهم.

– ذكرت طريقة تعامل الشيخ رحمه الله مع الشّاطبية، ولخّصت ذلك في أربع نقاط: شرح بعض الأبيات الغامضة؛ الاستدلال بأبياتها؛ ردّه للأوجه التي خرج فيها الشاطبيّ عن طرقه مع التنبيه على طريقة مناقشة الشيخ للشاطبي في هذه المسألة؛ موقفه من زيادات الشاطبي على التيسير وأنّه يقبل الزيادة عن التيسير ما لم تخرج عن طرق الأصل.

وآخر هذا الفصل هو مسائل مشكلة عالجها الشيخ رحمه الله تعالى وهي:

– مسألة الأحرف السبعة: بيّنت أنّه اختار في معناها أنّها أربع لغات من لغات العرب غير معيّنة؛ وأنّه اختار بقاء الأحرف السبعة كلّها في المصاحف العثمانية.

– مسألة التواتر: اختار فيها الشيخ رحمه الله أنّ التواتر شرط، وأنّه لا يكتفى في صحة القراءة بصحة السند، خلافا لابن الجزري وغيره، وقد ذكرت ما يَرِد على كلام الشيخ رحمه الله، وخرجت بأنّ الخلاف فيها ليس له أثر يذكر، حسبما ظهر لي.

مسألة جمع القراءات: وفيه يطلق الشيخ أنّها بدعة محدثة، فذكرت قوله هذا، وحاولت توجيه بعض الإشكالات الواردة على هذا التقرير أبرزها عمل الشيخ نفسه بهذا الجمع.

وهنا ينتهي الفصل الثالث ويبدأ الرابع وهو على قسمين:

مبحث في تقويم الكتاب بذكر مزاياه، ثمّ المآخذ المنهجية والعلمية على الكتاب، وجلّها مأخوذة ومستنبطة من كلام العلماء اللاحقين.

وبهذا القسم ينتهي المقصد الثاني من البحث؛ ويبقى مبحث مكمّل هو: أثر الشيخ في من بعده، حيث اخترت لهذا الغرض ثلاثة من العلماء ظهر تأثّرهم به، فترجمت لكلّ واحد منهم، ثم أعطيت ملامح وصوَرًا من أثر الشيخ عليهم، وهم: إبراهيم المارغني، وعلي الضباع، وعبد الفتاح القاضي؛ وحاولت خَتْم هذا المبحث بذكر أثره العامّ على غير هؤلاء من العلماء والمؤلفين كالشيخ الحصري، وعبد الرزاق موسى، ومحمد سالم محيسن، وغيرهم.

وأخيرا الخاتمة وفيها أهمّ نتائج البحث.

ابن بويان = أحمد بن عثمان
التاجوريّ = عبد السلام بن صالح
التواتي = محمد بن محمد الطاهر
التونسي = محمد التونسي الصفاقسي
ابن التين = عبد الواحد بن عمر الصفاقسي
الجبالي = ساسي
الجحدري = عاصم
ابن الجزري = محمد بن محمد
الجعبري = إبراهيم بن عمر
أبو جعفر = يزيد بن القعقاع
جعفر بن محمد بن أسد النصيبي ٢٧
جلال الدين المحلي = محمد بن أحمد
جلال الدين الصديقي ٦٦
الجمزوري = سليمان بن محمد
الجمل = إبراهيم بن أحمد الجمل الصفاقسيّ
الجمّني = إبراهيم بن عبد الله
ابن الحاجب = عثمان بن عمر
الحبيب = محمد بن منصور، الحرقاني
الحجاج بن يوسف ١٧٤
ابن حجر = أحمد بن علي
الحداد = إدريس بن عبد الكريم
الحداد = محمد بن علي الحسيني
الحرقاني = محمد بن منصور (الحبيب)
الحسن بن أحمد العطّار ١٣٧
الحسن بن خلف بن عبد الله بن بليمة ٢٥
الحسن بن علي الأهوازي ١٣٥

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفهارس

وفيه

فهرس الأحاديث

فهرس الأعلام

فهرس المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الحسن بن قاسم المرادي (ابن أمّ قاسم) ٦٥
حسن حسني عبد الوهاب ٤٠
حسن يحيى الكتبي ٢٢٦
الحسيني = محمد بن علي بالحداد
الحصري = محمود خليل
الحصري = علي بن عبد الغني
حفص ابن سليمان ٢٣
حفص بن عمر الدوري ٢١
الحلواني = أحمد بن يزيد
حمزة بن حبيب الزيات ٢٣
حمودة باشا ٣٦
أبو حيان = محمد بن يوسف
الخاقاني = موسى بن عبيد الله
الخزّاز = محمّد بن محمد الشريشي
الخرشيّ = محمد بن عبد الله
الخطيب الشعار = عبد الرحمن بن حبيب
خلاّد بن خالد ٢٤
ابن خلدون = عبد الرحمن بن محمد
خلف بن هشام ٢٣
ابن خُلَيْفة = علي بن محمد المساكني
خليل بن إسحاق ٦٥
الخوجة = محمود بن أحمد ابن
الدارقطني = علي بن عمر
الداني = عثمان بن سعيد (أبو عمرو)
أبو داود = سليمان بن نجاح
الدرعي = أحمد بن ناصر

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الدرعي = محمد بن محمد بن أحمد
الدوري = حفص بن عمر
ابن أبي دينار = محمد بن أبي القاسم الرعيني
ابن ذكوان = عبد الله بن أحمد
الذماري = يحيى بن الحارث
الرازي = محمد بن عمر (فخر الدين)
أبو ربيعة = محمد بن إسحاق بن وهب
الرشيدي = علي بن إبراهيم
الرشيدي = علي بن إبراهيم الخيّاط
رضوان العقبي ٦٨
رمضان بو عصيدة الصفاقسي ٧١
زبّان بن العلاء أبو عمرو البصري ٢١
زر بن حبيش ٢٢
الزرقاني = عبد العظيم
الزركشي = بدر الدين بن محمد
أبو الزعراء = عبد الرحمن بن عبدوس
زكريا الأنصاري ٦٨
الزمخشري = محمود بن عمر
الزواري = محمد الزواري
الزيات = حمزة بن حبيب
ساسي الجبالي ٥٣
سالم بن عمر بوحاجب ٢١٩
سبط الخياط = عبد الله بن علي
السخاوي = علي بن محمد (علم الدين)
السراج = محمد بن محمد الأندلسي الوزير
سعد بن إياس الشيباني ٢٢

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سعيد بن مسعدة الأخفش ١٨٢
ابن سفيان = محمد بن سفيان القيرواني
سلطان بن أحمد بن سلامة المزاحي ٤٩
السلمي = عبد الله بن حبيب (أبو عبد الرحمن)
سليم بن عيسى ٢٣
سليمان الأندلسي ٦٢
سليمان بن محمد الجمزوري ١٧٩
سليمان بن نجاح أبو داود ١٣٦
السنباطي = أحمد بن أحمد
السنهوري = أحمد السنهوري
السنوسي = محمد بن يوسف
ابن سوار = أحمد بن علي
السوسي = صالح بن زياد
سيبويه = عمرو بن عثمان
سيف الدين الفضالي ٤٩
السيوطي = عبد الرحمن بن أبي بكر
ابن شاذان = محمد ابن شاذان
الشاطبي = القاسم بن فيره
أبو شامة = عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي
الشاوي = يحيى بن محمد
الشبراملّسي = علي الشبراملّسي
الشبرخيتي = إبراهيم بن مرعي
شحاذة اليمني ٦٨
الشرفي = محمد بن محمّد الصفاقسي
ابن شريح = محمد بن شريح بن أحمد
شريح بن يزيد ١١٧

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الشريشي = محمّد بن محمد الخرّاز
شعبة بن عيّاش ٢٣
ابن شكر = محمد ابن شكر
الشهيد = محمد الشهيد الصفاقسيّ
شيبة بن نصاح ١٩
الشيخ = عمر بن الشيخ أحمد ابن
ابن شيطا = عبد الواحد بن الحسين
صالح بن زياد السوسي ٢١
الصديقي = جلال الدين
الصفاقسي = أحمد بن علي النوري
= إبراهيم بن أحمد الجمل
= إبراهيم بن محمد برهان الدين
= رمضان بو عصيدة
= عبد الله ابن المنتصر الأومي
= عبد الواحد بن عمر بن التين
= علي الغراب
= علي الكراي
= علي بن محمد المُقدّم
= قاسم المؤخّر الأنصاري
= محمد التونسي
= محمد الشهيد
= محمد بن علي النوري
= محمد بن محمّد الشرفي
= محمد كمون
الصفراوي = أبو القاسم بن عثمان بن يوسف
الصقلي = أبو القاسم بن عبد الرحمن (ابن الفحّام)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ابن الصلاح = عثمان بن عبد الرحمن
الضباع = علي بن محمد
ابن أبي الضياف = أحمد
طاهر بن عبد المنعم ابن غلبون ١٣٤
طاهر بن محمد بن علي النويري ٦٨
الطبري = عبد الكريم بن عبد الصمد (أبو معشر)
الطبري = محمد بن جرير
الطبلاوي = محمد بن سالم
ابن عاشر = عبد الواحد بن أحمد
ابن عاشور = محمد الطاهر
عاشور بن موسى القسنطيني ٥٢
عاصم ابن أبي النَّجُود ٢٢
عاصم الجحدري ١١٧
ابن عامر = عبد الله
عبد الحفيظ بن محمد الطيب ٧٢
عبد الرحمن البرشاني ٧٣
عبد الرحمن اليمني ٥٠
عبد الرحمن بن أبي القاسم ابن القاضي ٥٠
عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ٦٦
عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي (أبو شامة) ١٣٩
عبد الرحمن بن حبيب الخطيب الشعار ٢٦٦
عبد الرحمن بن عبدوس (أبو الزعراء) ٢٦
عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون ٤٢
عبد الرحمن بن هرمز ١٩
عبد الرزاق علي إبراهيم موسى ١٧٨
عبد السلام بن إبراهيم اللقّاني ٦٣

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

عبد السلام بن صالح التاجوريّ ٧٢
عبد العزيز بن عبد العزيز الفراتي ٧١
عبد العزيز بن محمد عيون السود ٢٢٦
عبد العظيم الزرقاني ١٦
عبد الفتاح السيد عجمي المرصفي ٨٠
عبد الفتاح القاضي ٢٣٢
عبد الكريم القسنطينيّ ٧٣
عبد الكريم بن عبد الصمد (أبو معشر الطبري) ١٣٥
عبد الكريم بن هوازن القشيري ١٧١
عبد الله ابن المنتصر الأومي الصفاقسي ٥٢
عبد الله بن أحمد ابن ذكوان ٢٢
عبد الله بن حبيب أبو عبد الرحمن السلمي ٢٢
عبد الله بن عامر ٢١
عبد الله بن علي سبط الخياط ١٣٦
عبد الله بن كثير ٢٠
عبد المنعم ابن غلبون ٢٤
عبد الواحد المارغني ٢١٩
عبد الواحد بن الحسين ابن شيطا ١٣٤
عبد الواحد بن أحمد بن عاشر الأنصاري ٢٢٠
عبد الواحد بن عمر بن التين الصفاقسي ٥٨
عبد الواحد بن محمد بن أبي السداد المالقي ١٣٧
أبو عبيد = القاسم بن سلاّم
عبيد الله الأفغاني ٧٣
عبيد بن الصباح النهشلي ٢٧
عثمان بن سعيد الداني (أبو عمرو) ٢٥
عثمان بن سعيد ورش ٢٠

جمعية الإمام عبد القادر للعلوم الإسلامية

عثمان بن عبد الرحمن ابن الصلاح ١٨٦
عثمان بن عمر ابن الحاجب ١٤٤
العجمي = أحمد بن أحمد
العجمي = أحمد بن حَمَد، المكني
ابن العربي = محمد بن عبد الله (أبو بكر)
العش = علي
العطّار = الحسن بن أحمد
العطار = محمّد بن عبد الملك
العقبي = رضوان
علم الدين السخاوي = علي بن محمد
علي = أبو الحسن الكرّاي
علي الشبراملّسي ٥٠
علي العش ٧٢
علي الغراب الصفاقسي ٧٢
علي الكوفري الأندلسي ٥٣
علي بن إبراهيم الخيّاط الرشيدي ٥١
علي بن حمزة الكسائي ٢٤
علي بن سلامة المهدي ٧٣
علي بن سليمان بن عبد الله المنصوري ٥٢
علي بن عبد الغني الحصري ١٣٥
علي بن عثمان بن محمد ابن القاصح ٨٠
علي بن عمر الدارقطني ١١٣
علي بن محمد السخاوي (علم الدين) ١٣٧
علي بن محمد الضباع ٢٢٦
علي بن محمد المُقدّم الصفاقسي ٦٩
علي بن محمد بن خُلَيْفة المساكني ٧١

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

علي بن محمد بن فارس ١٣٥
علي بن محمد ابن بري ٢٢٢
علي بن مراد باي ٣٨
علي لاز ٣٧
علي الكراي ٦٢
عمران بن أعين ٢٣
عمر بن الشيخ أحمد ١١٩
عمر بن قاسم بن محمد الأنصاري بالنشار ١٠١
أبو عمرو البصري = زبّان بن العلاء
عمرو بن عثمان سيبويه ١٨٢
العناني = أحمد العناني
العوفي = محمد بن أحمد
عيسى بن مينا قالون ٢٠
عيون السود = عبد العزيز بن محمد
ابن غازي = محمد بن أحمد
الغراب = علي الغراب الصفاقسي
الغراب = محمد الغراب
الغرناطي = محمد بن يوسف ابن حيان
ابن غلبون = طاهر بن عبد المنعم
ابن غلبون = عبد المنعم
ابن فارس = أحمد ابن فارس
ابن فارس = علي بن محمد
فارس بن أحمد بن موسى ٢١٤
الفاسي = أبو عبد الله محمد بن الحسن
ابن الفحّام = أبو القاسم بن عبد الرحمن الصقلي
فخر الدين الرازي = محمد بن عمر

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفراتي = عبد العزيز بن عبد العزيز
الفضالي = سيف الدين
الفيروزابادي = محمد بن يعقوب
القادري = محمد
ابن أمّ قاسم = الحسن بن قاسم المرادي
ابن أم قاسم = الحسن بن قاسم المرادي
قاسم المؤخّر الأنصاري،الصفاقسي ٧٠
القاسم بن سلاّم أبو عبيد ١٩
أبو القاسم بن عثمان بن يوسف الصفراوي ١٣٧
القاسم بن فيره الشاطبي ٢٧
ابن القاصح = علي بن عثمان بن محمد
القاضي = إسماعيل بن إسحاق
القاضي = عبد الرحمن بن أبي القاسم ابن
القاضي = عبد الفتاح
قالون = عيسى بن مينا
القسطلاني = أحمد بن محمد
القسنطيني = عاشور بن موسى
القسنطينيّ = عبد الكريم
القشيري = عبد الكريم بن هوازن
القلانسي = محمد بن الحسين الواسطي
قنبل = محمد بن عبد الرحمن
الكتاني = محمد بن جعفر بن إدريس
الكتبي = حسن يحيى
ابن كثير = عبد الله بن كثير
الكرّاي = أبو الحسن علي
الكركي = إبراهيم بن محمد

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الكسائي = علي بن حمزة
الكسائي الصغير = محمد بن يحيى
كمون = محمد كمون الصفاقسي
الكورانيّ = إبراهيم بن حسن
الكوفري = علي
اللقّاني = عبد السلام بن إبراهيم
الليث بن خالد ٢٤
المؤخّر = قاسم الأنصاري، الصفاقسي
المارِغني = إبراهيم بن أحمد
المارغني = عبد الواحد
المالقي = عبد الواحد بن محمد بن أبي السداد
ابن مالك = محمد بن عبد الله
ابن مجاهد = أحمد بن موسى
مجاهد بن جبر ٣٠
المحلي = محمد بن أحمد (جلال الدين)
محمد ابن شاذان ٢٧
محمد ابن شكر ٣٩
محمد التونسي الصفاقسي ٧٠
محمد الزواري ٧٣
محمد الشهيد الصفاقسي ٧٢م
محمد الطاهر بن عاشور ٢١٩
محمد الغراب ٧٣
محمد القادري ١٤٣
محمد القروي ٦٢
محمد الوافي ٧٢
محمد بن الحسن (أبو عبد الله الفاسي) ١٣٩

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

محمد بن الحسين القلانسي الواسطي ١٣٦
محمد بن القاسم الأنباري (أبو بكر) ١٣٣
محمد بن أبي القاسم ابن أبي دينار ٣٩
محمد بن أحمد العوفي ٤٩
محمد بن أحمد (جلال الدين المحلي) ١٤٤
محمد بن أحمد بن غازي ١٤٠
محمد بن إسحاق بن وهب أبو ربيعة ٢٦
محمد بن جرير الطبري ١٩
محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني ٨٨
محمد بن حمودة باشا ٣٨
محمد بن سالم الطبلاوي ٦٨
محمد بن سفيان القيرواني ١٣٤
محمد بن شريح بن أحمد ٢٥
محمد بن عبد الرحمن قنبل ٢٠
محمد بن عبد الله ابن العربي (أبو بكر) ١٨٥
محمد بن عبد الله الخرشيّ ٦٥
محمد بن عبد الله بن مالك ١٣٧
محمّد بن عبد الملك العطار ١٣٦
محمد بن عثمان النجار ٢١٩
محمد بن علاء الدين البابلي ٦٣م
محمد بن علي الحسيني الحداد ٢٢٨
محمد بن علي النوري الصفاقسي ٦٩
محمد بن عمر الرازي (فخر الدين) ١٥٣
محمد بن عمر بن قاسم البقري ٥١
محمد بن محمد ابن الجزري ١٥
محمد بن محمد الأفراني (الوافراني) ٤٩

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

محمد بن محمد الأندلسي الوزير السراج ٧٦
محمد بن محمّد الشرفي الصفاقسي ٧١
محمّد بن محمد الشريشي (الخرّاز) ١٣٧
محمد بن محمد الطاهر التواتي ٢٢١
محمد بن محمد النويري ١٨
محمد بن محمد بن أحمد الدرعي ٦٣
محمد بن محمد مخلوف ٨٨
محمد بن مراد باي ٣٨
محمد بن منصور، الحرقاني (الحبيب) ٧١
محمد بن هارون أبو نشيط ٢٦
محمد بن يحيى الكسائي الصغير ٢٧
محمد بن يعقوب الفيروزابادي ١٤٤
محمد بن يوسف ابن حيان الغرناطي ١٤٤
محمد بن يوسف السنوسي ٦٥
محمد لاز ٣٧
محمد سهر حمودة بن إدريس التونسي ٢٢١
محمد كمون الصفاقسي ٧١
محمود بن أحمد بن الخوجة ٢١٩
محمود بن عمر الزّمخشري ١٤٤
محمود خليل الحصري ٢١٥
مخلوف = محمد بن محمد
مراد باي الأول ٣٥
مراد بن حمودة باشا ٣٦
المرادي = الحسن بن قاسم (ابن أمّ قاسم)
المرادي = الحسن بن قاسم (ابن أم قاسم)
المرصفي = عبد الفتاح السيد عجمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المزاحي = سلطان بن أحمد
المزغني = إبراهيم المزغني
المساكني = علي بن محمد بن خُلَيْفة
مصطفى بن عبد الرحمن الأزميري ١٨٠
مصطفى لاز ٣٧
أبو معشر = عبد الكريم بن عبد الصمد الطبري
المقدسي = عبد الرحمن بن إسماعيل (أبو شامة)
المكني = أحمد بن حَمَد العجمي
مكي بن أبي طالب القيسي ٢٥
المنجرة = إدريس بن محمد
المنصوري = علي بن سليمان بن عبد الله
ابن المنير = أحمد بن محمد
المهدوي = أحمد بن عمّار
المهدي = علي بن سلامة
ابن مهران = أحمد بن الحسين
ابن مهران = هو أحمد بن الحسين
موسى بن جرير ٢٦
موسى بن عبيد الله الخاقاني ١٣٣
الميموني = إبراهيم بن محمد
نافع بن عبد الرحمن ١٩
النجار = محمد بن عثمان
النشار = عمر بن قاسم بن محمد الأنصاري
أبو نشيط = محمد بن هارون
النصيبي = جعفر بن محمد بن أسد
النفراوي = أحمد بن غنيم
النوري = أحمد بن علي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

النوري = محمد بن علي
النووي = يحيى بن شرف الدين
النويري = طاهر بن محمد بن علي
النويري = محمد بن محمد
هارون بن موسى الأخفش ٢٦
الهذلي = يوسف بن علي بن جبارة
ابن هرمز = عبد الرحمن
هشام بن عمّار ٢٢
الواسطي = محمد بن الحسين القلانسي
الوافراني = محمد بن محمد الأفراني
الوافي = محمد
ورش = عثمان بن سعيد
الوزير السراج = محمد بن محمد الأندلسي
يحيى بن آدم الصلحي ٢٧
يحيى بن الحارث بن عمرو الذماري ١١٧
يحيى بن المبارك اليزيديّ ٢١
يحيى بن زين العابدين الأنصاري ٦٤
يحيى بن شرف الدين النووي ٩٥
يحيى بن محمد الشاويّ ٦٤
يزيد بن القعقاع أبو جعفر ١٩
يزيد بن رومان ١٩
اليزيديّ = يحيى بن المبارك
اليمني = شحاذة
اليمني = عبد الرحمن
يوسف بن علي بن جبارة الهذلي ١٣٥
يوسف بن عمرو بن يسار الأزرق ٢٦

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع بالعدّ المدني.

صحيح البخاري (مع شرحه فتح الباري لابن حجر العسقلاني)، تصحيح محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

صحيح مسلم (مع الديباج على صحيح مسلم ابن الحجاج لجلال الدين السيوطي)، ت أبو إسحاق الحويني، ط١، م.ع. السعودية، ١٤٢٦هـ/١٩٩٦م.

المسند، أحمد ابن حنبل، ت أحمد شاكر، ط١، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، مصر، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

سنن أبي داود (مع شرحه عون المعبود، لأبي الطيب محمّد شمس الحق العظيم آبادي)، ط١، د الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٠هـ/١٩٩٠.

جامع الترمذي، أبو عيسى محمد بن سورة الترمذي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

سنن ابن ماجه ، ابن ماجه القزويني، ت محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، لبنان.

المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

آراء أبي بكر ابن العربي الكلامية، عمّار الطالبي، ط١، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٨١م.

الأحرف السبعة ومكانة القراءات منها، حسن ضياء الدين عتر، ط١، دار البشائر، بيروت، لبنان، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.

أحسن الأثر في تاريخ القراء الأربعة عشر، محمود خليل الحصري، ط١، مكتبة السنة، القاهرة،مصر

أحكام قراءة القرآن الكريم، محمود خليل الحصري، ط١، مكتبة السنة، القاهرة، مصر، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م

الأزهر في ألف عام ، ط١، محمد عبد المنعم خفاجي، المطبعة المنيرية، القاهرة مصر، ١٣٧٤ هـ.

أصول التاريخ العثماني، أحمد عبد الرحيم مصطفى، ط٢، دار الشروق، القاهرة، مصر، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين) ، خير الدين الزركلي، ط٧، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.

الأوجه المقدمة عند القراء، رسالة في المقدم أداء، محمد بن علي بن يالوشة الشريف، ترتيب وعناية وتعليق سمير عبد النور جاب الله، عبد الحليم قابة، ط١، البلاغ، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

مختصر بلوغ الأمنية شرح إتحاف البرية ، علي محمد الضباع، دار الفكر، بيروت لبنان، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، بذيل سراج القاري لابن القاصح.

إتحاف أهل الزمان بأخبار تونس وعهد الأمان، أحمد بن أبي الضياف، ت لجنة من كتابة الدولة، كتابة الدولة للشؤون الثقافية والإرشاد، تونس، ١٩٦٤م.

إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، أحمد البنا الدمياطي، ت شعبان محمد إسماعيل، ط١، دار عالم الكتب، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧ م.

إتحاف فضلاء البشر، أحمد البنا الدمياطي، صححه وعلّق عليه علي محمد الضباع، مطبعة عبد الحميد أحمد حنفي، مصر، ١٣٥٩هـ.

الإقناع في القراءات السبع ، أبو جعفر أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري ابن الباذش، ت أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، إسماعيل باشا البغدادي، دار الفكر، ١٤٠٢ هـ/١٩٨٢م.

البحر المحيط ، بدر الدين الزركشي، ت لجنة من علماء الأزهر، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، علي بن محمد الشوكاني، بعناية خليل المنصور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٨ه/ ١٩٩٨م.

البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، عبد الفتاح القاضي، ط١، دار السلام، مصر القاهرة،١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

البدور الزاهرة في القراءات المتواترة، أبو حفص عمر بن قاسم الأنصاري المعروف بالنشار، ت علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، ط١، دار عالم الكتب، ١٤٢١هـ.

برنامج تعليم القراءات في الجامع الأعظم، ١٦ ذي الحجة١٣٦٨، تنتهي في شعبان١٣٦٩هـ.

البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين الزركشي، ت محمّد أبو الفضل إبراهيم، ط٣، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

بشير اليسر شرح ناظمة الزهر في علم الفواصل، عبد الفتاح القاضي، المكتبة المحمودية التجارية، مصر.

بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي، ت أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

البيان في عد آي القرآن ، أبو عمرو الداني، ت غانم قدوري الحمد، ط١، منشورات مركز المخطوطات و التراث و الوثائق، الكويت، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

تاج العروس من جواهر القاموس، مجد الدين أبو الفيض مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي، ت على شيرة، دار الفكر، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

تاج اللغة وصحاح العربية (الصحاح)، الجوهري إسماعيل بن حماد، ت أحمد عبد الغفور العطار، ط٣، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

تاريخ الإسلام، أبو عبد الله أحمد بن محمد الذهبي، ط٢، ت عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

التاريخ الإسلامي ، محمود شاكر، ط١، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

تاريخ الجامع الأزهر، محمد عبد الله عنان، ط٢، م لجنة التأليف والترجمة والنشر، مؤسسة الخانجي، القاهرة، مصر، ١٩٨٤ م

تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر، أبو القاسم سعد الله، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٨١.

تاريخ الجزائر في القديم والحديث، مبارك بن محمد الهلالي الميلي، مكتبة النهضة الجزائرية.

تاريخ الدولة العلية العثمانية، محمد فريد بك المحامي، ت إحسان حقي، ط٥، دار النفائس، بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

تاريخ القراء العشر، عبد الفتاح القاضي، ط١، دار السلام، مصر القاهرة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

تاريخ المغرب العربي وحضارته من قبل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي، حسين مؤنس، ط١، دار العصر الحديث، بيروت لبنان، ١٤١٢هـ/١٩٩٢ م.

تاريخ المغرب الكبير، جلال يحي، دار النهضة، بيروت لبنان، ١٩٨١م.

تاريخ عجائب الآثار، عبد الرحمن الجبرتي، دار الجيل، بيروت، لبنان.

تاريخ معالم التوحيد في القديم والجديد، محمد الخوجة، ت جلالي بن الحاج يحي، حمادي الساحلي، ط٢، دار الغرب الاسلامي، بيروت لبنان، ١٩٨٥ م.

تأريخ القرآن، إبراهيم الأبياري، دار الشروق، بيروت، لبنان.

التبيان في آداب حملة القرآن ، محي الدين النووي، ت أبي عبد الله أحمد بن إبراهيم أبي العـــنين، ط١، دار الآثار، مصر، ١٤٢٤هـــ / ٢٠٠٣م.

تحبير التيسير في قراءات الأئمة العشرة، ابن الجزري محمد بن محمد، ت جماعة من العلماء، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ١٤٠٤هـــ/١٩٨٣ م.

تحفة الطالبين في ترجمة الامام محي الدين (النووي)، علاء الدين علي بن إبراهيم العطار، ت أبو عبيـــدة مشهور بن حسن سلمان، ط١، دار الصميعي، الرياض، م.ع.السعودية، ١٤١٤هـــ.

تحفة المقرئين في بيان حكم جمع القراءات في كلام رب العالمين، إبراهيم المارغني، ت عبد الحليم قابة، دار المصحف الشريف، الجزائر.

التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من أخبار، أبو عبد الله محمد بن خليل غلبـــون الطرابلســـي المعروف بابن غلبون، ت أيمن البحيري، ط١، مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤١٩هـــ/١٩٩٨م.

تراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ، ط٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ١٩٩٤.

الترتيل وعلومه ، أحمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله الطويل، ط١، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، م. ع. السعودية،١٩٩٩، ١٤٢٠.

التعريف بالقرآن والحديث، محمد الزفزاف، ط٤، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٤٠٤هـــ/١٩٨٤م.

تقريب النفع في القراءات السبع، علي محمد الضباع، مطبعة مصطفى الباي الحلبي، مصر، ١٣٤٧هـــ.

تلخيص العبارات بلطيف الإشارات في القراءات السبع، أبو علي الحسن بن خلف بن عبد الله بـــن بليمة، ت جمال الدين محمد شرف، دار الصحابة، القاهرة مصر.

تلخيص الفوائد و تقريب المتباعد، ابن القاصح، ت عبد الفتاح القاضي، مؤسسة دار الشعب، القاهرة، مصر ١٤١٧هـــ/١٩٩٧م.

التمهيد في علم التجويد، ابن الجزري، ت محمد حسين البواب، ط١، مكتبـــة المعـــارف، الريـــاض، م.ع.السعودية، ١٤٠٥هـــ/١٩٨٥م.

تنبيه العباد إلى كيفية النطق بالضاد، عبيد الله الأفغاني، رتبها وأخرجها أبو صلاح محمد هاشم طاهري الأفغاني، ط١، مكتبة ابن القيم، الكويت، ١٤٢٤هـــ/ ٢٠٠٣م.

تنبيه الغافلين و إرشاد الجاهلين عما يقع لهم من الخطأ حال تلاوتهم كتاب الله المبين، علي النـــوري الصفاقسي، ت محمد الشاذلي النيفر، مؤسسة عبد الكريم بـــن عبـــد الله، المطبعـــة الرسميـــة للجمهورية التونسية، ١٩٧٤م.

التيسير في القراءات السبع ، أبو عمرو الداني، ت أتو يرتزل، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٦هـ/ ١٤١٦هـ.

الحروب الصليبية في المشرق و المغرب، محمد العروسي المطوي، ط٢، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٢م.

الحلل السندسية في الأخبار التونسية، محمد بن محمد الأندلسي، الوزير السراج، ت محمدالحبيب الهيلة، ط١، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٨٥.

خزانة العلوم في تصنيف الفنون الاسلامية ومصادرها، عبد الله نذير أحمد، دار البشائر الإسلامية، ط١، بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ/١٩٩٨ م.

خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، المحبي محمد أمين، تصحيح مصطفى وهبي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، مصر.

خلاصة تاريخ تونس، حسن حسني عبد الوهاب، ط٣، دار الكتب العربية الشرقية، تونس، ١٣٧٣هـ.

الدخان بين القديم و الحديث، محمد بن جعفر الكتاني، ت عبد الله بن مكي بن محمد بن جعفر الكتاني، ط١، مكتبة الفيحاء، دمشق، سوريا، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ابن حجر العسقلاني، ت عبد الوارث علي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٨هـ/١٩٩٤م.

دليل الحيران على مورد الظمآن، إبراهيم المارغني، دار الكتب، الجزائر.

رواية ورش عن الإمام نافع المدني، محمود خليل الحصري، ط١، مكتبة السنة، القاهرة، مصر، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م

سراج القاري المبتدي وتذكار المقريء المنتهي (شرح الشاطبية)، ابن القاصح، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، محمد خليل المرادي، ط٣، دار ابن حزم، دار البشائر، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

سمير الطالبين في رسم و ضبط الكتاب المبين، علي محمد الضباع، ط١، مطبعة عبد الحليم أحمد حنفي، مصر.

سنن ابن ماجه، ابن ماجه القزويني، ت محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، لبنان.

سنن أبي داود (مع شرحه عون المعبود، لأبي الطيب محمّد شمس الحق العظيم آبادي)، ط١، د الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٠هـ/١٩٩٠.

سير أعلام النبلاء، الذهبي أبو عبد الله أحمد بن محمد، ت شعيب الأرناؤوط، ط١، دار الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

الشامل في القراءات المتواترة، محمد حبش، ط١، دار الكلم الطيب، بيروت، لبنان، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن محمد مخلوف، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

شرح الشاطبية (إرشاد المريد إلى مقصود القصيد)، علي محمد الضباع، مطبعة محمد علي صبيح، مصر.

شرح رسالة قالون، علي محمد الضباع، ت وعناية عبد الحليم قابة، ط١، مكتبة التوفيق، الجزائر، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

شرح طيبة النشر في القراءات العشر، أبو القاسم محمد بن محمد النويري، ت مجدي محمد سرور باسلوم، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

شرح طيبة النشر في القراءات العشر، أحمد بن محمد بن الجزري، ت أنس مهرة، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

صحيح سنن أبي داود، محمد ناصر الدين الألباني، مؤسسة غراس، الكويت، ١٤٢٣/٢٠٠٢.

صحيح الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، ط٣، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين السخاوي، مكتبة الحياة، بيروت لبنان.

الضياء اللامع في بيان رواية ورش عن نافع ، محمد عوض زايد الحرباوي، ط١، مكتبة التوبة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٠ هـ/ ١٩٩٩ م.

طيبة النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد ابن الجزري، ضبط وتصحيح ومراجعة محمد تميم الزعبي، ط٢، مكتبة دار الهدى، المدينة المنورة، م.ع.السعودية، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

العالم الرباني الشيخ المقرئ عبيد الله الأفغاني (رحلاته وشيوخه وتلاميذه)، يحيى بن عبد الله البكري الشهري، ط١، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، م.ع.السعودية، ١٤٢٤هـ.

العنوان الصحيح للكتاب ، الشريف حاتم العوني، ط١، دار عالم الفوائد، مكة، المملكة العربية السعودية، ١٤١٩ هـ.

عون المعبود شرح سنن أبي داود، أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، ط١، د الكتب العلمية، ١٤١٠، ١٩٩٠.

غاية الاختصار في قراءات العشرة أئمة الأمصار، أبو العلاء الحسن بن أحمد بن الحسن الهمذاني العطار، ت أشرف محمد فؤاد طلعت، ط١، الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم، جدة السعودية، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤ م.

غاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزري، اعتنى بنشره برجستراسر، ط٣، د الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٢هـ /١٩٨٢ م.

الغاية في القراءات العشر، أبو بكر أحمد بن الحسين بن مهران النيسابوري، ت عماد الدين محمد شرف دار الصحابة مصر، دار ت.

الغريبين في القرآن والحديث ، أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي، ت أحمد فريد المزيدي، ط١، مؤسسة نزار مصطفى الباز، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

غيث النفع في القراءات السبع (بذيل سراج القاري لابن القاصح)، علي النوري الصفاقسي، دار الفكر، بيروت لبنان ١٤١٥هـ/١٩٩٥هـ.

غيث النفع في القراءات السبع (هامش سراج القاري)، مصحَّحاً بمعرفة لجنة التّصحيح برياسة الشيخ أحمد سعد عليّ، من علماء الأزهر، ومراجعة فضيلة الشيخ علي محمّد الضّباع، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

غيث النفع في القراءات السبع، ت أحمد محمود عبد السميع الشافعي الحفيان، ط٤، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٥هـ.

غيث النفع في القراءات السبع، مصححة بمباشرة محمد القلقيلي، شركة التمدن الصناعية على نفقة دار الكتب العربية الكبرى(مصطفى البابي الحلبي وأخويه)، ١٣٣٠هـ/١٩١٢م.

فتاوى ومسائل، ابن الصلاح، ت عبد المعطي أمين قلعجي، ط١، دار المعرفة بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تصحيح محب الدين الخطيب، د المعرفة، البيروت، لبنان.

الفتح الرباني في القراءات السبع من طريق حرز الأماني، محمد البيومي الدمنهوري أبو عياشة، ت عبد العزيز بن ناصر السبر، ط١، جامعة الإمام محمد بن سعود، م.ع.السعودية، ١٤١٧هـ.

الفتح الرحماني شرح كنز المعاني بتحرير حرز الأماني، سليمان بن حسين الجمزوري، ت عبد الرزاق بن علي إبراهيم موسى، ط٢، دار الضياء، مصر.

فهارس الخزانة الحسنية بالقصر الملكي بالرباط، محمد العربي الخطابي، ط١، الرباط، المملكة المغربية، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

الفهرس الشامل للتراث العربي الاسلامي المخطوط، علوم القرآن مخطوطات التجويد، مؤسسة آل البيت، المعهد الملكي للبحوث و الحضارة الاسلامية، الأردن.

الفهرس العام للمخطوطات، دار الكتب الوطنية، جمال حمادة، ط١، ١٩٩٤م.

فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، ت إحسان عباس، ط٢، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

فهرس الكتب العربية الموجودة في دار الكتب المصرية لغاية١٤٢١هـ، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، ١٣٤٢هـ/١٩٢٤م.

فهرس المخطوطات بدار الكتب الوطنية التونسية، مصلحة المخطوطات، تونس، ١٩٧٨م.

فهرس كتب القراءات القرآنية في مكتبة المصغرات الفلمية في قسم المخطوطات في عمادة شؤون المكتبات في الجامعة الإسلامية، إعداد عمادة شؤون المكتبات، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٥هـ.

الفوائد المفهمة في شرح الجزرية المقدمة، محمد بن علي بن يالوشة الشريف، ١٣٠٢هـ.

القراء والقراءات بالمغرب، سعيد أعراب، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ١٤١٠، ١٩٩٠.

القراءات العشر من الشاطبية والدرة، محمود خليل الحصري، ط١، مكتبة السنة، القاهرة، مصر، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م

القراءات القرآنية (تاريخها ثبوتها حجيتها أحكامها)، عبد الحليم محمد الهادي قابة، ط١، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٩٩م.

القراءات القرآنية أحكامها ومصدرها، شعبان محمد إسماعيل، ط٢، دار السلام مصر، القاهرة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

القراءات القرآنية تاريخ وتعريف، عبد الهادي الفضلي، ط٢، دار القلم، بيروت لبنان، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

القراءات و أثرها في التفسير و الأحكام، محمد بن عمر بن سالم بازمول، ط١، دار الهجرة، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

قراءة الإمام نافع عند المغاربة (من رواية أبي سعيد ورش مقوماتها البنائية ومدارسها الأدائية إلى نهاية القرن العاشر)، عبد الهادي حميتو، منشورات وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، م المغربية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

قراءة الإمام نافع، من رواية قالون وورش من طريق الشاطبية، أحمد خالد شكري، ط١، دار عمار، الأردن، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

القول المعتبر في الأوجه بين السور، علي محمد الضباع، مطبعة مصطفى الباي الحلبي، مصر، ١٣٥٤هـ/١٩٣٦م.

كتاب السبعة في القراءات، أبو بكر ابن مجاهد، ت شوقي ضيف، ط١، دار العارف، القاهرة، مصر، ١٤٠٠هـ.

كتاب العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين، حسن حسني عبد الوهاب، مراجعة وإكمال محمد العروسي المطوي وبشير بكوش، ط١، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٩٠م

الكتاب الموضح في وجوه القراءات السبع، نصر بن علي بن محمد أبو عبد الله الشيرازي الفارسي الفسوي (ابن أبي مريم)، ت دراسة عمر حمدان الكبيسي، ط١، مكتبة التوعية الاسلامية، مصر، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م

كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني حاجي خليفة، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م

الكلمات الممالة لورش وبيان أصوله من طريق الحرز، عبد الرزاق علي إبراهيم موسى، ط١، دار الضياء، مصر.

الكليات في اللغة، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسين الكفوي، قابله عدنان درويش ومحمد المصري، ط٢، مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

الكنز في القراءات العشر، عبد الله بن عبد المؤمن بن وجيه الواسطي، ت هناء الحمصي، ط١، الكتب العلمية ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨ م.

لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، نسقه وعلّق عليه علي شيري، ط١، دار إحياء التراث، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

المؤنس في أخبار تونس، ط١، أبو عبد الله الشيخ محمد بن أبي بلقاسم الرعيني القيرواني بابن أبي دينار، مطبعة الدولة التونسية، تونس، ١٢٨٦هـ.

مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، ط١٧، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٨٨م.

المتولي وجهوده في علم القراءات، إبراهيم بن سعيد الدوسري، مكتبة الرشد، الرياض، م.ع. السعودية، ١٩٩٩.

مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن ابن القاسم وابنه.

المحرر الوجيز في عد آي الكتاب العزيز، عبد الرزاق علي ابراهيم موسى، ط١، مكتبة المعارف، الرياض، م.ع.السعودية، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المرشد الوجيز في علوم تتعلق بالكتاب العزيز، أبو شامة المقدسي عبد الرحمن بن إسماعيل، ت وليد مساعد الطبطبائي، مكتبة الإمام الذهبي، ط٢، الكويت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

مع القرآن الكريم، محمود خليل الحصري، ط١، مكتبة السنة، القاهرة، مصر، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م

معالم الإهتداء إلى معرفة الوقوف والابتداء، محمود خليل الحصري، ط١، مكتبة السنة، القاهرة، مصر، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م

معالم التاريخ الإسلامي، عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر.

معجم البدع، رائد صبري ابن أبي علفة، ط١، دار العاصمة، م. ع.السعودية، ١٩٩٦م/١٤١٧هـ.

معجم البلدان، ياقوت الحموي، ت فريد عبد العزيز الجندي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ/١٩٩٣م.

معجم المطبوعات العربية والمعربة إلى نهاية ١٣٣٩هـ/١٩١٩م، يوسف إلياس سركيس، دار الفكر، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

معجم مصنفات القرآن الكريم، علي شواخ إسحاق، ط١، دار الرفاعي، م.ع.السعودية، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

معجم مقاييس اللغة، أبي الحسين أحمد ابن فارس، ت عبد السلام هارون، ط١، دار الجيل، بيروت لبنان، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

معرفة القراء الكبار، الذهبي، ط١، ت بشار عواد معروف، شعيب الأرناؤوط، صالح مهدي عباس، م الرسالة، بيروت لبنان، ١٤٠٤، ١٩٨٤.

مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، ت أحمد الزعبي، شركة الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، لبنان.

المقنع في رسم مصاحف الأمصار، الداني، ت محمد الصادق قمحاوي، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، ١٩٧٨م.

المكرر فيما تواتر من القراءات السبع وتحرر ، أبو حفص عمر بن قاسم بن محمد الأنصاري الشهير بالنشار، ط مصطفى البابي الحلبي، ١٣٥٤هـ/١٩٣٥ م

مناهل العرفان في علوم القرآن، عبد العظيم الزرقاني، ط٣، دار الفكر، بيروت، لبنان.

منجد المقرئين ومرشد الطالبين، محمد بن الجزري، ت عبد الحليم قابة، ط١، دار البلاغ، الجزائر، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، عبد الكريم الفكون، ت أبو القاسم سعد الله، ط١، دار الغرب الاسلامي، بيروت لبنان، ١٤٠٨هـ /١٩٨٧ م.

منهج إعداد البحوث الجامعية، حمادي العبيدي، ط١، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

منهجية إعداد البحث العلمي في العلوم الإنسانية والإسلامية، نصر سلمان وسعاد سطحي، دار السلام، الجزائر.

المهذب في القراءات العشر و توجيهها من طريق طيبة النشر، محمد محمد سالم محيسن، المكتبة الأزهرية، ١٤٠٧هـ/١٩٩٩م.

الموسوعة الاسلامية العربية (الإسلام و حركة التاريخ)، أنور الجندي، ط٨، دار الكتاب اللبناني و الكتاب المصري، بيروت لبنان، القاهرة مصر، ١٩٨٦ م.

موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الإسلامية، أحمد شلبي، ط٧، مؤسسة النهضة المصرية، القاهرة مصر، ١٩٨٤

الموسوعة الجغرافية للوطن العربي، كمال موريس شربل، ط١، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.

الموسوعة العسكرية، المقدم الهيثم الأيوبي وزملاءه، ط٣، م.ع/ للدراسات، بيروت، لبنان، ١٩٩٠م.

موسوعة دول العالم الاسلامي ورجالها، شاكر مصطفى، ط١، ١٩٩٣ م.

النجوم الطوالع عل الدرر اللوامع، إبراهيم المارغني، المكتبة العتيقة بتونس، ١٣٥٤هـ.

النشر في القراءات العشر، محمد بن الجزري، تصحيح ومراجعة علي محمد الضباع، المؤسسة التجارية الكبرى، القاهرة.

النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير مجد الدين المبارك بن محمد الجزري، ت طاهر أحمد الزاوي ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان.

هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، عبد الفتاح سيد عجمي المرصفي، ط٤، دار الفجر الاسلامية، المدينة المنورة، م.ع.السعودية، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

الوافي في شرح الشاطبية ، عبد الفتاح القاضي، ط١، دار السلام، مصر القاهرة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

وصف إفريقية، الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المعروف بـ (ليون الافريقي)، ت محمد حجي، محمد الأخضر ط٢، دار الغرب الاسلامي، بيروت لبنان، ١٩٨٣ م.

المصادر المخطوطة:

غيث النفع في القراءات السبع، علي النوري الصفاقسي، المكتبة الوطنية، الجزائر، ضمن مجموع برقم (٢٢٨٠).

نسخة أخرى بنفس المكان، برقم (٣٦٩).

نسخة ثالثة بنفس المكان، برقم (٣٢٤٢).

نسخة مصوّرة على قرص صلب، متحف سيرتا، قسنطينة، الجزائر، دون رقم .

نسخة مصوّرة بقسم المخطوطات في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، م.ع.السعودية برقم (٤/٤٤٨٦).

نسخة مصوّرة بنفس المكان، برقم (٣٦١).

المنقذ من الوحلة في معرفة السنين وما فيها والأوقات والقبلة، علي النوري الصفاقسي المكتبة الوطنية، الجزائر، برقم(٢٢٤٧).

الرحلة الناصرية، أحمد بن ناصر الدرعي، المكتبة الوطنية، الجزائر، برقم(٢٣٢٤).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الموضوعات

مقدمة ٠١

تمهيد: في التعريف بالقراءات والقرّاء السبع ورواتهم. ١٤

- تعريف علم القراءات ١٥
- أهمية علم القراءات ١٧
- التعريف بالقراءات والقراء السبع ١٨

الفصل الأوّل: عصر الإمام الصفاقسي وحياته. ٢٩

المبحث الأول: الحياة السياسية والعلمية في عصر الإمام الصفاقسي. ٣٠

المطلب الأول: الحياة الساسية. ٣١

- لمحة عن حال العالم الإسلامي في هذا العصر ٣١
- الحياة السياسية في تونس في هذا العصر ٣٤

المطلب الثاني:الحياة العلمية. ٤٢

- مراكز العلم ٤٥
- أماكن التعليم ٤٦
- رجال العلم: ٤٨

أ- من غير التونسيين ٤٩

ب- من التونسيين ٥٢

المبحث الثاني: حياة الإمام الصفاقسي. ٥٦

المطلب الأول: اسمه ونسبه. ٥٧

المطلب الثاني: نشأته وتعلّمه. ٥٩

الثالث: مشايخه وتلاميذه. ٦٢

- شيوخه ٦٢
- سنده في القراءة ٧٦
- تلاميذه ٦٩

المطلب الرابع: أعماله. ٧٤

- الجهاد ٧٤

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- تأسيس الزاوية ٧٥
- التأليف والتصنيف في العلوم في العلوم ٧٧
المطلب الخامس: مذهبه الفقهي والعقدي ٨٤
المطلب السادس: أخلاقه وثناء العلماء عليه. ٨٦
المطلب السابع: وفاته. ٨٦
الفصل الثاني: التعريف بالكتاب وطريقة تأليفه. ٩١
المبحث الأوّل: التعريف بالكتاب. ٩٢
المطلب الأول: اسم الكتاب، موضوعه، مخطوطاته، طبعاته. ٩٣
- اسم الكتاب ٩٣
- موضوعه ٩٥
- مخطوطاته ٩٦
- طبعاته ٩٨
المطلب الثاني: زمن و سبب تأليفه. ١٠١
- زمن تأليفه. ١٠١
- سبب تأليفه. ١٠٢
المطلب الثالث: أهميته ومنزلته. ١٠٥
المبحث الثاني: الجانب المنهجي في صناعة التأليف. ١٠٩
المطلب الأول: طريقة تقسيم الكتاب وتبويبه. ١١٠
المطلب الثاني: اصطلاحاته. ١١٦
المطلب الثالث: منهجه في عرض القراءات. ١١٩
الفصل الثالث:مصادر المؤلّف ومنهجه في عرض المادّة العلميّة. ١٢٧
المبحث الأول:مصادر المؤلف وموقفه منها. ١٢٨
المطلب الأول: مصادره. ١٢٩
١- مصادره السماعية ١٢٩
٢- مصادره المكتوبة: ١٣١
- مصادره مما ألف قبل الإمام ابن الجزري ١٣١
- مصادره من الشاطبية وشروحها ١٣٨
- مصادره كتب الإمام ابن الجزري ١٤١

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- مصادره مما كتب بعد ابن الجزري ١٤٢
المطلب الثاني: طريقة إفادته من المصادر وموقفه منها ١٢٩
- طريقته في النقل من المصادر ١٤٥
- طريقته في عزو الأقوال إلى أصحابها ١٥٠
- موقفه من المصادر ١٥١
المبحث الثاني: المادّة العلميّة في الكتاب ومنهجه في عرضها. ١٦٢
المطلب الأوّل: عنايته بفروع علم القراءات. ١٦٣
- علم التجويد ١٦٤
- علم الرسم ١٦٥
- علم الوقف والابتداء ١٦٦
- علم عد الآي ١٦٩
- علم توجيه القراءات ١٦٩
- علم الأسانيد ١٧٣
- التحزيب ١٧٤
المطلب الثاني: عنايته بالتحريرات وموقفه من التلفيق. ١٧٨
- التحريرات ١٧٨
- نماذج من تحريراته ١٨٢
- موقفه من تلفيق القراءات ١٨٤
المطلب الثالث: موقفه من قصيدة الشاطبيّ وما ورد فيها. ١٨٩
- شرحه بعض كلام الشاطبي ١٨٩
- استدلاله بأبياته هذه القصيدة ١٩٠
- موقفه مما خرج فيه الشاطبي عن طرقه ١٩٠
- موقفه من زيادات الشاطبي على التيسير ١٩٥
المطلب الرابع: موقفه من بعض المسائل المشكلة ١٩٨
- الأحرف السبعة ١٩٨
- تواتر القراءات ٢٠٠
- جمع القراءات ٢٠٣

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الرابع: تقويم الكتاب وأثره فيمن بعده.	٢٠٦
المبحث الأول: تقويم الكتاب.	٢٠٧
المطلب الأول: مزايا الكتاب.	٢٠٨
المطلب الثاني: مآخذ على الكتاب.	٢١٣
المبحث الثاني: أثره على من بعده.	٢١٨
المطلب الأول:أثره على الشيخ المارغني.	٢١٩
– ترجمة المارغني	٢١٩
– تأثره بالصفاقسي	٢٢١
المطلب الثاني: أثره على الشيخ الضباع.	٢٢٦
– ترجمة الضباع	٢٢٦
– تأثره بالصفاقسي	٢٢٧
المطلب الثالث: أثره على الشيخ عبد الفتاح القاضي.	٢٢٦
– ترجمة عبد الفتاح القاضي	٢٣٢
– تأثره بالصفاقسي	٢٣٣
خاتمة	٢٣٢
الفهارس	٢٤٥
– فهرس الأحاديث	٢٤٦
– فهرس الأعلام	٢٤٧
– فهرس المصادر والمراجع	٢٦٥
– فهرس الموضوعات	٢٧٧

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية